
داشيل هاميت
الحصاد الأحمر







الحصاد الأحمر


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

داشيل هاميت



RED HARVEST

by

DASHIELL HAMMETT

ترجمة

سميّة فلّو عبود

ARABIC EDITION 1994

P.O.Box:7038 - Limassol
CYPRUS
P.O.Box:113/5796 -Beirut
LEBANON

ISBN 1-85513-217-6



الطبعة الاولى: كانون الثاني/يناير ١٩٩٤
الغلاف: تصميم رملة شماعة
رسوم: شيڤورن كوريغان

المحتويات



- ١ -

ذات الرداء الأخضر وذو البدلة الرمادية

سمعت للمرة الأولى اسم مدينة «بيرسون فيل» يُلفظ على انه «بويزون فيل» على لسان سكير ذي شعر أحمر يدعى هيكي ديوي وذلك في حانة «بيغ شيب» في بلدة «بوت». لم يكن ينطق الأحرف بطريقة سليمة لذلك لم أفكر كثيراً عندما سمعته يحوِّر اسم المدينة. لكنني سمعت بعد ذلك رجالاً قادرين على النطق السليم يلفظون اسم المدينة بهذه الطريقة. وبالرغم من ذلك بدا لي الأمر كأنه أسلوب سخيف في الدعابة كما كان اللصوص يطلقون اسم «ريتشارد سناري» على القاموس.

بعد بضع سنوات قصدت المدينة المذكورة وازددت اطلاعاً.

استخدمت أحد أجهزة الهاتف في محطة القطارات واتصلت بجريدة «الهيرالد»، وطلبت التحدث الى دونالد ويلسون، وأعلمته بوصولي.

قال لي بصوت ودي ضعيف: هل تأتي الى منزلي في العاشرة من هذا المساء؟ رقم المنزل ٢١٠١ ويقع في جادّة ماونتن. تأخذ سيارة من برودواي وتنزل عند نهاية شارع لوريل، وتمشي مسافة مجموعتين من الأبنية إلى الغرب.

وعدته أن أفعل ذلك. ثم توجهت إلى فندق غرايت ويسترن، حيث وضعت حقائبي وخرجت لألقي نظرة على المدينة.

لم تكن المدينة جميلة. معظم البنّائين فيها عندهم ميل للزخرفة في الألوان، وربما كانت هذه الزخرفة جميلة في البداية، لكنّ مصانع صهر الحديد التي تنتشر منشآتها على سفح الجبل القاتم الى الجنوب غطت كلّ المدينة بدخانها الأصفر بحيث صارت الألوان كلّها قاتمة. ونتيجة لذلك أصبحت المدينة بشعة، ويبلغ عدد سكانها أربعين ألفاً، وتقع في فسحة بشعة بين جبليْن بشعيْن ومتسخين من المناجم العديدة. وحتى السماء كان لونها رمادياً قاتماً وبدت كأنها خارجة من مصانع الصهر.

أول رجل شرطة التقيت به كان يحتاج لحلاقة ذقن. والثاني كان يرتدي سترة وسخة ينقصها زرّان. والثالث وقف عند التقاطع الرئيسي وسط المدينة ـ تقاطع شارعيْ برودواي ويونيون ـ ينظّم السير وفي فمه سيجار. بعد ذلك أقلعت عن مراقبتهم.

في التاسعة والنصف استقليت سيارة من برودواي واتبعت التعليمات التي أعطاني إياها دونالد ويلسون. وصلت الى بيت مشيّد في زاوية أرضها مكسوّة بالعشب ويحيط بها سور.

قالت لي الخادمة التي فتحت الباب ان السيد ويلسون ليس موجوداً. أخذت أشرح لها أنني على موعد معه، وفي هذه الأثناء تقدمت نحو الباب سيدة شقراء نحيلة، عمرها أقل من ثلاثين سنة، وترتدي فستاناً من الكريب الأخضر. ابتسمت

لكنّ عينيها الزرقاوين حافظتا على جمود نظرتهما. أعدت على مسمعها شرح سبب الزيارة.

ـ زوجي ليس موجوداً الآن.

لاحظتُ انها تلثغ بحرف السين.

ـ لكنه طالما يتوقع حضورك فإنه بالتأكيد لن يتأخر.

صعدنا الى غرفة في الطابق العلويّ تطلّ على شارع لوريل؛ غرفة فيها مزيج من البنّي والأحمر ومجموعة كبيرة من الكتب. جلسنا على مقعدين جلديّين، يواجه الواحد منّا الآخر بشكل جانبيّ، وأمامنا موقد تشتعل فيه النار، وبدأت تستفهم عن طبيعة العمل الذي يربطني بزوجها.

سألتني أولاً: هل أنت مقيم في بيرسون فيل؟

ـ لا. أنا من سكان مدينة سان فرنسيسكو.

ـ لكنّ هذه ليست زيارتك الأولى للمدينة؟

ـ بلى.

ـ حقاً؟ وما رأيك بمدينتنا؟

ـ لم أر فيها ما يكفي لأكوّن رأياً. كنت أكذب لأنني كوّنت رأياً واضحاً. ثم تابعت: وصلت بعد ظهر هذا اليوم.

غابت عن عينيها اللاّمعتين نظرتهما المتفحصة حين قالت:

ـ سوف تجدها كئيبة. وعادت الى استجوابي:

ـ أعتقد ان هذه صفة تطغى على المدن التي تنتشر فيها المناجم. هل أنت تعمل في مجال التعدين؟

ـ عملي ليس في هذا المجال حالياً.

نظرت الى الساعة فوق الرفّ وقالت:

ـ لم يكن من المفروض أن يطلب منك دونالد الحضور الى هنا ويتركك تنتظره في مثل هذه الساعة من الليل، بعد وقت طويل من انتهاء ساعات العمل.

قلت لها انني لست متضايقاً.

قالت تحاول استدراجي: يبدو ان الأمر لا يتعلق بالعمل.

لم أقل شيئاً.

ضحكت... ضحكة قصيرة وحادّة.

قالت بمرح: أنا لست فضولية كما قد يتبادر الى ذهنك. لكنني أجدك كتوماً إلى حد بعيد لذلك أنت تثير فضولي. هل أنت صانع أحذية؟ دونالد يستهلك أحذيته بسرعة كبيرة.

ضحكت بفتور وتركت لها المجال لتستنتج من ضحكتي ما تشاء.

رنّ جرس الهاتف في الطابق الأرضي. مددت السيدة ويلسون رجليها، وكانت تنتعل خفّاً أخضر اللون، أمام الموقد وتظاهرت بأنها لم تسمع الرنين. لم أعرف لماذا فكرت ان هذا التصرف كان ضرورياً.

قالت: أعتقد أنني... وسكتت وهي تلتفت الى الخادمة التي وقفت في الباب.

قالت الخادمة ان السيدة ويلسون مطلوبة على الهاتف. استأذنت بالانصراف وتبعتها الخادمة. لم تنزل الى الطابق الأرضي، بل استخدمت جهازاً قريباً.

سمعتها تقول: السيدة ويلسون تتكلم... أجل... أرجو

المعذرة؟... مَنْ؟... ألا تستطيع أن ترفع صوتك قليلاً؟... ماذا؟... أجل... أجل... من أنت؟ آلو! آلو!

اهتزّت السماعة حين علقتها على حمّالتها. سمعت صوت خطواتها وهي تتقدم عبر الممر كانت تمشي بسرعة.

أشعلت سيجارة وأخذت أتأملها حتى سمعت خطواتها وهي تنزل السلم. مشيت الى النافذة ورفعت طرف الستارة، ووقفت أنظر الى شارع لوريل والى المرآب الأبيض المربع الشكل الذي يوجد في الجهة الخلفية من البيت.

بعد قليل رأيت سيدة نحيلة ترتدي معطفاً أسود وتضع قبعة على رأسها، وقد خرجت مسرعة من البيت وتقدمت باتجاه المرآب. انها السيدة ويلسون. صعدت في سيارة بويك «كوبيه». عدت الى مقعدي وجلست أنتظر.

مضت ثلاثة أرباع الساعة. بعد الحادية عشرة بخمس دقائق سمعت زعقة فرامل سيارة في الخارج. بعد دقيقتين دخلت السيدة ويلسون الى الغرفة. كانت قد خلعت معطفها وقبعتها، وكان وجهها شاحباً وعيناها بدتا كأنهما سوداوان.

ـ أنا آسفة جداً، قالت ذلك وفمها المشدود يتحرك بارتجاج طفيف.

ـ لقد انتظرت طويلاً وبدون فائدة، لأن زوجي لن يعود الى البيت هذه الليلة.

قلت لها انني سأتصل به في مقر صحيفة الهيرالد في الصباح.

وخرجت وأنا أتساءل لماذا كانت هناك بقعة على الخف

الأخضر الذي تنتعله في قدمها اليسرى، والبقعة كانت داكنة ورطبة كأنها بقعة دم.

مشيت حتى شارع برودواي وأوقفت سيارة أجرة. على مسافة غير بعيدة من الفندق طلبت من السائق أن يقف ونزلت لأعرف سبب تجمهر الناس عند مدخل فرعي من مداخل دار البلدية.

وقف حوالي ثلاثين أو أربعين رجلاً ومجموعة من النساء على الرصيف والجميع ينظرون الى باب عليه لوحة كتب عليها: مركز الشرطة. كان بين الحشد رجال يعملون في المناجم ومصانع الصهر وهم لا يزالون يرتدون ملابس العمل، وشبان أنيقون خرجوا من قاعات البليارد أو الملاهي الليلية، ورجال مرفّهون لهم وجوه ناعمة وشاحبة، رجال على هيئة الأزواج المحترمين المضجرة، وعدد قليل من النساء يشبهن هؤلاء بهيئتهن المحترمة والمضجرة، بالإضافة الى مجموعة من غانيات الليل.

وقفت الى جانب هذا الحشد بالقرب من رجل مربوع القامة يرتدي بدلة رمادية. كان لون وجهه يميل إلى الرماديّ أيضاً، وحتى شفتاه المكتنزتان، مع انه لم يكن يتجاوز الثلاثين. كان وجهه عريضاً وملامحه بارزة ويبدو عليه انه ذكي. ولكي يضفي مسحة من اللون على ملابسه ارتدى رباط عنق أحمر فاقعاً على قميص من الفانيلّلا ذي اللون الرمادي.

سألته: ما سبب هذا التجمع؟

ألقى عليّ نظرة متفحصة قبل الإجابة، كما لو انه يريد أن

يتأكد أن المعلومات ستصل الى أيدٍ أمينة. كانت عيناه رماديتين مثل ثيابه، لكنهما لم تكونا ناعمتين.

ـ مات دونالد ويلسون وارتفعت روحه الى السماء، وجسده مليء بثقوب الرصاص.

سألته: من أطلق عليه النار؟

حك الرجل الرمادي رقبته من الخلف وقال: شخص يحمل مسدساً.

كنت أرغب في الحصول على معلومات، لا على تلميحات ذكية، ولم أجرب حظي مع أي شخص آخر لأن صاحب رباط العنق الأحمر كان يشدني.

قلت: أنا غريب في هذه البلدة. اشرح لي ما يدور هنا، كما يجدر التعامل مع الغرباء.

ـ دونالد ويلسون، الوجيه، وناشر صحيفتي الهيرالد الصباحية والمسائية، عثر عليه منذ قليل في شارع هاريكاين ميتاً بعد أن أطلق عليه مجهول عدة عيارات نارية.

قال ذلك بسرعة وأضاف: هل هذا يكفي كي لا تشعر بأن مشاعرك مجروحة؟

ـ أشكرك. ومددت يدي لألمس طرف الرباط الأحمر وقلت له:

ـ هل يعني لك شيئاً؟ أم انك تضعه لأنه يعجبك؟

ـ أنا بيل كوينت.

ـ أنت بيل كوينت! قلت باستغراب، محاولاً أن أتذكر الاسم. يا الهي، كم أنا مسرور لرؤيتك!

وتناولت المحفظة التي تضم المجموعة الخاصة بي من بطاقات التعريف والتي تحتوي على معلومات انتقيتها حسب رغبتي. اخترت البطاقة الحمراء التي تعرفني بأنني هنري ف. نيل، بحار وعضو بارز في منظمة «العمال الصناعيون في العالم»، وهذا كلّه لا أثر للحقيقة فيه.

أعطيت البطاقة إلى بيل كوينت. قرأها بانتباه، على الوجهين، ثم أعادها إليّ وهو يتأملني من رأسي حتى قدميّ، بارتياب واضح.

قال: لقد شبع موتاً ولا داعي للبقاء هنا. في أيّ اتجاه تريد أن تمشي؟

ـ لا فرق.

مشينا معاً وانعطفنا عند ناصية الشارع، ولم نكن نقصد مكاناً معيناً.

سألني بشكل عادي: ما الذي جاء بك الى هنا، طالما انك بحار؟

ـ ومن قال لك انني بحار؟

ـ البطاقة.

ـ أحمل بطاقة أخرى تقول انني قاطع أخشاب، وإذا كنت تريدني أن أكون عاملاً في منجم، سأحضر غداً بطاقة تقول ذلك.

ـ لن تفعل ذلك لأنني أنا المسؤول عن عمال المناجم هنا.

ـ ولنفترض انك تلقيت برقية من شيكاغو؟

ـ اللعنة على شيكاغو! أنا المسؤول هنا. وأومأ برأسه إلى مطعم وسألني: هل تريد كأساً؟

ـ إذا سمحت بذلك.

دخلنا الى المطعم، وصعدنا السلم ووصلنا الى غرفة ضيقة في الطابق الثاني وفيها بار طويل وصف من الطاولات. أحنى بيل كوينت رأسه محيياً بعض الروّاد من شبان وشابات توزعوا الى الطاولات وإلى البار، وقال: «مرحباً» ثم قادني الى ركن تغطي مدخله ستارة خضراء ويقع مع عدة خلوات مثله على الحائط الذي يواجه البار.

أمضينا حوالى ساعتين ونحن نشرب الويسكي ونتبادل الحديث.

لم يكن الرجل الرمادي يعتقد أنه يحقّ لي أن أحمل البطاقة التي عرضتها عليه، ولا البطاقة الثانية التي أشرت إليها. ولم يكن يعتقد أنني عامل موضع ثقة، وانه بصفته المسؤول عن شؤون العمال في منظمة: «العمال الصناعيون في العالم»، فرع بيرسون فيل، فإن من واجبه أن يطرح هو عليّ الأسئلة، ولن يسمح لي بأن أوجّه إليه أسئلة حول شؤون أخرى أثناء قيامه بواجبه.

لم أجد في ذلك ما يزعجني. كنت مهتماً بشؤون مدينة بيرسون فيل، وهو لم يكن يمانع في الخوض فيها أثناء محاولته فهم مسألة البطاقات الحمراء. وقد عرفت منه ما يلي:

منذ أربعين سنة والعجوز أليهو ويلسون ـ وهو والد الرجل الذي لقي مصرعه هذه الليلة ـ يمتلك مدينة بيرسون فيل، يمتلكها بكل ما في الكلمة من معنى. كان المدير المسؤول

وصاحب أكبر حصة من الأسهم في هيئة التعدين في بيرسون فيل، وكان يتولى منصباً مماثلاً في مصرف فيرست ناشيونال، وهو يمتلك صحيفتي الهيرالد الصباحية والمسائية، وهما الصحيفتان الوحيدتان في المدينة، وهو على الأقلّ شريك في مجمل المؤسسات الأخرى ذات الأهمية. وبالإضافة الى هذه الممتلكات عنده أيضاً سيناتور في مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة، ونائبان وحاكم الولاية، والعمدة، ومعظم المشرّعين في الولاية. أليهو ويلسون هو بيرسون فيل، ويكاد يكون الولاية بأسرها.

خلال سنوات الحرب، قدمت منظمة: «العمال الصناعيون في العالم» - التي كانت في تلك الفترة مزدهرة في المنطقة الغربية - المساعدة اللاّزمة في اليد العاملة «لهيئة التعدين في بيرسون فيل». لكن هؤلاء العمال لم يكونوا يعيشون في ظروف مريحة؛ فاستغلّوا الحاجة إليهم لكي يفرضوا مطالبهم. وافق العجوز أليهو على المطالب التي عجز عن رفضها، وانتظر الفرصة المناسبة.

في عام ١٩٢١ جاءت فرصته. كان مردود العمل سيئاً، ولم يجد العجوز أليهو مانعاً في إيقاف العمل لفترة. تخلص من العقود التي تربطه برجاله وأخذ يرفض التعاون معهم ليدفعهم الى الظروف التي كانوا يعيشون فيها ما قبل الحرب.

وبالطبع، طلب العمال المساعدون المساعدة. مركز الإدارة العامة لمنظمة «العمال الصناعيون في العالم» في شيكاغو، أرسل بيل كوينت ليكون موجوداً إلى جانب العمال. كان يعارض القيام بإضراب، لأنه بمثابة التخلّي عن العمل، ونصح

الفئة المخرّبة بالتمسك بالعمل ومحاولة تسوية الأوضاع من الداخل. لكن هذا الحلّ لم يكن عنيفاً كما يريده عمال بيرسون فيل. كانوا يريدون أن يبرزوا وأن يساهموا في وضع تاريخ الطبقة العاملة فأعلنوا الإضراب.

استمر الإضراب ثمانية أشهر. والاستنزاف نال من الطرفين معاً.

استخدم العجوز أليهو اللصوص المسلحين، ورجالاً عندهم خبرة في مجال تفشيل الإضرابات، وجنوداً من الحرس الوطني، ووصل به الأمر الى اللجوء الى مجموعات من الجيش النظامي لكي يستطيع أن يفرض شروطه. وبعد القضاء على جميع مظاهر التمرد، صارت انتفاضة العمال المنظمة في بيرسون فيل مجرد لعبة نارية اشتعلت ثم انطفأت.

لكن، قال بيل كوينت، لم يكن العجوز أليهو مطلعاً على التاريخ الإيطالي. لقد ربح الإضراب، لكنه فقد سيطرته على المدينة والولاية. لأنه ترك الرجال الذين استخدمهم يتصرفون بهمجية من أجل القضاء على الانتفاضة العمالية. وعندما توقف القتال لم يعد قادراً على التخلص منهم. سلّمهم المدينة ولم يعد قادراً على استرجاعها منهم. استطاعوا أن يحققوا له الفوز على العمال في مسألة الإضراب، واعتبروا المدينة غنيمة لهم. كان عاجزاً عن خوض معركة مفتوحة معهم، وهم لديهم الكثير يحاربونه به، كان هو المسؤول عن كل فعل ارتكبوه أثناء الإضراب.

وصلت مع بيل كوينت الى هذا القدر من المعلومات وكنّا

ثملين بعض الشيء. أفرغ كأسه ورفع خصلات شعره عن عينيه ثم وصل بحكايته الى الفترة الحالية:

ـ أقوى واحد في هذه الزمرة هو بيتر الفنلندي. هذا المشروب الذي نتناوله الآن هو صاحبه. ثم هناك ليو يارد، وعنده متجر في شارع باركر حيث يقدم القروض بفائدة، ويعمل كثيراً في مجال الكفالات والرهونات، وهو يتولّى معظم البضائع المهرّبة أو المسروقة في المدينة، كما قيل لي، وله علاقة طيبة مع «نونان»، المسؤول عن الشرطة. والشاب ماكس تايلر ـ الملقّب بالهامس ـ عنده أصدقاء كثيرون أيضاً. وهو ماكر قصير القامة وأسمر وعنده مشكلة في النطق. إنه لا يستطيع أن يتكلم وهو مقامر معروف.

هؤلاء الثلاثة بالإضافة الى نونان يساعدون أليهو في تولّي شؤون المدينة ـ يساعدونه أكثر مما يريد. لكنه مجبر على مشاركتهم في اللعب وإلاّ...

سألته: والشاب الذي قتل هذه الليلة... إبن أليهو... ماذا كان موقعه؟

ـ حيث يضعه والده، وهو الآن موجود حيث وضعه والده.

ـ هل تعني أن العجوز نال منه...؟

ـ ربما، لكن هذا ليس رأيي. هذا الشاب عاد من السفر وتولى إدارة الصحيفتين بدلاً من والده. لم يكن هذا الشيطان العجوز، مع أنه بات في أيامه الأخيرة، يسمح لأحد أن ينتزع منه شيئاً دون أن يردّ له الضربة، لكنه كان مضطراً لأن يكون حذراً مع أولئك الأوغاد. اتصل بإبنه في باريس وطلب منه

الرجوع بصحبة زوجته الفرنسية، واستخدمه لكي يقوم بتنفيذ أوامره... وهذه خدعة أبوية لطيفة.

بدأ دونالد حملة إصلاح دعا اليها في الصحيفتين، لتطهير المدينة من الفساد والشر ـ وهذا يعني تطهيرها من بيتر وليو والهامس إذا استمرت الحملة. هل تفهم ما أقصد؟ كان العجوز يستخدم ابنه لكي يثير مخاوفهم. وأعتقد انهم انزعجوا من ذلك.

قلت له: يبدو لي أن هناك عدة مغالطات في افتراضك هذا.

ـ هناك أكثر من عدة مغالطات بالنسبة لكل شيء في هذه المدينة القذرة. هل اكتفيت بهذا القدر من الشراب؟

قلت له أنني اكتفيت. نزلنا الى الشارع وأخذنا نمشي. قال لي بيل كوينت انه يقيم في فندق ماينرز في شارع فوريست، والطريق التي تؤدي الى فندقه تمرّ من أمام الفندق الذي نزلت فيه، فتابعنا المسير. وقف على الرصيف أمام بوابة الفندق رجل بدين يبدو أنه شرطيّ تحرّ وكان يتحدث مع راكب في سيارة أجرة.

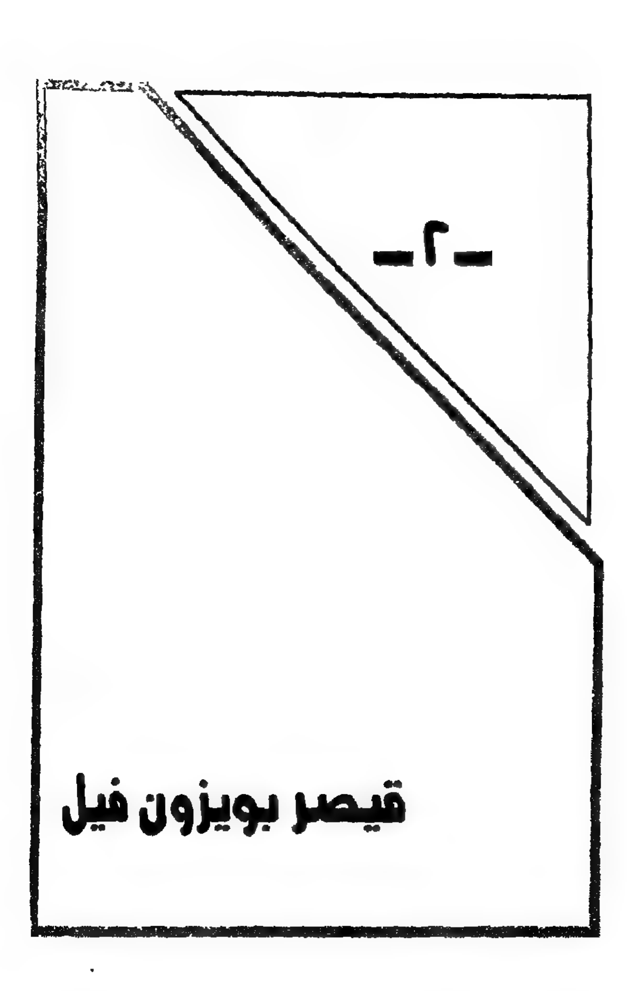
قال لي بيل كوينت: الرجل في السيارة هو الذي يلقبونه «بالهامس».

نظرت من خلف الرجل البدين ورأيت وجه تايلر بشكل جانبي. كان شاباً أسمر، وسيم الملامح وكأن تفاصيل وجهه مرسومة بدقة.

قلت له: إنه جذاب.

ـ فعلاً، فعلاً.. قال الرجل الرمادي موافقًا معي وأضاف:

ـ والديناميت جذاب أيضاً.


- ٢ -
قيصر بويزون فيل

خصّصت صحيفة الهيرالد الصباحية صفحتين لتتحدث عن دونالد ويلسون وتنشر خبر مقتله. من صورته المنشورة في المقالة يبدو أنه ذو وجه بديع ويوحي بالذكاء، شعره مجعد، وله عينان تنظران بمرح وعلى فمه ارتسمت ابتسامة؛ ذقنه مشقوق، ويضع رباط عنق مخطّطاً.

حكاية وفاته كانت بسيطة. في العاشرة إلاّ أربعين دقيقة من الليلة الماضية تلقّى عدة رصاصات في معدته وصدره وظهره ومات على الأثر. وهذه الجريمة حدثت في شارع هاريكاين عند مجموعة الأبنية ذات الرقم ألف ومئة. سكان تلك المجموعة الذين أطلّوا إلى الشارع بعد سماع الطلقات النارية رأوا القتيل ممدّداً على الرصيف، وقد انحنى فوقه رجل وامرأة. كان الشارع مظلماً ولم يتمكن أحد من رؤية شيء بوضوح. الرجل والمرأة اختفيا قبل وصول أيّ من السكان الى الشارع. لا أحد يستطيع أن يصفهما، ولا أحد رآهما وهما يبتعدان.

أُطلقت على ويلسون ست رصاصات من مسدس عيار ٣٢. اثنتان منها أخطأتاه واستقرتا في حائط البيت القريب. حاول رجال الشرطة تتبّع مسار هاتين الرصاصتيْن واستنتجوا أن

الشخص الذي أطلق النار كان يقف في زقاق ضيّق في الجهة المقابلة من الشارع. ولم تتوفّر لديهم معلومات أخرى.

وقدمت المقالة الافتتاحية في الهيرالد الصباحية موجزاً عن حياة الرجل المهنية القصيرة وعن كونه مصلحاً اجتماعياً، وعبّر رئيس التحرير عن قناعته بأن الذين قتلوا دونالد ويلسون كانوا لا يريدون أن تصبح بيرسون فيل مدينة نظيفة. وأضافت الصحيفة أن أفضل برهان يقدمه قائد الشرطة عن عدم تورّطه هو الإسراع في إلقاء القبض على المجرم أو المجرمين ومحاكمتهم.

كانت المقالة حادّة ومريرة.

انتهيت من قراءتها مع فنجان ثانٍ من القهوة، واستقليت سيارة أجرة من شارع برودواي ونزلت في شارع لوريل ثم انعطفت وتوجهت نحو بيت القتيل.

حين وصلت الى مسافة قريبة منه غيّرت رأيي ووجهة سيري.

اجتاز الشارع، على مقربة مني، شاب متوسط القامة ويرتدي بدلة فيها ثلاث درجات من اللون البنيّ. شكل وجهه الجانبيّ كان جميلاً. انه ماكس تايلر، المشهور بالهامِس. وصلت الى ناصية جادّة ماونتن ولمحته وهو يدخل بوابة بيت دونالد ويلسون.

عدت الى شارع برودواي ومشيت حتى وصلت الى متجر فيه جهاز تلفون؛ فتشت في الدليل عن رقم منزل أليهو ويلسون واتصلت به، قلت للرجل الذي ردّ عليّ وادّعى انه السكرتير انني جئت من سان فرنسيسكو بناء على طلب دونالد ويلسون وعندي معلومات حول وفاته وأريد أن ألتقي والده.

وبعد مزيد من الإلحاح والتأكيد نجحت في الحصول على دعوة لزيارة الوالد في المنزل.

كان قيصر بويزون فيل جالساً في سريره حين أدخلني السكرتير غرفة نومه. وسكرتيره رجل هادىء في الأربعين، نحيل القامة وثاقب النظر.

كان رأس العجوز صغيراً ويكاد يكون مكتمل الاستدارة ويغطيه شعر أبيض مقصوص بعناية. أذناه صغيرتان جداً وملتصقتان الى جانبيّ رأسه ممّا يؤثر على اكتمال الشكل الدائري. أنفه أيضاً صغير جداً، وهو ينساب من انحناءة جبهته البارزة، فمه وذقنه خطّان مستقيمان يقطعان الدائرة في الأسفل. رقبته قصيرة وكتفاه مكتنزتان، وكان يرتدي بيجامة بيضاء. وضع ذراعه فوق الغطاء فبدت قوية وأصابع يده غليظة. عيناه مستديرتان وصغيرتان وفيهما طبقة رقيقة من سائل مائي. بدت عيناه وكأنهما تختبئان خلف الطبقة المائية وتحت الحاجبين اللذين يغطيهما الشعر الأبيض وتنتظران الفرصة لكي تنقضّا وتلتقطا شيئاً ما. ليس من الذين يتجرأ أحد على نشل جيوبهم إلاّ إذا كان النشّال عنده ثقة كبيرة برشاقة أصابعه.

أومأ إليّ بالجلوس على كرسي بجوار سريره، وهزّ رأسه مشيراً إلى السكرتير بالخروج من الغرفة، ثم سألني:

ـ ماذا تريد يا بنيّ؟

كان صوته مبحوحاً. صدره يفيض حيوية وفمه صغير جداً يعجز عن النطق بوضوح.

قلت له: أنا أعمل في الوكالة الوطنية للتحري، فرع سان

فرنسيسكو. منذ بضعة أيام وصلنا شيك من ابنك ورسالة يطلب فيها أن ترسل له الوكالة رجلاً للقيام بمهمة معينة. أنا ذلك الرجل. حين اتصلت به البارحة قال انه سيلتقي بي في بيته. ذهبت الى بيته لكنه لم يأتِ، وحين قصدت وسط المدينة عرفت أنه قُتل.

كان أليهو ويلسون يتأملني بارتياب وسألني:

ـ حسناً، وماذا في ذلك؟

ـ فيما كنت أنتظر تلقت زوجة ابنك مخابرة هاتفية، وخرجت على أثرها مباشرة، ثم رجعت وعلى حذائها بقعة تشبه بقعة دم، وقالت لي ان زوجي لن يرجع الى البيت. حين خرجت كانت الساعة العاشرة وعشرين دقيقة، وعادت في الحادية عشرة وخمس دقائق، وابنك قُتل عند الساعة العاشرة وأربعين دقيقة.

قوّم الرجل العجوز ظهره وأخذ يسبّ السيدة ويلسون ويلعنها. وحين اكتشف انه لم تعد عنده كلمات بذيئة ينعتها بها، استخدم حماسته المتبقّية ليصرخ فيّ ويقول:

ـ وهل هي في السجن؟

قلت له انني لا أعتقد ذلك.

لم يعجبه الردّ، فازداد توتراً وأخذ يشتم بصوت عال، ليقول أخيراً:

ـ وماذا تنتظر؟

لم تعجبني شتائمه لكنه كان عجوزاً مريضاً ولا يجوز أن أصفعه. فضحكت وقلت:

ـ أنتظر الدليل.

ـ الدليل؟ لماذا؟ قلت...

قاطعت صراخه وقلت له: لا تكن متعنتاً. لماذا تقدم زوجته على قتله؟

ـ لأنها فاجرة فرنسية! لأنها...

أطلّ السكرتير من الباب وبدا مذهولاً. صرخ فيه العجوز: أخرج من هنا!

سألته قبل أن يستجمع أنفاسه ليواصل صراخه: هل هي غيورة؟ إذا توقفت عن الصراخ وخفضت صوتك أعتقد أنني أسمعك جيداً. لقد تحسّن سمعي منذ بدأت أتناول الخميرة.

وضع يديه على وركيه اللذين يلفهما الغطاء، ورفع رأسه وقال بإصرار:

ـ صحيح أنني عجوز ومريض لكنني قادر على النهوض لكي أضربك على قفاك.

لم أعر كلامه اهتماماً، وردّدت سؤالي: هل كانت غيورة؟

قال وقد خفّ صراخه: كانت غيورة ومتكبّرة ومدلّلة ولا تثق بشيء وطمّاعة ودنيئة ومرتابة ومخادعة وأنانية وسيئة وملعونة... باختصار سيئة وملعونة!

ـ هل كان لديها سبب لتغار؟

قال بمرارة: أتمنى ذلك. إنني أكره أن يكون ابني مخلصاً لها. مع أنه على الأرجح كان كذلك. إنه يميل إلى هذا السلوك.

ـ لكن أنت لا تعرف أي سبب يجعلها تقتله؟

ـ لا أعرف أي سبب؟ وعاد إلى الصراخ ثانية: ألم أقل لك...

ـ أجل، لكن هذا لا يعني شيئاً. هذه أمور بسيطة.

رفع العجوز الغطاء عن رجليه بحدّة وحاول النهوض عن سريره. ثم فكر قليلاً، ورفع وجهه المتورّد وزمجر قائلاً:

ـ ستانلي!

انفتح الباب ودخل السكرتير على عجل. فأمره سيده وهو يلوّح لي بقبضته مهدّداً: إرمِ بابن الزنا هذا الى الخارج!

التفت السكرتير نحوي. هززت رأسي ونصحته قائلاً:

ـ من الأفضل أن تأتي بمن يساعدك.

عبس. كنّا في السنّ نفسها تقريباً، وهو نحيل وأطول مني بقليل، لكن وزنه أقلّ من وزني بحوالى خمسين باونداً. إذ يبلغ وزني مئة وتسعين باونداً، ولم يكن هذا الوزن سمنة متكدسة فقط. اضطرب السكرتير وابتسم معتذراً وخرج من الغرفة.

قلت للعجوز: كنت أقول انني نويت التحدث الى زوجة ابنك هذا الصباح، ولكنني رأيت ماكس تايلر وهو يدخل الى البيت، لذلك أجّلت زيارتي لها.

أعاد أليهو ويلسون الغطاء فوق رجليه بهدوء، وأسند رأسه الى الوسائد، وأخذ يحدق في السقف ثم قال:

ـ هكذا إذاً!

ـ هل هذا يعني شيئاً معيناً؟

قال بإصرار: هي التي قتلته. هذا هو معناه.

صوت وقع أقدام في الممر؛ اقترب الصوت من الباب فيما كنت أقول:

ـ كنت تستخدم ابنك للقيام...

ـ أخرجوا من هنا! صرخ العجوز في الأشخاص الواقفين عند الباب: وليبق هذا الباب مغلقاً. وحدّق فيّ بغضب وسألني:

ـ لماذا كنت أستخدم ابني؟

ـ للتخلّص من تايلر ويارد والفنلنديّ.

ـ أنت كاذب.

ـ أنا لم أبتكر هذه الحكاية. كلّ سكان بيرسون فيل يعرفونها.

ـ هذا كذب. أنا سلمته الصحيفتين وتركت له حرية التصرف.

ـ يجب أن تقول ذلك لرفاقك. وهم سوف يصدقونك.

ـ اللعنة عليهم! إنني صادق فيما أقول.

ـ وما الفائدة؟ لن يعود ابنك الى الحياة ثانية لأنه قتل خطأ... هذا إذا كان ذلك صحيحاً.

ـ تلك المرأة هي التي قتلته.

ـ ربما.

ـ اللعنة عليك وعلى تردّدك! هي التي قتلته.

ـ ربما. لكننا يجب أن ننظر الى الأمر من الزاوية الأخرى في الوقت نفسه ـ الغاية السياسية. تستطيع أن تقول لي...

ـ أستطيع أن أقول لك ان الفاجرة الفرنسية قتلته، وأستطيع أن أقول لك ان أية أفكار غبية أخرى لديك هي بعيدة جداً عن الحقيقة.

قلت بإصرار: لكننا يجب أن نتأمل هذه الأفكار. وأنت تعرف خفايا العلاقات السياسية في بيرسون فيل أفضل من أيّ شخص آخر. القتيل ابنك، وأنت على الأقلّ يجب أن...

قال بانفعال: على الأقلّ يجب أن أقول لك بأن تعود الى سان فرنسيسكو، وأن تغرب عن وجهي بعنادك...

ـ لقد نزلت في فندق ويسترن الكبير. لا تحاول الاتصال بي إلاّ إذا كنت تنوي أن تتحدث معي حديثاً له مغزى.

خرجت من الغرفة ونزلت على السلم. لوّح لي السكرتير الذي كان ينتظر عند أسفل السلم وابتسم لي معتذراً.

قلت بانزعاج: يا له من عجوز مشاغب!

ردّ هامساً: ذو شخصية متميّزة بحيويتها.

في مكاتب صحيفة الهيرالد وصلت الى سكرتيرة القتيل. كانت شابة في التاسعة عشرة أو في العشرين، ولها عينان كستنائيتان واسعتان، وشعر بنيّ فاتح ووجه جميل وهادىء. اسمها لويس.

قالت انها لا تعرف شيئاً حول طلب حضوري الى بيرسون فيل من قبل مديرها.

وأضافت تشرح لي: كان السيد ويلسون يميل إلى التكتّم على جميع قراراته أطول فترة ممكنة. كان... لا أعتقد أنه كان يثق بأي موظف هنا، ثقة تامة.

ـ حتى أنتِ؟

توردت وجنتاها وقالت:

ـ لا. لم تمضِ فترة طويلة على وجوده بيننا وهو بالطبع لا يعرف أحداً منّا معرفة وطيدة.

ـ يبدو لي ان هناك أسباباً أخرى لإحساسه بعدم الثقة.

ـ حسناً وعضّت على شفتها ومرّت بيدها على حافة مكتب

القتيل فتركت أصابعها بصمات على الخشب اللّماع، وأضافت: والده... والده لم يكن موافقاً على الحملة التي كان يخوضها. وبما أن والده هو الذي يملك الصحيفتين أعتقد أن السيد دونالد افترض أن ولاء بعض الموظفين للسيد أليهو أكثر من ولائهم له.

ـ والعجوز لم يكن يحبّذ حملته الإصلاحية؟ لماذا قبل باستمرارها طالما أنه هو الذي يمتلك الصحيفتين؟

أحنت رأسها قليلاً لتتأمل بصمات أصابعها، وانخفض صوتها وهي تقول:

ـ من الصعب عليك أن تفهم لأنك لا تعرف التفاصيل. عندما اشتدّ المرض على السيد أليهو أرسل في طلب دونالد... السيد دونالد. والسيد دونالد كان يعيش في أوروبا منذ مدّة، كما تعرف. طلب الدكتور برايد من السيد أليهو أن يتخلّى عن إدارة مؤسساته، لذلك أبرق الى ابنه طالباً منه الرجوع الى البيت. لكن حين وصل السيد دونالد لم يكن السيد أليهو قد اقتنع بضرورة التخلّي عن كلّ شيء، وكان في الوقت نفسه يريد الاحتفاظ بالسيّد دونالد، لذلك سلّمه الصحيفتين... أي عيّنه ناشراً.

ارتاح السيد دونالد لمنصبه لأنه كان يهتم بالصحافة أثناء إقامته في باريس. وعندما اطّلع على الظروف السيئة السائدة هنا... فيما يخص الشؤون الاجتماعية وغيرها... بدأ حملته الإصلاحية المعروفة. لم يكن يعرف... لقد غادر البلاد وهو صبيّ... لم يكن يعرف...

ـ لم يكن يعرف أن والده كان متورطاً مثل الآخرين، قلت ذلك لأساعدها على مواصلة حديثها.

مالت قليلاً وهي تتفحص بصماتها ولم تحاول أن تعارض قولي، وتابعت:

ـ تشاجر السيد أليهو معه، وقال له بأن يكفّ عن استفزازاته، لكنه رفض. ربما كان سيوافق لو أنه عرف الحقيقة... كان يجب أن يعرف الحقيقة. لا أعتقد أنه فكر لحظة واحدة بأن والده متورط بشكل جدي. ووالده لم يصارحه. لا شك أنه من الصعب على الوالد أن يصارح ابنه بأمر كهذا. هدّده بأنه سيسترجع منه الصحيفتين. ولا اعرف ما أذا كان يعني ذلك فعلاً أم لا. لكن وطأة المرض اشتدّت على العجوز ثانية، واستمرت الأوضاع كما كانت.

سألتها: ألم يكن دونالد ويلسون يأتمنك على أسراره؟

ردّت بصوت هامس: لا.

ـ كيف عرفت كلّ هذه الأمور اذاً؟

ردّت بإخلاص: إنني أحاول... أحاول أن أساعدك لتصل الى المجرم الذي قتله. لا يحق لك...

قلت بإصرار: ستساعدينني كثيراً إذا قلت لي كيف وصلتك هذه المعلومات.

حدقت في المكتب وهي تعضّ شفتها السفلى. وقفت أنتظر. بعد قليل قالت:

ـ والدي هو سكرتير السيد ويلسون.

ـ شكراً.

ـ لكن، لا تظنّ أننا...

قلت محاولاً طمأنتها: هذا لا يعني شيئاً بالنسبة لي. لكن قولي لي، ماذا كان ويلسون يفعل في شارع هاريكاين ليلة البارحة في الوقت الذي كان عنده موعد معي في بيته؟

قالت بأنها لا تعرف. سألتها إذا كانت سمعته وهو يطلب مني الحضور الى بيته في الساعة العاشرة. قالت بأنها سمعته.

ـ ماذا فعل بعد ذلك؟ حاولي أن تتذكري كلّ كلمة قالها وكلّ شيء فعله منذ ذلك الحين وحتى مغادرتك المكتب في نهاية النهار.

أسندت ظهرها الى كرسيها وأغمضت عينيها وقطبت جبينها.

ـ أنت اتصلت به... لأنك تقول انه حدد لك موعداً في بيته عند العاشرة. بعد ذلك أملى عليّ السيد دونالد عدة رسائل، إحداها الى مصنع للورق، وأخرى الى السيناتور كيفر حول بعض الأمور المتعلقّة بإدارة البريد، و... آه، أجل! غادر المكتب وغاب حوالى عشرين دقيقة، وكان ذلك قبل الثالثة ببضع دقائق. وقبل خروجه أعدّ شيكاً.

ـ لمن؟

ـ لا أعرف، لكنني رأيته وهو يكتبه.

ـ أين دفتر شيكاته؟ هل يحمله معه؟

ـ إنه هنا وقفزت واقفة واستدارت حول المكتب الى حيث يجلس وحاولت أن تفتح الدرج وقالت: إنه مقفل.

اقتربت منها وفتحت مشبكاً من السلك وتمكنت بواسطته وبواسطة سكين صغيرة كنت أحملها أن أفتح الدرج.

تناولت الفتاة من الدرج دفتر شيكات من مصرف فيرست ناشيونال. على الورقة التي كانت موصولة بآخر شيك تم انتزاعه دوّن السيد دونالد قيمة المبلغ: ٥٠٠٠ دولار. لم يكتب شيئاً آخر. لا اسم الشخص الذي سيعطي الشيك له، ولا أية إيضاحات.

قلت: وخرج ومعه الشيك، وغاب عشرين دقيقة؟ هل هذا يكفي لكي يصل الى المصرف ويعود؟

ـ لا يبعد المصرف عنا أكثر من خمس دقائق.

ـ ألم يحدث شيء آخر قبل كتابته للشيك؟ فكري! ألم تصله أية رسالة؟ أو يتصل به أحد؟

أغمضت عينيها ثانية وقالت: كان يملي عليّ الرسائل و... آه، كم أنا غبية! اتصل به شخص وسمعته يقول: «أجل، أستطيع أن أصل عند العاشرة، لكن لن أمكث فترة طويلة»، ثم سمعته وهو يقول: «حسناً، نلتقي في العاشرة»، هذا كلّ ما قاله عدا تكراره لكلمة «أجل» عدة مرات.

ـ هل كان يتحدث الى رجل أم الى امرأة؟

ـ لا أعرف.

ـ فكري! هناك اختلاف في نبرة الصوت.

فكرت وقالت: كان يتحدث الى امرأة إذاً.

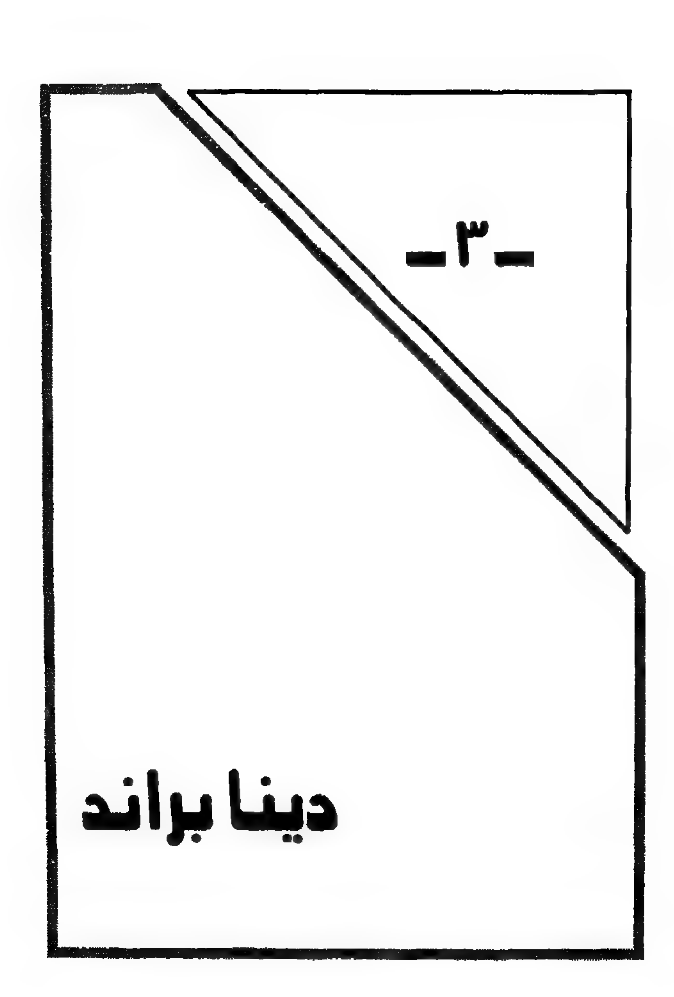
ـ مَنْ منكما غادر المكتب قبل الآخر؟

ـ أنا غادرت المكتب. هو... لقد قلت لك ان والدي هو

سكرتير السيد أليهو. هو والسيد دونالد كانا سيلتقيان في بداية المساء... لمناقشة أمور تتعلّق بنفقات الصحيفتين. جاء والدي الى المكتب عند الخامسة تقريباً، وكان سيخرج مع السيد دونالد لتناول العشاء، على ما أظنّ.

هذا كلّ ما عرفته من الفتاة التي تدعى لويس. لم تقل لي شيئاً يبرّر وجود ويلسون في شارع هاريكاين عند مجموعة المباني ذات الرقم ألف ومئة. وأقرّت بأنها لا تعرف شيئاً عن السيّدة ويلسون.

فتشنا مكتب القتيل ولم نتوصل الى أية معلومات مفيدة. قصدت الفتيات اللواتي يعملن على الهاتف ولم أعرف شيئاً منهن. أمضيت حوالى ساعة وأنا أسأل المراسلين والمحررين وسائر الموظفين دون فائدة تذكر فقد كان القتيل، كما قالت سكرتيرته، يحتفظ بشؤونه لنفسه.


-٣-
دينا براند

في مصرف فيرست ناشيونال التقيت بمساعد أمين صندوق يدعى آلبري، وهو شاب أشقر وسيم في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً.

قال لي بعد أن شرحت له سبب زيارتي للمصرف:

ـ أنا الذي وقعت على الشيك للسيد ويلسون. والشيك كان باسم السيدة دينا براند وقيمته خمسة آلاف دولار.

ـ وهل تعرفها؟

ـ آه، أجل! أعرفها.

ـ هل يضايقك أن تقول لي ماذا تعرف عنها؟

ـ على الإطلاق. سأكون مسروراً بذلك، لكنني تأخرت حتى الآن ثماني دقائق عن اجتماع مع...

ـ هل تتناول معي طعام العشاء هذا المساء وتقول لي ما تعرفه؟

ـ بكل سرور.

ـ نلتقي عند السابعة مساء في مطعم فندق ويسترن؟

ـ حسناً.

ـ سأتركك الآن كي تتمكن من حضور الاجتماع، لكن قلْ لي، هل عندها حساب في مصرفكم؟

ـ أجل، وقد أودعت فيه الشيك هذا الصباح.. ورجال الشرطة وضعوا أيديهم عليه.

ـ حقاً؟ وما هو عنوانها؟

ـ ١٢٣٢ شارع هاريكاين.

قلت: حسناً، حسناً! وتابعت: نتقابل الليلة، وغادرت المصرف.

محطتي التالية كانت في مكتب قائد الشرطة في مبنى البلدية.

كان نونان، قائد الشرطة، ممتلىء الجسم وله عينان خضراوان برّاقتان ووجه مستدير وبشوش. حين أخبرته عن سبب وجودي في مدينته بدا مسروراً ومدّ لي يده مصافحاً وقدّم لي سيجاراً وأشار إليّ بالجلوس.

قال بعد أن ارتاح كلّ منا في مقعده: والآن أخبرني: من هو القاتل؟

ـ أنا أحتفظ بالسرّ!

قال بفرح وهو ينفث دخان سيجاره: بيني وبينك، ما هو تخمينك؟

ـ أنا لا أجيد التخمين، خاصة أذا كنت لم أحصل على جميع الوقائع بعد.

قال لي: لن يستغرق تعريفك بالوقائع وقتاً طويلاً. البارحة وقّع ويلسون شيكاً باسم دينا براند قبل أن يقفل المصرف أبوابه

بقليل. وليلة البارحة قُتل ويلسون برصاصات من مسدس عيار ٣٢ على مقربة من بيتها. الناس الذين سمعوا الطلقات رأوا رجلاً وامرأة منحنيين فوق القتيل. وهذا الصباح قامت دينا براند بإيداع الشيك في المصرف المذكور. هل تكتفي بهذا القدر؟

- من هي دينا براند؟

نفض القائد رماد سيجاره وسط مكتبه ورفع السيجار كأنه يتباهى به وقال:

- حمامة قذرة، كما يقولون عنها، تطمع بحياة الترف وتلهث وراء المال.

- هل واجهتها بتهمة معينة في هذه القضية؟

- لا. هناك عدة أمور يجب تسويتها قبل اتخاذ هذه الخطوات. نحن نراقبها وننتظر. تستطيع أن تعتبر هذه المسألة منتهية.

- حسناً. والآن اسمع ما سأقوله، وأخبرته ما سمعته وما رأيته بينما كنت أنتظر في بيت دونالد ويلسون في الليلة الماضية.

عندما انتهيت أخذ القائد يصفّر بهدوء، ثم قال:

- هذه بالفعل أخبار مهمة! كانت هناك بقعة دم على حذائها إذاً؟ وقالت ان زوجها لن يعود الى البيت؟

قلت مجيباً على سؤاله الأول: هكذا بدت لي وعلى سؤاله الثاني اكتفيت بـ أجل.

سألني: هل تحدثت معها بعد ذلك؟

ـ لا. كنت متوجهاً الى بيتها هذا الصباح، لكنّ شاباً يدعى تايلر سبقني في الدخول اليها،فقررت تأجيل الزيارة.

ـ يا للروعة! والتمعت عيناه الخضراوان بسعادة، وسألني: هل تقصد أن الهامس كان هناك؟

ـ أجل.

رمى سيجاره على الأرض، ووقف واضعاً يديه على مكتبه، وانحنى قليلاً نحوي والفرحة تشعّ من ملامحه.

وقال بانفعال: يا عزيزي، لقد قمت بانجاز عظيم. دينا براند صديقة الهامس. فلنخرج الآن لنزور الأرملة ونتحدث اليها.

ترجلنا من سيارة قائد الشرطة أمام منزل السيدة ويلسون. تريث القائد قليلاً وقد وضع رجله على أول درجة في السلم وأخذ ينظر الى قطعة القماش السوداء المعلقة فوق الجرس. ثم قال: لا مجال للتهرب من أداء الواجب، وصعدنا السلّم.

لم تكن السيدة ويلسون مرتاحة لمقابلتنا، لكن معظم الناس يوافقون على مقابلة قائد الشرطة إذا كان ملحّاً في طلبه. والقائد ألحّ في طلبه. رافقتنا الخادمة الى الطابق الثاني وإلى غرفة المكتبة حيث كانت تجلس السيدة ويلسون. كانت ترتدي ثوباً أسود. عيناها الزرقاوان باردتان كالجليد.

تقدمت ونونان منها ونحن نردّد عبارات العزاء، ثم بدأ نونان الحديث معها بقوله:

ـ إننا نريد فقط أن نطرح عليك بعض الأسئلة. أين كنت ليلة البارحة مثلاً.

نظرت إليّ باستياء، ثم الى القائد وقالت بتكبر وهي عابسة:

ـ هل أستطيع أن أعرف لماذا يتمّ استجوابي بهذه الطريقة؟

أخذت أتساءل كم مرة سمعت هذا السؤال، الكلمات نفسها تتكرّر، ونبرة الصوت نفسها، لكن القائد تجاهل السؤال وواصل حديثه بودية:

ـ وهناك أيضاً سؤال حول بقعة على حذائك الأيمن، أو الأيسر. على أية حال كانت هناك بقعة على حذائك.

بدأ فمها يرتعش قليلاً.

سألني القائد: هل هذا كلّ شيء؟ وقبل أن أتمكن من الإجابة أصدر صوتاً بلسانه والتفت بوجهه اللطيف الى السيدة وقال: كدت أنسى، هناك أيضاً سؤال يتعلق بمعرفتك أن زوجك لن يعود الى البيت.

نهضت باضطراب وهي تمسك ظهر الكرسي بيدها البيضاء.

ـ أرجو أن تعذراني...

ـ لا بأس. ولوّح القائد بيده المكتنزة دلالة على تفهمّه لوضعها وأضاف: نحن لا نريد إزعاجك. أخبرينا فقط الى أين ذهبت، وما هي البقعة التي كانت على حذائك، وكيف عرفت ان زوجك لن يعود الى البيت تلك الليلة. ويبدو لي أن هناك أمراً آخر... ماذا كان تايلر يفعل هنا هذا الصباح.

جلست السيدة ويلسون ثانية وكأنها مصابة بتصلّب في أوصالها. نظر اليها القائد نونان. رسم ابتسامة رقيقة على شفتيه فبرزت معها خطوط وتجعدات في وجهه المكتنز. بعد قليل ارتاحت كتفاها بعض الشيء، وانخفضت ذقنها وبدت انحناءة بسيطة على ظهرها.

قرّبت كرسياً وجلست أواجهها.

قلت لها محاولاً التعاطف معها الى أقصى حدّ: لا بدّ من الإجابة يا سيدة ويلسون: مثل هذه الأمور يجب أن يتمّ شرحها.

ـ وهل تعتقد أن عندي ما أحاول إخفاءه؟

سألتني بتحدّ، وقد استقام ظهرها ثانية وتصلّبت أوصالها، وكانت تتأنى في نطق كلّ حرف لكنها لم تنجح في اخفاء لثغتها بحرف السين.

ـ لقد خرجت بالفعل، والبقعة كانت بقعة دم. كنت أعرف أن زوجي مات. زيارة تايلر لها علاقة بمقتل زوجي. هل أجبتك على أسئلتك؟

قلت: نحن نعرف ذلك، ونطلب منك أن تشرحي لنا ما جرى.

وقفت ثانية وقالت بغضب:

ـ لا يعجبني أسلوبك، وأرفض أن أخضع...

قال لها نونان: موقفك سليم يا سيدة ويلسون، لكننا سنطلب منك في هذه الحالة أن ترافقينا الى مركز الشرطة.

أدارت له ظهرها وتنفست بعمق وأخذت تقول لي بعصبية:

ـ فيما كنا ننتظر دونالد هنا، اتصل بي رجل لم يعلن عن اسمه. قال لي ان دونالد ذهب الى بيت امرأة تدعى دينا براند وهو يحمل لها شيكاً بمبلغ خمسة آلاف دولار، وأعطاني عنوانها. توجهت بسيارتي الى العنوان وجلست أنتظر داخل السيارة في الشارع، الى أن خرج دونالد من عندها.

ـ وبينما كنت أنتظر هناك رأيت ماكس تايلر، الذي كنت أعرفه من شكله فقط. يتوجه الى بيت المرأة، لكنه لم يدخل، بل ابتعد عنه. ثم خرج دونالد وأخذ يمشي على الرصيف ولم ينتبه لوجودي. وأنا لم أكن أريده أن يراني. كنت أنوي الرجوع الى البيت كي أصل قبله. كنت أدير المفتاح حين سمعت الطلقات، ورأيت دونالد يسقط. خرجت من السيارة وركضت اليه. كان قد مات، وأنا صرت كالمجنونة. ثم جاء تايلر. قال لي انني إذا بقيت هناك سيعتقد الجميع أنني قتلته، وأجبرني على الرجوع الى السيارة وعلى العودة الى البيت.

تجمعت الدموع في عينيها، وكانت تنظر إليّ بتمعنٍ تحاول أن تعرف ردّة فعلي على قصتها. لم أقل شيئاً.

سألتني: هذا ما أردت معرفته؟

قال نونان: إلى حدّ ما. وتمشّى قليلاً ثم سألها: ماذا قال لك تايلر حين زارك؟

ـ حثّني على التزام الصمت.

صار صوتها ضعيفاً وفاتراً: قال لي ان التهمة سوف توجّه الى واحدٍ منا لو عرف أحد أننا كنّا موجودين هناك، لأن دونالد قُتل بعد خروجه من بيت المرأة وبعد أن أعطاها الشيك.

سألها القائد: من أين أتت الطلقات؟

ـ لا أعرف. لم أر شيئاً... لا أعرف سوى أنني حين رفعت بصري... رأيت دونالد يقع.

ـ هل أطلقها تايلر؟

ـ لا، ردّت بسرعة. ثم تريثت قليلاً ووضعت يدها على

صدرها وأضافت: لا أعرف. لا أعتقد ذلك، وهو قال لي انه لم يفعل ذلك. لا أعرف أين كان يقف. لا أعرف لماذا لم أفكر أبداً بأنه قد يكون هو الذي أطلق النار.

سألها نونان: وما هو رأيك الآن؟

- ربما.. ربما يكون فعل ذلك.

غمزني القائد نونان، غمزة رياضية شاركت في تنفيذها جميع عضلات وجهه، وطرح عليها سؤالاً يعود بها قليلاً الى الوراء: وأنتِ لا تعرفين الرجل الذي اتصل بك؟

- لم يعطني إسمه.

- ألم تتعرّفي على صوته؟

- لا.

- كيف كان صوته؟

- كان يتحدث بصوت منخفض كأنه يخاف أن يسمعه أحد، ولقد وجدت صعوبة في فهم ما يقول.

- هل كان يهمس؟ وظل نونان فاغراً فمه والصوت الأخير يخرج منه، وعيناه الخضراوان التمعتا بحدّة بين طبقات الشحم التي تحيط بهما.

- أجل، همساً مبحوحاً.

أغلق القائد فمه وهو يصدر صوتاً، ثم فتحه ثانية يواصل محاولته:

- أنتِ سمعت تايلر وهو يتكلم...

أجفلت السيدة وحدقت بعينين واسعتين بالقائد ثم التفتت نحوي وصرخت: أجل، إنه هو هو الذي اتصل بي.

كان روبرت آلبري، الشاب الذي يعمل كمساعد أمين صندوق في مصرف فيرست ناشيونال، ينتظر في الردهة حين رجعت الي فندق ويسترن الكبير. صعدنا الى غرفتي. طلبت ماء مثلجاً، واستخدمته لتبريد الويسكي وعصير الليمون وعصير الرمان، ثم نزلنا الى قاعة الطعام.

قلت له أثناء تناول الحساء: والآن أخبرني عن هذه المرأة.

سألني: هل رأيتها؟

ـ لم أرها بعد.

ـ لكنك سمعت شيئاً عنها؟

ـ فقط أنها تعتبر حاذقة في مجالها.

وافقني قائلاً: هذا صحيح. أعتقد أنك سوف تراها. ستشعر ببعض الخيبة للوهلة الأولى. ثم، وبدون أن تعرف متى أو كيف حدث ذلك سوف تكتشف أنك نسيت خيبتك، وستبدأ تسرد عليها قصة حياتك وتخبرها بجميع مشكلاتك وآمالك.

ضحك بخجل صبيانيّ وقال: وعندئذٍ تكون قد وقعت في حبائلها، وقعت تماماً.

ـ أشكرك على هذا التحذير. ومن أين لك هذه المعلومات؟

ابتسم بحياء واعترف قائلاً: لقد اشتريتها.

ـ لا شك انها كلفتك الكثير إذاً. سمعت انها تحبّ المال.

ـ انها مجنونة بالمال، لكنك لا تشعر بأنك متضايق من ذلك. إنها تتقاضى أجراً وتصارحك بطمعها لدرجة أن هذا الأمر لا يبدو مزعجاً. سوف تفهم ما أعنيه حين تتعرف عليها.

ـ ربما. هل لديك مانع أن تقول لي كيف تركتها؟

- ليس عندي مانع. تركتها بعد أن أنفقت جميع ما أملك.
- بهذه البرودة؟
تورّدت وجنتاه قليلاً وأحنى رأسه.
قلت له: يبدو انك تقبلت الوضع بروح طيّبة!
- لم يكن أمامي حلّ آخر.
ازداد التورّد حدّة في وجهه الفتيّ وقال متردّداً: كنت مديناً به لها. كانت... سوف أخبرك بذلك. أريدك أن ترى وجهة نظرها. كان معي مبلغ بسيط من المال، وبعد انفاقه... وكنت في تلك الفترة شاباً مشوّش التفكير، خطر لي أن استخدم المال الموجود في المصرف... أنت لا تهتم فعلاً لو أنني فكرت في ذلك أو أنني أقدمت على تنفيذه. على أية حال اكتشفت دينا الأمر. لم أكن أستطيع أن أخفي عنها أي شيء. وتلك كانت النهاية.
- تركتك؟
- أجل، والشكر لله! لو انها لم تتركني كنتُ الآن تبحث عني لتوجيه تهمة الاختلاس إليّ، أنا مدين لها بذلك! وقطب جبينه وهو يقول ذلك عن قناعة صادقة، وأضاف: أرجو أن لا تذكر شيئاً مما قلته لك لأحد... أنت تعرف ماذا أعني. كنت أريدك فقط أن تعرف انها طيبة من زاوية معينة. وسوف تسمع ما فيه الكفاية عن الزاوية الأخرى.
- ربما كانت طيبة فعلاً. أو انها فكرت بعدم وجود مبرّر يستحق أن توقع بنفسها في ورطة لأجله.
فكّر قليلاً فيما قلته وهزّ رأسه.

ـ قد يكون هذا أحد الأسباب، لكنه لا يكفي لتفسير موقفها.

ـ تصوّرت أنها من اللواتي يطلبن الأجر مباشرة.

سألني: وما رأيك بدان رولف؟

ـ ومن هو دان رولف؟

ـ من المفروض انه أخوها، ويقال انه ليس شقيقها من أمها أو من أبيها. لكنه في الحقيقة متشرّد، عاطل عن العمل؛ يعيش معها. وهي تنفق عليه. إنها لا تحبه ولا تربطها به علاقة من هذا القبيل. لقد التقت به ذات مرة وقررت أن تبقيه بجانبها.

ـ وهل هناك أحد غيره؟

ـ هناك شاب راديكاليّ كانت على علاقة به. يبدو انها لم تحصل على الكثير منه.

ـ لقد جاء الى البلدة أثناء الإضراب ـ اسمه كوينت.

ـ كان من لائحتها إذاً؟

ـ من المفروض أن هذا ما يدفعه على البقاء هنا بعد انتهاء الإضراب.

ـ لا. قالت لي انها تخاف منه. لقد هدّدها بالقتل.

ـ قلت: يبدو انها أوقعت جميع الرجال في حبائلها، وكانت تعبث بعواطف أي واحد منهم كما يحلو لها.

ـ إنها قادرة على الإيقاع بأيّ رجل تريد، وقال ذلك بجدية.

سألته: وكان دونالد ويلسون آخر واحد؟

ـ لا أعرف. لم أسمع شيئاً عنهما، ولم أر شيئاً. لقد طلب منا قائد الشرطة أن نبحث عن أية شيكات قد يكون أعطاها إياها

قبل البارحة، لكننا لم نعثر على شيء. لم يتذكر أي موظف في المصرف أنه رأى شيكاً من هذا القبيل.

ـ من كان آخر زبون عندها على حدّ علمك؟

ـ كنت أراها مؤخراً مع شاب يدعى تايلر... انه يدير عدة نواد للقمار في هذه البلدة، ويطلقون عليه لقب الهامس. أعتقد انك سمعت عنه.

في الثامنة والنصف تركت آلبري وتوجهت الى فندق مايترز في شارع فوريست. على مقربة من الفندق التقيت بيل كوينت.

سلّمت عليه قائلاً: مرحبا! كنت في طريقي اليك.

توقف وأخذ ينظر إليّ من أعلى رأسي الى أسفل قدميّ وقال مزمجراً: أنت مزعج إذاً.

قلت متذمراً: هذه هي المشكلة. قصدتك للمساعدة وأنت تعاملني بهذه الفظاظة.

سألني: ماذا تريد أن تعرف الآن؟

ـ أريد أن أسألك عن دونالد ويلسون. كنت تعرفه، أليس كذلك؟

ـ أجل.

ـ معرفة وطيدة؟

ـ لا.

ـ وما كان رأيك به؟

شدّ على شفتيه الباهتتيْن ونفخ قليلاً فأصدر صوتاً يشبه صوت تمزّق القماش، وقال:

ـ ليبراليّ حقير.

سألته: وهل تعرف دينا براند؟

ـ أعرفها.

وبدت لي رقبته أقصر وأشدّ اكتنازاً مما كانت عليه.

ـ هل تعتقد انها هي التي قتلت ويلسون؟

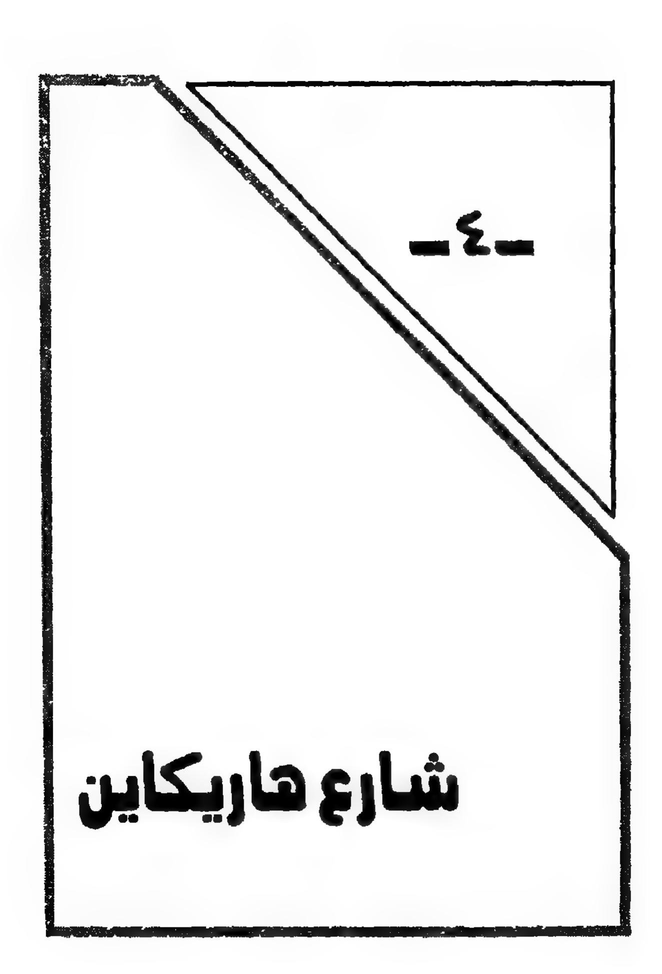
ـ بالتأكيد. هذه مسألة بسيطة.

ـ أنت لا تعتقد ذلك إذاً؟

ـ بلى، بالتأكيد. قتلناه معاً. هل عندك أسئلة أخرى؟

ـ أجل، لكني أفضل أن أحتفظ بها لنفسي، لأنك لن تجيبني بجدية.

عدت مشياً على القدمين الى برودواي، وأوقفت سيارة تاكسي وطلبت من السائق أن يأخذني الى ١٢٣٢ شارع هاريكاين.


-٤-
شارع هاريكاين

قصدت كوخاً له إطار رماديّ. قرعت جرس الباب ففتح لي رجل نحيل بدا وجهه متعباً، خالياً من اللون سوى تورّد طفيف في خدّيه. إنه على الأرجح دان رولف.

قلت له: أودّ مقابلة الآنسة براند.

ـ ومن أنت لأقول لها؟ صوته يشبه صوت رجل مريض ومتعلم.

ـ لن يعني لها اسمي شيئاً. أودّ مقابلتها بشأن مقتل ويلسون.

نظر إليّ بعينيه السوداوين المتعبتين وقال:

ـ نعم؟

ـ أنا من الوكالة الوطنية للتحري، فرع سان فرنسيسكو ونحن مهتمون بموضوع الجريمة.

قال بسخرية: هذا من لطفكم. تفضّل بالدخول.

دخلت الى قاعة في الطابق الأرضي حيث كانت امرأة شابة تجلس الى طاولة وأمامها مجموعة من الصحف. بعضها كان نشرات مالية، وبعضها يتعلق بأسعار السندات المختلفة. وهناك صحيفة لسباق الخيل.

كانت الغرفة في حالة من الفوضى. فيها عدد كبير من قطع الأثاث، ولا توجد أية قطعة منها في موضع مناسب.

قال لها مرافقها: دينا، هذا الرجل أتى من سان فرنسيسكو ليحقّق في مقتل السيد دونالد ويلسون وهو يعمل في الوكالة الوطنية للتحرّي.

وقفت وأبعدت مجموعة من الصحف من أمامها وتقدمت نحوي وهي تمدّ لي يدها.

كانت أطول مني بقليل، ولها كتفان عريضتان وصدر ممتلىء ووركان مستديران ورجلان قويتان. اليد التي صافحت كانت ناعمة ودافئة وقوية. يدلّ وجهها على أنها في الخامسة والعشرين وبدأت علامات التعب تظهر عليه. برزت خطوط ضئيلة عند زاويتي فمها اليانع، وبدأت خطوط أخرى تنسج شباكاً حول عينيها برموشهما الكثيفة. كانت عيناها واسعتين، وزرقاوين وفيهما ميل الى الاحمرار.

شعرها بنيّ وخشن ويحتاج لأن تقصّ أطرافه وجعلت وسطه خطاً مائلاً. أحد جانبي شفتها العليا وضعت عليه أحمر شفاه أكثر من الجانب الآخر. كان ثوبها يلفت النظر بلونه النبيذيّ غير المناسب، وبدت فيه فتحات عند أحد جانبيه حيث أهملت إغلاق الكبّاسات، أم أن الكبّاسات انفتحت وحدها. انسلّت من الجورب الرقيق الذي ترتديه عدة خيوط على رجلها اليسرى.

هذه هي دينا براند التي كانت تنتقي من يعجبها من بين رجال بويزون فيل، كما قيل لي.

ـ والده أرسل في طلبك، طبعاً، قالت ذلك وهي تبعد خفاً

من جلد الثعبان وفنجاناً وطبقاً عن أحد المقاعد لتفسح لي المجال في الجلوس.

كان صوتها ناعماً وكسولاً.

قلت لها الحقيقة: دونالد ويلسون هو الذي أرسل في طلبي. كنت أنتظره للتحدث معه في الوقت الذي قُتل فيه.

نادت رولف قائلة: لا تذهب يا دان.

عاد الى الغرفة وهي عادت الى كرسيها أمام الطاولة. جلس في الجهة المقابلة وهو يسند وجهه النحيل على يده النحيلة وينظر إليّ بدون مبالاة.

قطبّت حاجبيها فبرزت ثنيتان بينهما، وسألتني:

ـ هل تعني أنه كان يشكّ أن شخصاً يريد قتله؟

ـ لا أعرف. لم يحدّد ماذا يريد، ربما كان يحتاج إلى مساعدة في حملته الإصلاحية.

ـ لكن أنت...؟

قاطعتها محتجاً: ليس من السهل عليّ أن أستمتع بأن يتولّى أحد غيري المهمة التي أقوم بها، فيطرح هو الأسئلة عليّ.

ـ أريد أن أعرف ماذا يحدث، قالت ذلك وهي تكتم ضحكتها.

ـ وأنا أيضاً. مثلاً أريد أن أعرف لماذا طلبت منه أن يضع توقيع المصرف على الشيك.

تحرك دان رولف بشكل عاديّ وأسند ظهره الى كرسيه وترك يديه النحيلتين تختفيان تحت حافة الطاولة.

سألتني دينا براند: عرفت موضوع الشيك إذاً؟

جعلت رجلها اليسرى فوق اليمنى وحدقت إلى الأسفل. تركّز نظرها على الخيوط المنسلّة في جوربها، وقالت متذمرة: أقسم أنني لن أرتدي هذه الجوارب ثانية! سأظلّ بدون جوارب. دفعت خمسة دولارات ثمن هذا الجورب البارحة. أنظر اليه الآن. كل يوم ـ خيوط منسلة، خيوط منسلة!

قلت: لم يعد الأمر سرّاً. أعني الشيك، لا الخيوط المنسلة. لقد وضع نونان يده عليه.

نظرت الى رولف الذي توقف عن مراقبته لي وأحنى رأسه.

ـ لو انك تتحدث لغتي قالت ذلك وهي تحدق فيّ وأضافت: قد أستطيع أن أساعدك.

ـ ربما أفعل ذلك لو أنني أعرف ما هي.

قالت تشرح لي: المال. كلمّا ازداد كلمّا كان ذلك أفضل. أنا أحبّ المال.

أعطيتها مثلاً: المال الذي نوفره نكسبه. وأنا أستطيع أن أوفرّ عليك المال والهمّ.

قالت: هذا لا يعني شيئاً بالنسبة لي، مع انك تقوله لكي أهتمّ به.

ـ هل استجوبك رجال الشرطة حول موضوع الشيك؟

هزّت رأسها مشيرة بأنهم لم يفعلوا ذلك.

قلت: نونان يخطط لكي يوقع بك وبالهامس.

قالت وهي تلثغ: لا تخفني. ما زلت طفلة صغيرة.

ـ نونان يعرف بأن تايلر عنده علم بموضوع الشيك. ويعرف أن تايلر أتى الى هنا حين كان ويلسون عندك، لكنه لم يدخل.

ويعرف ان تايلر كان في الجوار عند إطلاق النار على ويلسون. ويعرف أن تايلر كان ينحني فوق جثة القتيل وبجواره سيدة.

تناولت قلماً عن الطاولة ورسمت خطوطاً على خدها وهي تفكر. برزت خطوط سوداء ملتوية على خدّها المتورّد.

زال التعب من عيني رولف، وحلّ فيهما بريق محموم وقد تركز نظرهما على عينيّ. انحنى قليلاً إلى الأمام ولم يرفع يديه من تحت الطاولة.

قال: هذه الأمور تخصّ تايلر لا الآنسة براند.

قلت له: لكن تايلر والآنسة براند ليسا غريبين. أحضر ويلسون معه البارحة شيكاً بقيمة خمسة آلاف دولار، وقُتل عند خروجه من هنا. كانت الآنسة براند ستلاقي صعوبة في صرف قيمة الشيك لو أن ويلسون لم يكن ذكياً ويوقّعه في المصرف قبل أن يقدمه لها.

احتجت الفتاة قائلة: يا الهي! لو انني أريد قتله كنت سأفعل ذلك هنا حيث لا يراني أحد، أو أنتظر حتى يبتعد عن المنزل. أية غبية تظنّني؟

ـ لست متأكداً أنك أنت التي قتلته. لكنني متأكد أن القائد السمين يريد أن يتهمك بذلك.

سألتني: ماذا تحاول أن تفعل؟

ـ أحاول معرفة القاتل الحقيقي. لا أريد معرفة الشخص الذي قد يكون القاتل، بل القاتل الحقيقي.

ـ أستطيع مساعدتك، لكنني يجب أن أحصل على شيء بالمقابل.

ذكّرتها قائلاً: «الأمان» لكنها هزّت رأسها.

ـ قصدت أنني أريد مقابلاً مادياً. سأقدم لك مساعدة مفيدة ويجب أن تدفع ثمنها، حتى لو لم تدفع ثروة.

ابتسمت وقلت: هذا مستحيل. دعك من حسابك المصرفي الآن واهتمّي بأعمال الخير. افترضي أنني بيل كوينت.

همّ دان رولف بالنهوض وقد بدا الشحوب واضحاً على شفتيه وسائر وجهه. لكنه جلس ثانية حين بدأت الفتاة تضحك... ضحكة كسولة وحلوة.

ـ انه يعتقد أنني لم أحصّل شيئاً من بيل يا دان. انحنت نحوي ووضعت يدها على ركبتي وتابعت تقول: لنفترض أنك تعرف قبل مدة أن موظفي شركة سوف يعلنون الإضراب في وقت معين، وقبل فترة تعرف أنهم سيعلّقون الإضراب في وقت معين. هل تستطيع بواسطة هذه المعلومات ورأسمال معقول أن تحقق في البورصة ربحاً جيداً بالتلاعب بأسهم هذه الشركة؟ من المؤكد أنك ستنجح في ذلك!

قالت بنبرة من حقق انتصاراً وأضافت: لا تعتقد إذاً أن بيل لم يدفع ما كان مترتباً عليه.

قلت لها: أنت فتاة سيئة.

ـ لماذا أنت حادّ الى هذه الدرجة؟ لم آخذ شيئاً من جيبك. عندك حساب في المصرف، أليس كذلك؟

لم أقل شيئاً. عبست في وجهي وعبست وهي تنظر الى الخيوط المنسلة في جوربها، ثم عبست وهي تنظر الى رولف وقالت له:

ـ قد يصبح أكثر تفهّماً إذا تناول كأساً.

نهض الرجل النحيل وخرج من الغرفة.

عبست وهي تداعب رجلي بقدمها وقالت: ليس المال هو المهم، إنما المبدأ. إذا كانت الفتاة تملك شيئاً له قيمة بالنسبة لشخص معين، فانها تكون غبية إذا لم تجعله يدفع الثمن.

ابتسمت.

سألتني متوسلة: لماذا لا تكون لطيفاً؟

عاد دان رولف وهو يحمل زجاجة صودا، وزجاجة «جين»، وشرائح ليمون ووعاء ثلج.

تركنا رولف وجلسنا نشرب. أخذنا نناقش مسألة المال ونحن نتناول المزيد من الشراب.

حاولت أن أركّز الحديث حول تايلر وويلسون، لكنها كانت تحوّله الى المال الذي تستحقه.

استمر الوضع على هذه الحال حتى فرغت زجاجة الجين. نظرت الى ساعتي وكانت الساعة الواحدة وخمس عشرة دقيقة.

تناولت شريحة من الليمون وقالت للمرة الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة:

ـ لن تدفع شيئاً من جيبك. لماذا أنت مهتم إذاً؟

ـ ليس المال هو المهم، بل المبدأ.

حدقت في بانزعاج ووضعت الكأس حيث اعتقدت أن الطاولة موجودة. أخطأت الطاولة بمسافة ثمانية إنشات. لم أعد أذكر ما إذا كان الكأس قد تحطّم حين وقع على الأرض أو ماذا

حدث له. لكنني أذكر أنني تشجعت لأنها أخطأت الطاولة وفتحت معها مجالاً جديداً في المناقشة وقلت:

ـ لا أعتقد أنني محتاج فعلاً لما قد تقولينه. أعتقد أنني أستطيع مواصلة تحرياتي بدون مساعدتك.

ـ هذا جيد، لكن لا تنسَ أنني كنت آخر شخص رآه على قيد الحياة، عدا الذي قتله طبعاً.

ـ هذا خطأ. زوجته رأته وهو يخرج من هنا، ويمشي قليلاً، ثم وهو يقع.

ـ زوجته؟

ـ أجل. كانت تنتظر في سيارتها في الشارع.

ـ وكيف عرفت انه كان عندي؟

ـ تقول ان تايلر اتصل بها وأخبرها أن زوجها جاء الى هنا ومعه الشيك.

قالت الفتاة: أنت تحاول خداعي. ماكس لم يكن يعرف ذلك.

ـ إنني أنقل لك ما أخبرتنا إياه السيدة ويلسون لي ولنونان.

بصقت الفتاة ما تبقى من شريحة الليمون على الأرض، وأخذت تعبث بخصلات شعرها مما زاد في قلّة ترتيبه، ومسحت فمها بيدها ثم ضربت على الطاولة.

قالت: حسناً، أيها المدّعي العام. إنني مستعدّة لكي ألعب معك. أنت تعتقد أنك لن تدفع شيئاً بالمقابل لكنني سوف أحصل على ما أريد قبل نهاية اللعبة. أتظن أنني لن أفعل ذلك؟

قالت ذلك وهي تتحدّاني وترمقني وكأنني على مسافة بعيدة منها.

لم يكن الوقت مناسباً للخوض مجدّداً في النقاش حول أهمية المال، لذلك اكتفيت بالقول:

ـ أتمنى ذلك. أعتقد أنني ردّدت هذه العبارة ثلاث أو أربع مرات بإلحاح صادق.

ـ سوف أنفذ ما قلت. والآن اسمعني: أنت سكران وأنا سكرانة، وأنا سكرانة لدرجة أنني مستعدة لأن أخبرك بما تريد معرفته. أنا فتاة إذا أحببت شخصاً أخبره ما يريد معرفته. اسأل ما تشاء. هيا، إسأل.

سألتها: لماذا أعطاك ويلسون خمسة آلاف دولار؟

ـ «للمزاح» وأسندت ظهرها وهي تضحك، ثم قالت: اسمع، كان ويلسون يبحث عن فضيحة. كان عندي ما يهمّه، بضعة إقرارات وأوراق أخرى كنت أحتفظ بها لأستفيد منها ذات يوم. إنني لا أحبّ أن أفوّت أية فرصة للحصول على المال. لذلك خبأت الأوراق. حين بدأ دونالد حملته ضدّ بعض الأشخاص أخبرته عن الأوراق وقلت له انها برسم البيع. سمحت له بالاطّلاع على جزء منها لكي يتحقق من أهميتها. وكانت مهمة بالفعل، ثم تناقشنا حول السعر. لم يكن مزعجاً مثلك... لم أعرف أحداً بخيلاً مثلك... لكنه لم يدفع المبلغ المطلوب. لذلك لم تتمّ الصفقة حتى البارحة.

حاولت أن أعجّل الأمور فاتصلت به وقلت ان عندي زبوناً آخر وانه إذا كان يريد الأوراق عليه أن يأتي تلك الليلة ومعه

خمسة آلاف دولار نقداً أو شيك موقع من المصرف. كنت أخدعه، وهو صدقني لأنه لا يعرف أساليب الاحتيال هذه.

سألتها: ولماذا أعطيته موعداً عند العاشرة ليلاً؟

ـ ولمَ لا؟ هذا وقت كأي وقت آخر. المهم في صفقة كهذه أن تعطي الشخص الذي تتعامل معه موعداً محدداً. والآن ستسألني لماذا طلبت المبلغ نقداً أو بواسطة شيك عليه توقيع المصرف؟ حسناً، سأقول لك. سأقول لك ما تريد. أنا فتاة طيبة.

واستمرت في هذا الحديث حوالى خمس دقائق وهي تخبرني بالتفصيل عن شخصيتها، وكيف كانت، ولماذا. وأخذت أوافق معها كلّ مرة وأقول لها: أجل، أجل... حتى تسنت لي الفرصة لمقاطعتها:

ـ حسناً، والآن أخبريني لماذا طلبت شيكاً موقعاً من المصرف؟

أغمضت احدى عينيها وأشارت اليّ باصبعها وقالت: كي لا يتمكن من وقف الدفع. لأنه لن يستطيع استخدام الأوراق التي بعتها له. كانت جيدة بالطبع، جيدة جداً. لكنها كانت ستضع والده العجوز في السجن بالإضافة الى الآخرين، وستؤدي الى الإيقاع بالوالد أليهو أكثر من الآخرين.

ضحكت معها وحاولت أن أرفع رأسي قليلاً فوق «الجين» الذي أفرطت في شرابه.

سألتها: وبمن ستوقع أيضاً؟

ـ بسائر أفراد المجموعة. ولوحت بيدها تقول: ماكس وليو يارد، وبيتر ونونان وأليهو ويلسون... كلّهم.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ هل كان ماكس تايلر يعرف هذا الموضوع؟

ـ بالطبع لا... لا أحد يعرف شيئاً حول هذه الأوراق سوى دونالد ويلسون.

ـ هل أنت متأكدة؟

ـ بالطبع أنا متأكدة. أتظنّ أنني كنت أشيع الخبر قبل نجاح الصفقة؟

ـ ومن برأيك يعرف هذا الموضوع الآن؟

ـ لا يهمني ذلك. كنت أسخر منه لأنه لا يستطيع استخدام الأوراق.

ـ هل تعتقدين أن الرجال الذين بعت أسرارهم يعتبرون الأمر مزاحاً؟ نونان يحاول توجيه تهمة القتل اليك وإلى تايلر. هذا يعني أنه عثر على الأوراق في جيب دونالد ويلسون. كان الجميع مقتنعين أن العجوز أليهو يستخدم ابنه لكي يحطمهم، أليس كذلك؟

قالت: أجل، يا سيدي. وأنا أيضاً أوافق معهم.

ـ ربما تكونين على خطأ، لكن هذا غير مهم. إذا كان نونان قد عثر على الأوراق التي بعتها الى دونالد ويلسون، وعرف انك تقاضيت ثمناً لها، لماذا لا يفهم من ذلك أنك أنت وصديقك تايلر تقفان في صف العجوز أليهو؟

ـ سوف يدرك أن العجوز أليهو متضرّر مثل أي واحد آخر منهم.

ـ ما هي الأوراق التي بعتها؟

ـ شيّدوا مبنى جديداً للبلدية منذ ثلاث سنوات، وحقق كل

واحد منهم ربحاً وفيراً منه. إذا عثر نونان على الأوراق سيعرف مباشرة أنها تفضح أمر العجوز أليهو مثلما تفضح الآخرين.

ـ ليس لهذا أهمية، لأنه سيفترض أن العجوز وجد مخرجاً لنفسه. صدقيني يا عزيزتي. نونان ورفاقه يعتقدون أنك أنت وتايلر وأليهو تخدعونهم.

قالت بعناد: لا يهمني على الإطلاق بماذا يفكرون. كان الأمر بالنسبة لي مجرد مزحة. هذا ما كنت أريده. هذا كلّ ما في الأمر.

قلت بانزعاج: حسناً، تستطيعين الذهاب الى المشنقة بضمير مرتاح. هل رأيت تايلر بعد الجريمة؟

ـ لا، لكن ماكس لم يقتله، إذا كان هذا ما تفكر فيه، حتى هو كان موجوداً هناك.

ـ لماذا؟

ـ لأسباب كثيرة. أولاً ماكس لا يقوم بعمل كهذا بنفسه. كان سيكلف شخصاً بتنفيذ الجريمة وسيكون هو نفسه بعيداً ومعه حجّة يصعب الشك فيها. وثانياً ماكس يحمل مسدساً من عيار ٣٨، وأي شخص يكلفه بهذه المهمة يكون بالتأكيد يحمل مسدساً مماثلاً أو أكثر قوة. أيّ قاتل هذا الذي يستخدم مسدساً عيار ٣٢؟

ـ من هو القاتل إذاً؟

ـ لقد أخبرتك كل ما أعرفه. أخبرتك أكثر مما ينبغي.

وقفت وقلت: لا، لقد قلت لي ما فيه الكفاية تماماً.

ـ تعني انك تعرف الآن من هو القاتل؟

ـ أجل، مع أن هناك أموراً بسيطة يجب أن أتأكد منها قبل التضييق عليه.

ـ من هو؟ من هو؟ ووقفت فجأة وكأنها استفاقت من سكرها وأخذت تشدني من سترتي: قل لي من هو؟

ـ ليس الآن.

ـ كن لطيفاً.

ـ ليس الآن.

تركت سترتي ووضعت يديها خلف ظهرها وضحكت.

ـ حسناً، احتفظ باسمه لنفسك... وحاول أن تعرف أي جزء من المعلومات التي أخبرتك إياها مطابق للحقيقة.

قلت: أشكرك على الجزء الحقيقيّ منها على أي حال، وأشكرك على «الجين» أيضاً. وإذا كان أمر ماكس تايلر يهمّك، أخبريه أن نونان يحاول الإيقاع به.


-٥-
العجوز أليهو

وصلت الى الفندق قرابة الثانية والنصف صباحاً. سلّمني موظف الاستقبال مفتاح غرفتي ومعه ورقة صغيرة تشير الى أن شخصاً اتصل بي ويطلب مني أن أتصل بالرقم ٦٠٥ بوبلار. عرفت الرقم، إنه رقم بيت أليهو ويلسون.

سألت الموظف: متى اتصلوا بي؟

ـ بعد الواحدة بقليل.

بدا الأمر ملحّاً. عدت الى كشك التلفون وطلبت الرقم. ردّ عليّ سكرتير العجوز وطلب مني الحضور في الحال. وعدته بأن أسرع في المجيء، وطلبت من الموظف أن يوقف لي سيارة تاكسي، وصعدت الى غرفتي لأتناول كأساً صغيراً من الويسكي.

كنت أفضّل أن أكون صاحياً وواعياً، لكنني لم أكن كذلك. إذا كان الليل يخبيء لي مزيداً من العمل، لا داعي لأن أقدم عليه ومفعول الكحول بدأ يتلاشى في أعماقي. الكأس الصغير جدّد حيويتي. ملأت زجاجة صغيرة من قنينة كينغ جورج ووضعتها في جيبي ونزلت الى التاكسي.

كان منزل أليهو ويلسون مضاء من الأعلى الى الأسفل. فتح لي السكرتير الباب قبل أن أمدّ يدي الى الجرس. كان جسده النحيل يرتعش وهو يرتدي بيجاما زرقاء وروب حمام بلون أزرق داكن. كان وجهه النحيل يدل على شدّة انفعاله.

قال: أسرع! السيد ويلسون في انتظارك. وأرجوك، هل تستطيع إقناعه بإخراج الجثة؟

وعدته بذلك وصعدت وراءه الى غرفة نوم العجوز.

كان العجوز أليهو جالساً في سريره كما رأيته في المرة السابقة، لكن مسدساً أسود كان هذه المرة ملقىً على الغطاء بين يديه.

حين دخلت رفع رأسه عن الوسائد وجلس بظهر مستقيم وصرخ فيّ: هل تتحلّى بالشجاعة كما تتحلّى بالمقدرة على الادعاء؟

كان وجهه ممتقعاً بلون وردي داكن يدلّ على سوء صحته. زالت الغشاوة عن عينيه وصارتا حادتين ومتهيجتين.

تريثت في الردّ على سؤاله ونظرت الى الجثة الممدّدة على الأرض بين الباب والسرير.

إنها جثة رجل قصير وبدين يرتدي بدلة بنية وهو ممدّد على ظهره ويحدق بعينيه الجامدتين في السقف من تحت طرف قبعة رمادية. انفصل جزء من خدّه، وكان ذقنه مرفوعاً قليلاً فكشف عن رصاصة أخرى اخترقت رباط العنق والقبّة وحفرت تجويفاً في رقبته. إحدى ذراعيه كانت مطويّة تحته. وفي اليد الثانية كان يحمل هراوة بحجم قنينة الحليب. وحوله بقعة كبيرة من الدماء.

رفعت نظري الى الرجل العجوز. كانت ابتسامته شريرة وبلهاء.

قال: أنت ثرثار كبير. أعرف ذلك. كلامك مؤثر، اللعنة عليك وعلى كلامك. لكن هل عندك شيء آخر؟ هل عندك الشجاعة التي تتناسب مع ادعاءاتك؟ أم انك لا تمتلك إلا اللغة؟

أيقنت انه لا فائدة من محاولة متابعة حديثه، لذلك حدّقت فيه عابساً وذكّرته قائلاً: ألم أطلب منك عدم ازعاجي إلاّ إذا قررت أن تتحدث معي حديثاً مفهوماً؟

- طلبت ذلك فعلاً، يا صبيّ. قال ذلك وفي صوته نبرة انتصار وغباء، وتابع: وسوف أحدثك بكلام تفهمه. أريد رجلاً ينظف لي هذه المدينة التي تشبه زريبة الخنازير، أريده أن يطرد منها بالدخان الجرذان الكبيرة والصغيرة. هذه مهمّة يتولاها رجل قدير. هل أنت ذلك الرجل؟

قلت متذمراً: ولماذا تستخدم هذه التعابير الشعرية؟ إذا كان عندك عمل يتناسب مع مهنتي، وتريد أن تدفع أجراً لائقاً، قد أقبل به. لكن الكلام السخيف حول طرد الجرذان بالدخان وزريبة الخنازير لا يعني شيئاً بالنسبة لي.

- حسناً. أريد أن تصبح بيرسون فيل نظيفة من المحتالين واللصوص. هل هذا الكلام واضح بالنسبة لك؟

- لم تطلب ذلك هذا الصباح. لماذا تطلبه الآن؟

كان الشرح مطوّلاً وفيه انتهاك للحرمات وقد أتحفني به بصوت عالٍ وبتبجّح. وكان قوامه أن العجوز هو الذي بنى بيرسون فيل بيديه حجراً حجراً وهو يريد المحافظة عليها وإلا

فإنه سوف يمحوها عن الخارطة. لا أحد يستطيع أن يهدّده في مدينته، مهما كانت مكانته. قرّر أن يتركهم وشأنهم، لكنهم حين بدأوا يقولون له، هو أليهو ويلسون، أن يفعل كذا وألاّ يفعل كذا، قرّر كذا، قرّر أن يعيد الأمور الى نصابها. وأنهى حديثه وهو يشير بتبجّح الى الجثة ويقول:

ـ هذا سيثبت لهم أن العجوز لا يزال يحتفظ بلدغته.

تمنيت لو أنني كنت صاحياً لأن تهريجه حيّرني ولم أفهم قصده.

سألته وأنا منحن فوق القتيل: رفاقك أرسلوه؟

ـ لم أتحدث اليه إلاّ بواسطة هذا، ووضع يده على المسدس وأضاف: أعتقد أنهم هم الذين أرسلوه.

ـ ما الذي حدث؟

ـ الأمر في غاية البساطة. سمعت الباب ينفتح، أضأت النور، ورأيته أمامي فأطلقت النار عليه، وها هو أمامك.

ـ في أية ساعة؟

ـ كانت الساعة حوالى الواحدة.

ـ وتركته في الغرفة طوال هذه المدة؟

ـ أجل وضحك بوحشية وبدأ يتبجّح ثانية: هل يثير اشمئزازك منظر رجل ميت؟ أم انك تخاف من روحه؟

ضحكت لأنني أدركت أن العجوز كان خائفاً جداً. خبأ خوفه وراء تهريجه. أخذ يتباهى بمقدرته ولم يتركهم يبعدون الجثة. أرادها أن تظلّ أمامه ليحدق فيها، كي يداري رعبه،

لأنها الدليل المرئي على قدرته على الدفاع عن نفسه. صار الموقف واضحاً بالنسبة لي.

سألته: أنت تريد فعلاً تنظيف المدينة؟

ـ قلت لك انني أريد ذلك وأنا مصرّ عليه.

ـ يجب أن تعطيني حرية التصرّف ـ لا مجال لمراعاة أحد ـ أريد أن أقوم بهذه المهمة على طريقتي. وعليك أن تدفع لي مبلغ عشرة آلاف دولار.

ـ عشرة آلاف دولار! ولماذا أدفع مبلغاً كهذا لرجل لا أعرف عنه شيئاً؟ رجل لم يفعل شيئاً سوى الكلام؟

ـ لكن جدياً. حين قلت لك انك ستدفع لي كنت أقصد أنك ستدفع للوكالة. أنت تعرفها جيداً.

ـ فعلاً. والمسؤولون عنها يعرفونني. ومن المفروض أنهم يعرفون أيضاً أنني...

ـ ليس هذا هو المقصود. الأشخاص الذين تودّ تنظيف المدينة منهم كانوا أصدقاءك بالأمس. ربما تعود الى صداقتهم في الأسبوع المقبل. هذا لا يهمني، لكنني لا أريد أن ألعب دوراً سياسياً بالنسبة لك. لن أقبل أن تستخدمني لمساعدتك على استرجاع صداقتك معهم... وعندئذ ستطلب منّي التوقّف عن متابعة نشاطي. إذا كنت تريد تكليفي بهذه المهمة يجب أن تدفع الأجر كاملاً، وأية زيادة سوف نعيدها اليك. لكنك سوف تحصل على عمل متكامل أو لا شيء. هذا هو العرض الذي أقدمه لك، تستطيع أن تقبل به أو ترفضه.

قال باستياء: من الأفضل لي أن أرفضه.

تركني أنزل الي منتصف السلّم وناداني. وقال متذمراً: أنا رجل كهل، لو أنني أصغر بعشر سنوات... وحدّق فيّ وهو يشدّ على شفتيه سأعطيك الشيك الملعون!

ـ والحقّ بالتصرّف كما أشاء؟

ـ أجل.

ـ سوف ننجز ذلك الآن. أين السكرتير؟

ضغط ويلسون على جرس على الطاولة الصغيرة قرب سريره، وظهر السكرتير الصامت بعد قليل من المكان الذي كان يختبيء فيه.

قلت له:

ـ السيد ويلسون يريد أن يحرّر شيكاً بمبلغ عشرة آلاف دولار للوكالة الوطنية للتحرّي، ويريد أن يكتب للوكالة المذكورة.. فرع سان فرنسيسكو... رسالة تمنح الوكالة الحق في استخدام مبلغ العشرة آلاف دولار في التحقيق حول الجريمة والفساد في بيرسون فيل. ويجب أن تنصّ الرسالة بصراحة على حرية الوكالة في القيام بالتحريات اللاّزمة بالطريقة التي تجدها مناسبة.

نظر السكرتير الى العجوز مستفهماً، والعجوز عبس وأحنى رأسه موافقاً.

قلت للسكرتير وهو يمشي نحو الباب: لكن عليك أولاً أن تتصل بالشرطة وتخبرهم أن عندنا لصاً قتيلاً. ثم أطلب طبيب السيد ويلسون.

قال: العجوز انه لا يريد طبيباً.

ـ يجب أن تأخذ إبرة تساعدك على النوم. ومشيت فوق الجثة وتناولت المسدس عن السرير وقلت: سأبقى هنا الليلة، وفي الغد نغربل الأوضاع في بويزون فيل.

كان العجوز متعباً. أخذ يكيل لي الشتائم وهو يعلن رأيه بوقاحتي وجرأتي في تقرير ما هو أفضل بالنسبة له؛ صراخه بالكاد هزّ النوافذ.

رفعت القبعة عن رأس القتيل لتحسين منظره، لكن المحاولة لم تكن مفيدة، فأعدت القبعة إلى مكانها على رأسه.

حين وقفت قال لي العجوز بهدوء:

ـ هل وصلت لنتيجة في تحرياتك حول قاتل دونالد؟

ـ أعتقد ذلك. بعد يوم واحد أكون قد سوّيت هذا الأمر.

سألني: من هو القاتل؟

دخل السكرتير وهو يحمل الرسالة والشيك.

أعطيتهما للعجوز ولم أجبه على سؤاله. وقع بيد مرتجفة عليهما، فطويتهما ووضعتهما في جيبي، وبعد قليل وصل رجال الشرطة.

أول شرطي دخل الى الغرفة كان القائد البدين نونان. أحنى رأسه بمودّة لويلسون ومدّ يده يصافحني، ونظر بعينيه الخضراوين البرّاقتين الى القتيل.

قال: حسناً، حسناً. هذا عمل جيد، بغضّ النظر عن الشخص الذي ارتكبه. «ياكيما شورتي». وما هذا الذي يحمله؟ ودفع برجله الهراوة من يد القتيل، وأضاف: انها ضخمة وتكفي لإغراق سفينة.

ـ أنت قتلته؟ سألني.

ـ السيّد ويلسون.

ـ حسناً، هذا عظيم فعلاً. قال يهنيء العجوز.

ـ أنت أنقذت الكثيرين من مشاكل كثيرة، بمن فيهم أنا. احملوه يا رجال.

قال ذلك لأربعة رجال يقفون خلفه. فتقدّم رجلان يرتديان الزيّ الرسميّ ورفعا ياكيما شورتي من رجليه ومن إبطيه وحملاه الى خارج الغرفة، فيما حمل آخر الهراوة ومصباح جيب كان تحت الجثة.

قال نونان: لو أن كلّ انسان يقتل من يحاول الاعتداء عليه، ستكون الأوضاع جيدة.

تناول علبة سيجار من جيبه وألقى بسيجار على السرير وقدم لي واحداً ووضع الثالث في فمه.

ـ كنت أفكر بطريقة لأتصل بك، قال لي ذلك فيما كان كل واحد منّا يشعل سيجاره. عندي مهمة صغيرة فكرت في اشراكك فيها. كنت في صدد القيام بها حين تلقينا المخابرة بالحضور الى هنا.

وقرّب فمه من أذني وهمس قائلاً: سوف نلقي القبض على الهامس، هل تأتي معنا؟

ـ أجل.

ـ كنت متأكداً انك ستوافق. مرحباً أيها الطبيب!

ومدّ يده ليسلّم على الرجل الذي دخل، وكان قصير القامة

ممتلئاً، له وجه بيضويّ الشكل، وقد ظهرت عليه بوادر التعب، وعيناه الرماديتان لا تزالان ناعستين.

توجه الطبيب الى السرير، حيث كان أحد رجال نونان يسأل ويلسون حول عملية إطلاق النار. وخرجت مع السكرتير الى القاعة.

سألته: هل يوجد في البيت رجال غيرك؟

ـ أجل، السائق والطباخ الصينيّ.

ـ أطلب من السائق أن يمضي الليلة في غرفة العجوز. سأخرج الآن مع نونان وسأعود في أسرع وقت ممكن. لا أعتقد أن شيئاً سيحدث الليلة، لكن على أية حال لا تتركوا العجوز وحده أبداً. ولا تتركوه وحده مع نونان أو مع واحد من رجال نونان.

بدت الدهشة على وجه السكرتير وفي عينيه.

سألته: في أيّ وقت تركت دونالد ويلسون ليلة البارحة؟

ـ تعني ليلة ما قبل البارحة، الليلة التي قُتل فيها؟

ـ أجل.

ـ في التاسعة والنصف تماماً.

ـ كنت معه من الساعة الخامسة وحتى تلك الساعة؟

ـ من الخامسة والربع. راجعنا بعض الأوراق في مكتبه الى الساعة الثامنة تقريباً. ثم توجهنا الى مطعم بيارد وتابعنا جلسة العمل ونحن نتناول طعام العشاء. تركني عند الساعة التاسعة والنصف وقال انه مرتبط بموعد.

ـ ماذا قال لك عن هذا الموعد؟

ـ لا شيء.

ـ ألم يلمح الى المكان الذي يقصده، أو يُشِر الى الشخص الذي سيقابله؟

ـ اكتفى بالقول بأن عنده موعداً.

ـ وأنت، ألم تكن عندك فكرة حول هذا الموعد؟

ـ لا. لماذا تظنّ أن عندي أية فكرة حوله؟

ـ افترضت أنه ربما يكون قال شيئاً.

وعدت للحديث حول ما جرى الليلة، فسألته: من زار السيد ويلسون اليوم، بالاضافة للرجل الذي قتله؟

ـ أرجو المعذرة قال السكرتير وهو يبتسم معتذراً. لا أستطيع أن أقول لك ذلك بدون موافقة السيد ويلسون، آسف.

ـ ألم يأتِ بعض أصحاب النفوذ؟ ليو يارد مثلاً، أو...

هزّ السكرتير رأسه، وقال يردّد عبارته الأخيرة: آسف.

ـ لن نختلف حول هذه المسألة. قلت له ذلك وقررت التخلي عن محاولة استجوابه وعدت الى غرفة النوم.

خرج الطبيب وهو يضع معطفه. وقال على عجل: سوف ينام الآن. لا تتركوه وحده. سأعود في الصباح. وأسرع ينزل السلم.

دخلت غرفة النوم وكان القائد نونان والرجل الذي طرح الأسئلة على ويلسون واقفين قرب السرير. ابتسم القائد وكأنه شعر بالسعادة لرؤيتي. والرجل الآخر عبس. كان ويلسون ممدّداً على ظهره ويحدّق في السقف.

قال نونان: لم يعد أمامنا شيء نفعله هنا، ما رأيك في أن نذهب الآن؟

وافقت وتمنيت للعجوز ليلة سعيدة. ردّ قائلاً: «ليلة سعيدة» دون أن ينظر إليّ. دخل السكرتير ومعه السائق وهو شاب طويل وقوي البنية وقد لوّحت الشمس بشرته.

خرجت مع القائد والشرطي الآخر، وهو ملازم يدعى ماكغرو، واستقلينا سيارة القائد نونان. جلس ماكغرو قرب السائق، وجلست مع القائد نونان في المقعد الخلفيّ.

شرح لي نونان خطته فيما انطلقت بنا السيارة:

ـ سوف ننفذ ضربتنا عند الفجر. يمتلك الهامس حانة في شارع كينغ. وهو يغادرها عادة عند الفجر. نستطيع أن نقتحم المكان، لكن هذا يعني التورط في عملية تبادل إطلاق نار، ومن الأفضل معالجة الأمر برويّة. سنلقي القبض عليه أثناء مغادرته للحانة.

تساءلت ما إذا كان يقصد القاء القبض عليه أو اختطافه، سألته:

ـ هل عندك معلومات كافية لتوجيه تهمة له؟

ـ معلومات كافية؟ وضحك بمرح وأضاف: إذا كانت المعلومات التي أدلت بها السيدة ويلسون غير كافية أكون نشّالاً لا قائداً للشرطة.

فكرت في إجابة تصلح لقوله هذا، لكنني احتفظت بها لنفسي.


- ٦ -
حانة الهامس

توقفت بنا السيارة تحت صفّ من الأشجار في شارع مظلم لا يبعد كثيراً عن وسط المدينة. ترجلّنا من السيارة ومشينا الى ناصية الشارع.

تقدم نحونا رجل ضخم يرتدي معطفاً رمادياً، ويضع على رأسه قبعة رمادية تغطي جبهته.

قال الرجل الضخم للقائد: الهايس في الداخل. لقد اتصل بدونوهو وقال له انه سيظل في الحانة. وهو يقول لك إذا كنت تعتقد انك تستطيع اخراجه بالقوة ما عليك سوى أن تجرّب.

ضحك نونان ضحكة مكتومة وأخذ يحكّ أذنه وسأله مسروراً:

ـ كم تعتقد عدد الرجال الذين معه في الداخل؟

ـ حوالي الخمسين.

ـ آه، لا! لن يكون هذا العدد موجوداً في مثل هذه الساعة المتأخرة.

ردّ الرجل الضخم بإصرار: بالتأكيد يوجد هذا العدد.. انهم يدخلون الى الحانة جماعات وأفراداً منذ منتصف الليل.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- صحيح؟ يبدو أن هناك تسرّباً للخبر. كان عليك أن تمنعهم من الدخول.

ردّ الرجل الضخم بغضب: ربما كان يتوجّب عليّ ذلك، لكنني نفذت الأوامر التي أعطيتني. أنت قلت لي بأن أترك أي شخص يدخل أو يخرج، وحين يظهر الهامِس...

قال القائد: تلقي القبض عليه.

- أجل وافق معه الرجل الضخم وهو ينظر إليّ مقطباً جبينه.

انضم عدد من الرجال الينا وأخذنا نتبادل أطراف الحديث. الجميع كانوا مستائين، ما عدا القائد. بدا كأنه يستمتع بكلّ ما يحصل، ولم أعرف السبب في ذلك.

تقع حانة الهامس في مبنى من الآجر بثلاث طبقات يقع بين مبنيين كل منهما بطابقين. الطابق الأرضي في الحانة متجر لبيع السجائر وكان مدخلاً وغطاء لنادي القمار الموجود في الطابق العلويّ. وإذا صدقت معلومات الرجل الضخم يكون الهامِس قد جمع حوله في الداخل خمسين رجلاً مستعدين لخوض معركة لحمايته. وفي الخارج كانت القوة التي يعتمد عليها نونان منتشرة حول المبنى، في الشارع الأمامي، وفي الزقاق الخلفي، وعلى السطحين المحيطين بالمبنى.

قال القائد بمودّة في نهاية الحديث: حسناً، أيها الرجال. لا أعتقد أن «الهامِس» يريد التورط في متاعب لا مبرر لها، ولا نحن نريد ذلك أيضاً، وإلاّ فإنه كان سيحاول أن يخرج تحت غطاء من الرصاص قبل الآن، إذا كان معه في الداخل هذا العدد من الرجال، مع أنني بصراحة أعتقد أن العدد غير صحيح.. ليسوا كثيرين الى هذه الدرجة!

قال الرجل الضخم: لا خطأ في العدد.

تابع نونان يقول: إذا كان لا يريد المتاعب، أعتقد أن التحدث اليه قد يكون مفيداً. اذهب اليه يا نيكولاس وحاول اقناعه بأن يكون مسالماً.

قال الرجل الضخم: بالتأكيد سأفعل ذلك.

قال القائد: إتصل به هاتفياً إذاً.

قال الرجل الضخم: هذا أفضل. ومشى مبتعداً عنّا.

حين رجع بدا مرتاحاً للغاية وقال لقائده: يقول لك: اذهب الى الجحيم.

قال نونان فرحاً: أطلب من سائر الرجال أن يأتوا الى هنا، سوف نقتحم المكان مع بزوغ الفجر.

نيكولاس الضخم والقائد وأنا قمنا بجولة على الرجال، لأن القائد كان يودّ الاطمئنان على حسن المواقع التي يحتلونها. لم تعجبني أشكالهم... فريق من رجال وسخين ومحتالين وغير متحمسين للقيام بالمهمة الموكلة اليهم.

صار لون السماء رمادياً شاحباً. وقفت مع القائد ونيكولاس في مدخل دكان سمكريّ، مقابل الهدف في الجهة الثانية في الشارع.

كانت الحانة مظلمة، والنوافذ العليا معتمة، والستائر مسدلة على نوافذ دكان السجائر، وعلى الباب أيضاً.

قال نونان: لا أحبّ أن أبدأ الهجوم قبل إعطاء «الهايس» فرصة أخيرة. انه ليس سيئاً. لكن لا فائدة من أن أحاول التحدث اليه بنفسي، انه لا يحبني.

نظر اليّ؛ لم أقل شيئاً. ثم سألني: هل ترغب في القيام بهذه المحاولة؟

ـ أجل، سأحاول.

ـ هذا موقف رائع منك. أنا بالفعل أقدّر لك هذا. حاول إقناعه بمرافقتنا دون متاعب. تعرف ماذا ينبغي أن تقول له... من أجل مصلحته وأمور من هذا القبيل.

قلت له: أجل، واجتزت الشارع الى دكان السجائر، محاولاً جهدي أن تبدو يداي فارغتين وأنا أهزهما على جنبيّ.

بدأت أشعة الفجر الأولى تطلّ بهدوء. كان الشارع بلون الدخان. قدماي أصدرتا صوتاً عالياً على الرصيف.

توقفت أمام الباب وطرقت الزجاج بإصبعي، بهدوء. الستارة الخضراء التي تغطي الباب في الداخل جعلت الزجاج يتحول الى مرآة، رأيت فيها رجلين ينتقلان الى الجهة المقابلة من الشارع.

لا حركة في الداخل. طرقت الزجاج بصوت أعلى وأخذت أحرك مقبض الباب.

سمعت صوتاً من الداخل ينصحني قائلاً:

ـ ابتعد طالما انك لا تزال تستطيع ذلك.

كان الصوت منخفضاً لكنه لم يكن هامساً، لذلك فانه على الأرجح لم يكن صوت «الهامس».

قلت: أريد التحدث الى «الهامِس».

ـ اذهب وتحدث مع برميل الشحم الذي أرسلك.

ـ لست هنا من طرف نونان. هل تايلر موجود في مكان قريب بحيث يسمعني.

ساد صمت لفترة، ثم قال الصوت المنخفض: أجل.

قلت: أنا المفتش من الوكالة الوطنية للتحري الذي نبّه دينا براند بأن نونان يحاول الإيقاع بكما. أريد التحدث اليك خمس دقائق. لا علاقة لي بتونان سوى أنني أريد أن أفضح أمره، أنا وحدي الآن. سألقي مسدسي في الشارع إذا طلبت مني ذلك. دعني أدخل.

انتظرت. الأمر كله يتعلّق بالفتاة وما إذا كانت قد أخبرته بالحديث الذي دار بيننا. انتظرت فترة بدت لي طويلة.

قال لي الصوت المنخفض:

ـ عندما أفتح الباب تدخل بسرعة، ولا ترتكب أية حماقة.

ـ وأنا مستعد.

انفتح القفل، ودخلت مباشرة.

انهمر الرصاص من الناحية الأخرى من الشارع فتطاير زجاج الباب والنوافذ من حولي.

هناك من يسعى للإيقاع بي. الخوف أيقظ تفكيري ونبّه حواسي. كنت في موقف حرج. ضحك عليّ نونان، وهؤلاء الرجال سوف يعتقدون أنني ألعب لصالحه.

ارتميت على الأرض والتفتّ لأواجه الباب، وفي هذه الأثناء كنت أحمل مسدسي في يدي.

خرج نيكولاس الضخم من مدخل بناية ووقف على الرصيف المقابل يطلق النار علينا من مسدسين كان يحملهما.

ركّزت يدي التي أحمل بها المسدس على الأرض. صوّبت الفوّهة على نيكولاس وضغطت على الزناد. توقف نيكولاس عن إطلاق النار وجعل مسدسيه يتقاطعان على صدره وهوى على الرصيف.

وضع أحدهم يديه على قدمي وأخذ يجرّني الى الداخل، وأصيب ذقني بخدوش من جراء ذلك، ثم أغلق الباب وقال مازحاً:

ـ يبدو انك غير محبوب.

جلست وقلت: لا علاقة لي بما حدث.

هدأ الرصاص قليلاً، ثم توقف. ستائر الباب والنوافذ امتلأت بالثقوب الرمادية. سمعت صوتاً هامساً مبحوحاً يقول في العتمة: تُود، إبق مع سلاتس هنا ونحن سنصعد الى الطابق الثاني.

اجتزنا غرفة خلف المخزن، وخرجنا منها لنصعد سلماً مغطّى بالسجاد، ثم دخلنا الى غرفة في وسطها طاولة خضراء مخصّصة للعب القمار.

كانت الغرفة صغيرة، وبدون نوافذ، وكانت مضاءة.

كنا خمسة رجال. جلس تايلر وأشعل سيجارة. انه شاب أسمر نحيل وله وجه يبدو للوهلة الأولى وسيماً، لكن النظرة تتغيّر عند الانتباه للفم النحيل والقاسي. شاب آخر أشقر وذو ملامح حادة لم يكن يتجاوز العشرين، يرتدي بدلة من التويد، أسند ظهره الى الكنبة وأخذ ينفث دخان سيجارته الى السقف. وبجانبه وقف شاب ثالث أشقر مثله لكن ملامحه ليست حادة، وكان منشغلاً برباط عنقه القرمزيّ وبتمليس

شعره الباهت. وأخذ رجل رابع يروح ويجيء بضجر وهو يدندن لحن أغنية «الخدود الورديّة»، وكان نحيل الوجه،في الثلاثين من العمر تقريباً وله ذقن صغير جداً يكاد لا يظهر تحت فمه الكبير.

جلست على مقربة من تايلر.

سألني: كم من الوقت تستغرق عملية نونان هذه؟

لم يكن هناك أثر للانفعال في صوته الهامس والمبحوح، بل إحساس بالضيق.

قلت له: أنت هدف هذه العملية. أعتقد أنه سيتابعها حتى النهاية.

ابتسم المقامر ابتسامة نحيلة تدل على غروره.

ـ لا شك أنه يعرف أن الأدلّة تنقصه لتوجيه تهمة لي.

قلت: انه لا يقصد اثبات أي شيء في المحكمة.

ـ حقاً؟

ـ سوف يتخلص منك مدعياً انك مانعت في الاستسلام، أو حاولت الهرب... الهرب... لن يحتاج بعد ذلك لأدلّة.

ـ انه يزداد شراسة مع تقدمه في السنّ. وارتسمت على شفتيه النحيلتين ابتسامة ثانية. لا يبدو انه تأثر كثيراً بإصرار القائد السمين.

ـ في أيّ وقت يستطيع أن يتخلص مني أكون أستحقّ ذلك.

ـ وماذا لديه ضدّك؟

ـ حذر أنني سأضايقه.

ـ خسارة. قالت لي دينا انك شاب طيب. لكنك اسكتلندي فيما يخصّ المال.

ـ كانت زيارتي لها ممتعة. هل تستطيع أن تقول لي ماذا تعرف عن مقتل دونالد ويلسون؟

ـ زوجته قتلته.

ـ هل رأيتها؟

ـ رأيتها بعد إطلاق النار... والمسدس في يدها.

قلت له: كلامك هذا يسيء لنا معاً. لا أعرف تماماً الصورة التي أعددتها. إذا عرفت كيف ترسمها قد تنجح في عرضها أثناء المحاكمة، لكن لا تنسَ أن نونان سيكون لك بالمرصاد. كن صريحاً معي، إنني بحاجة لمعرفة الحقيقة فقط من أجل إنجاز المهمة الموكلة إليّ.

ألقى سيجارته على الأرض وسحقها تحت قدمه وسألني:

ـ وهل تقدمت بتحرياتك الى هذه الدرجة؟

ـ أخبرني ما حدث وسأكون جاهزاً لتضييق الخناق على القاتل... إذا تمكنت من الخروج من هنا.

أشعل سيجارة أخرى وسألني:

ـ هل قالت السيدة ويلسون انني أنا الذي اتصلت بها؟

ـ أجل... بعد أن أقنعها نونان بذلك. إنها تصدق ذلك الآن... على الأرجح.

قال: أنت خلصتنا من نيكولاس الضخم، وتستحق أن أثق بك. اتصل بي رجل في تلك الليلة. لم أعرف صوته ولم يخبرني اسمه. قال لي ان ويلسون توجّه الى بيت دينا ومعه

شيك بمبلغ خمسة آلاف دولار. قد تقول وما علاقتي أنا بذلك؟ بدا لي الأمر مسلياً لأن شخصاً لا أعرفه هو الذي نقل لي الخبر. ذهبت الى هناك. احتال عليّ دان وأبعدني عن البيت. لم أتضايق كثيراً لأنني كنت مأخوذاً بذلك الشخص المجهول الذي اتصل بي.

مشيت مسافة ووقفت في مدخل مبنى. رأيت سيارة السيدة ويلسون متوقفة في الشارع، لكنني لم أكن أعرف في حينه انها سيارتها أو انها موجودة في الداخل. خرج ويلسون بعد قليل وأخذ يبتعد في الاتجاه المعاكس. لم أر الطلقات لكنني سمعتها. ثم قفزت المرأة من السيارة وركضت نحوه. من المؤكد انها لم تطلق النار عليه. كان يجدر بي أن أهرب، لكن الأمر كان مسلياً، وحين تأكدت أن المرأة هي زوجة ويلسون، تقدمت نحوهما محاولاً أن أفهم ماذا جرى. كانت الحادثة مفاجئة، هل تفهمني؟ لذلك كنت مضطراً لإيجاد مخرج مناسب في حال تسرب خبر عن وجودي هناك. خدعت المرأة، وهذا كلّ ما حدث، بصراحة تامة.

قلت له: شكراً. من أجل هذا قصدتك. المهم الآن أن نخرج من هنا دون أن يصيبنا مكروه.

قال تايلر يطمئنني: لا توجد أية مشكلة، نستطيع أن نخرج من هنا متى نشاء.

ـ أريد أن أخرج الآن، وأعتقد انك أنت أيضاً يجب أن تخرج الآن. نونان يتربص بك، ولا داعي للمخاطرة. اهرب الآن واختبىء في مكان أمين حتى الظهر، وبذلك تكون نجوت من المكيدة التي نصبها لك.

وضع تايلر يده في جيب بنطلونه وتناول رزمة من الأوراق النقدية. عدّ مئة أو مئتين وبضع ورقات من فئات الخمسين والعشرين والعشرة، وأعطاها للرجل ذي الذقن الصغير وقال: اشترِ لنا مخرجاً، يا جيري، ولا داعي لأن تعطي أي واحد منهم أكثر من المعتاد.

أخذ جيري رزمة النقود، وتناول قبعته عن الطاولة وخرج ثم عاد بعد حوالى نصف ساعة وأعطى تايلر ما تبقّى من النقود وقال له:

ـ ننتظر في المطبخ الى أن يعطونا الإشارة.

نزلنا الى المطبخ المظلم وانضمّ إلينا آخرون.

بعد قليل ارتطم شيء بالباب.

فتح جيري الباب ونزلنا ثلاث درجات لنصل الى الفناء الخلفي. كان ضوء النهار يغمر المكان. أحصيت عشرة رجال معنا.

سألت تايلر: هؤلاء فقط؟

أحنى رأسه.

ـ قال نيكولاس انه يوجد خمسون رجلاً.

قال بازدراء: خمسون رجلاً لمواجهة تلك المجموعة القذرة؟

فتح لنا الباب الخلفي شرطي يرتدي الزيّ الرسمي، وقال بعصبية: بسرعة أرجوكم.

كنت مستعداً لأن أسرع لكنني انتبهت أن الرجال الآخرين لم يتأثروا بكلامه.

اجتزنا زقاقًا، ووصلنا الى بوابة أخرى فتحها لنا رجل يرتدي

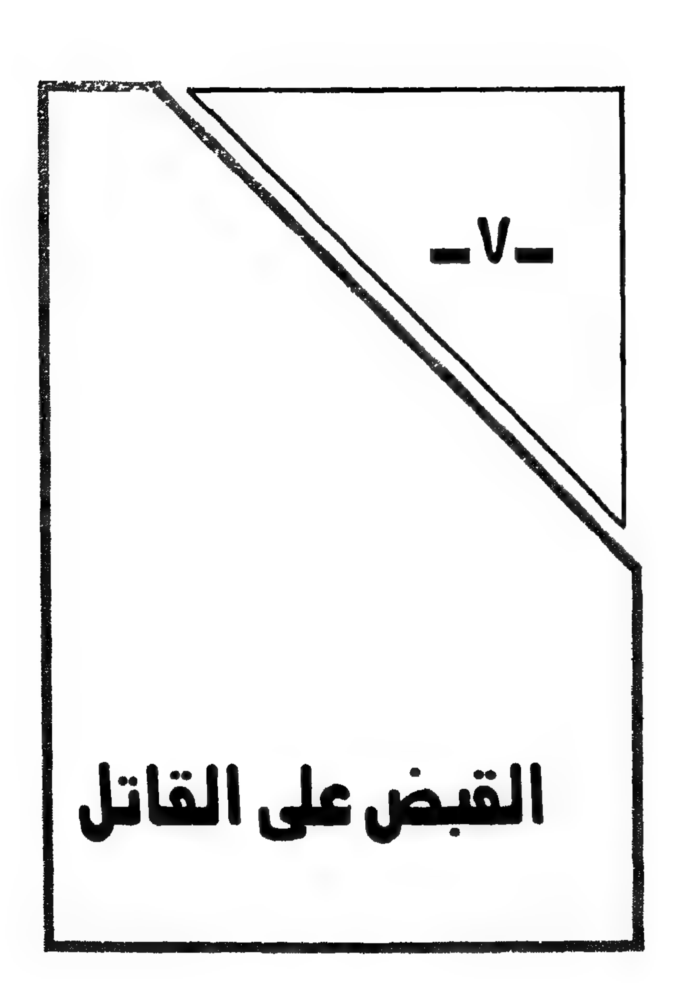
بدلة بنية اللون، ثم دخلنا الى بيت وخرجنا منه الى الشارع وركبنا في سيارة سوداء كانت متوقفة عند ناصية الشارع.

تولى القيادة أحد الرجال وكان يجيد اختيار السرعة المناسبة.

طلبت منه أن يوقفني في جوار فندق ويسترن الكبير. التفت السائق الى تايلر الذي أحنى رأسه موافقاً على طلبي. بعد خمس دقائق وصلنا الى الفندق.

قال لي المقامر هامساً: سأراك فيما بعد. وانطلقت بهم السيارة.

وقبل أن تنعطف وتختفي عن ناظري لمحت اللوحة المخصّصة لسيارات رجال الشرطة معلقة في مؤخرتها.



-٧-

القبض على القاتل

كانت الساعة الخامسة والنصف. مشيت مسافة حتى وصلت الى يافطة كهربائية غير مضاءة كتب عليها: فندق كراوفورد؛ صعدت على السلم الى مكتب الاستقبال في الطابق الثاني، سجّلت اسمي وطلبت من الموظف أن يوقظني في العاشرة صباحاً. دخلت غرفة رديئة وتناولت جرعة من الويسكي الذي أحمله في جيبي، وحملت معي الى السرير المسدس وشيك العجوز آليهو.

استيقظت في العاشرة، وارتديت ملابسي وقصدت مصرف فيرست ناشيونال حيث التقيت آلبري وطلبت منه أن يوقّع لي شيك ويلسون.

تركني أنتظر فترة. أعتقد أنه اتصل في تلك الأثناء بمنزل الرجل العجوز لكي يتأكد من الشيك. وأخيراً رجع ومعه الشيك وقد وقّعه كما ينبغي.

فتحت مغلّفاً ووضعت فيه رسالة العجوز والشيك وكتبت عليه عنوان الوكالة في سان فرنسيسكو وألصقت عليه طابعاً. خرجت من المصرف وألقيت بالمغلف في علبة البريد عند ناصية الشارع.

عدت الى المصرف وقلت للشاب:

ـ والآن قل لي لماذا قتلته؟

ابتسم وسألني: قتلتُ مَنْ، كوك روبين أم الرئيس لينكولن؟

ـ ألا تريد أن تعترف الآن وبطريقة مرتجلة أنك أنت قاتل دونالد ويلسون؟

قال وهو لا يزال يبتسم: لا أريد أن أكون فظّاً معك، لكنني أفضّل ألا أنفذ ما تطلبه.

قلت متذمراً: هذا يزيد الوضع سوءاً. لن نستطيع مناقشة هذا الموضوع هنا دون أن يزعجنا أحد. من هو الرجل البدين الذي يتقدم نحونا؟

احمرّت وجنتا الشاب وقال: انه السيد دريتون، أمين الصندوق.

ـ عرّفني به.

بدا غير مرتاح لطلبي، لكنه نادى أمين الصندوق. دريتون ـ رجل ضخم له بشرة وردية ناعمة، تغطي خصلة من الشعر الأبيض جزءاً من رأسه الأصلع الورديّ، ويضع نظارتين بلا إطار ـ تقدم نحونا.

أخذ مساعده يتمتم وهو يقدمني اليه. صافحت يد دريتون دون أن أرفع بصري عن الشاب.

قلت موجهاً كلامي الى دريتون: كنت أقول لمساعدك منذ قليل اننا نحتاج الى ركن هنا لنتبادل فيه حديثاً خاصاً. انه على الأرجح لن يعترف إلا بعد مزيد من المحاولات، ولا أريد أن يسمعني جميع الموظفين في المصرف وأنا أصرخ في وجهه.

ـ يعترف؟ قال أمين الصندوق وقد برز لسانه بين شفتيه.

ـ بالتأكيد. قلت ذلك برقّة بدت على ملامحي وفي صوتي وفي أسلوبي مقلّداً نونان، وسألته: ألم تكن تعرف أن آلبري هو قاتل دونالد ويلسون؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة مهذبة مفترضاً أنني أطلقت نكتة بلهاء، ثم التفت الى مساعده بعينين حائرتين. احمرّت وجنتا الشاب وهو يحاول أن يبتسم دون جدوى.

بلع دريتون ريقه ليجلو صوته وقال بحماسة: انه بالفعل صباح رائع. صار الطقس جميلاً.

قلت بإصرار: ألا توجد هنا غرفة هادئة نستطيع أن نتحدث فيها؟

التفت دريتون بعصبية الى الشاب وسأله: ما الأمر؟

تفوّه آلبري بكلمات لا أحد يستطيع أن يفهمها.

قلت: إذا تعذّر وجود مكان هادىء هنا سأكون مضطراً لاصطحابه الى مركز الشرطة.

التقط دريتون نظارتيه وهما تنحدران على أنفه، وأعادهما الى مكانهما وقال: تفضّلا معي.

مشينا وراءه؛ عبرنا الردهة ودخلنا الى غرفة كتب على بابها: المدير ـ انه مكتب العجوز أليهو، ولم يكن يوجد أحد في داخله.

أومأت الى آلبري ليجلس في أحد المقاعد، واخترت مقعداً لي، ووقف أمين الصندوق يسند ظهره الى طاولة المكتب يواجهنا.

قال لي: الآن يا سيدي هل تشرح لي ماذا يحدث؟

ـ سوف نتطرق الى ذلك، قلت له، والتفتّ نحو الشاب. كنت صديقاً لدينا وقد تخلّت عنك منذ فترة. أنت الوحيد الذي كنت على صلة حميمة بها وفي الوقت نفسه كنت تعرف موضوع الشيك كي تتصل بالسيدة ويلسون وتايلر. ويلسون تلقى رصاصات من مسدس عيار ٣٢ مثل هذا المسدس الذي تستخدمونه في المصرف. ربما لم يكن المسدس الذي استعملته للمصرف، لكنني أعتقد أنه كذلك. هناك إذاً مسدس ناقص. على أية حال سأطلب من خبير في الأسلحة أن يجري الفحوصات اللاّزمة على الرصاصات التي قتلت ويلسون والرصاصات التي تمّ إطلاقها من جميع المسدسات في المصرف.

نظر إليّ الشاب بهدوء ولم يقل شيئاً. بدا مسيطراً على نفسه. هذا ليس في صالحي. يجب أن أكون أكثر قسوة. قلت له:

ـ كنت متعلّقاً كالأبله بتلك الفتاة. وأنت اعترفت لي أنها لم توافق وهذا ما دفعك الى...

قال لاهثاً: أرجوك... أرجوك أن تسكت. وتورّدت وجنتاه ثانية.

تأملته بسخرية حتى خفض عينيه. فقلت له:

ـ لقد قلت الكثير يا بنيّ. كنت متحمساً كي تجعل من حياتك كتاباً مفتوحاً أمامي. هذا هو أسلوب القاتل الهاوي، يجد نفسه منساقاً الى التحدث بصراحة وعفوية.

كان يراقب يديه. عدت الى الهجوم:

ـ أنت تعرف أنك القاتل. تعرف ما إذا كنت قد استعملت مسدساً للمصرف وتعرف ما إذا أعدته الى مكانه. إذا كنت قد فعلت ذلك يكون هذا دليل اثبات قاطعاً ضدك. والمسؤول عن السلاح يستطيع أن يبتّ في الأمر. وإذا كنت لم تفعل ذلك، فسوف أجد دليلاً ضدك. لا داعي لأن أقول لك انه قد تتاح أمامك فرصة أو لا. أنت تعرف.

نونان يحاول الصاق التهمة بتايلر. لن يستطيع التوصل الى إدانته، لكنه دبّر له مكيدة وأحكم الحصار حول حانته بحيث انه قد يدعي أن تايلر قُتل أثناء مقاومته رجال الشرطة، وبذلك يكون موقف القائد سليماً. إنه ينوي أن يقتل تايلر، وتايلر تمكن من صدّ رجال الشرطة طوال الليل في حانته في شارع كينغ. وهو لا يزال ينجح في صدّهم... إلاّ إذا تمكنوا من الوصول اليه. أول شرطي يصل الى تايلر سوف يقتله.

إذا كنت تنوي التهرّب من مسؤولية الجرم الذي ارتكبت وتريد أن يقتل رجل آخر بسبب ذلك، فهذا شأنك. لكن إذا كنت متأكداً انك لن تتمكن من الإفلات... ولن تتمكن من ذلك إذا تمّ العثور على المسدس... أرجوك أن تعطي تايلر مجالاً لينجو بحياته.

قال آلبري بصوت كأنه صوت رجل عجوز: أريد... ورفع بصره قليلاً الى دريتون وقال: أريد... مرة ثانية ثم سكت.

سألته: أين المسدس؟

قال: في الركن المخصص لهاربر.

التفت نحو أمين الصندوق وأنا عابس وسألته: هل تستطيع أن تأتي به؟

خرج مباشرة وكأنه كان سعيداً لأنني سمحت له بالخروج.

قال الشاب: لم أكن أنوي أن أقتله. لا أعتقد أنني كنت أنوي ذلك.

أحنيت رأسي أشجعه على مواصلة كلامه، محاولاً أن أبدو متعاطفاً معه بجدية.

قال: لا أعتقد أنني كنت أنوي قتله، مع أنني أخذت المسدس في جيبي. كنت على حقّ حين قلت انني مولع بدينا كالأبله... أقصد كنت مولعاً بها. وفي بعض الأيام كانت حالتي أسوأ من أيام أخرى. واليوم الذي أحضر فيه ويلسون الشيك الى المصرف كان من الأيام الأكثر سوءاً. لم أعد أفكر سوى أنني خسرتها لأن لا مال لديّ، وهو يحمل اليها خمسة آلاف دولار. هل تستطيع أن تفهم ذلك؟ كنت أعرف انها وتايلر... أنت تعرف ماذا أقصد. وحتى لو أنني عرفت أن بينها وبين ويلسون علاقة أيضاً، دون أن أرى الشيك، ما كنت سأفعل شيئاً، أنا متأكد من ذلك. رؤية الشيك هي السبب - وادراكي أنني خسرتها بسبب فقدان المال الذي كان بحوزتي.

راقبت بيتها في تلك الليلة ورأيته وهو يدخل كنت خائفاً من أيّ تصرف أقدم عليه لانني كنت في حالة سيئة والمسدس في جيبي. بكلّ صدق أقول لك انني لم أكن أنوي أن أفعل شيئاً. كنت خائفاً. لم أكن أفكر إلاّ بالشيك، وبخسارتي لها. فكرت أن أتصل بزوجة ويلسون وأخبرها لأنني كنت أعرف أنها غيورة، وجميع الناس يعرفون ذلك عنها. لا أعرف تماماً بماذا فكرت لكنني توجهت الى مخزن عند ناصية الشارع واتصلت بها. ثم اتصلت بتايلر. يجب أن يكونا هناك. لو أنني

فكرت بأي شخص آخر له علاقة بدينا أو بويلسون كنت سأتصل به أيضاً.

ثم عدت الى مكاني لأراقب بيت دينا. جاءت السيدة ويلسون، من بعدها وصل تايلر، وكل واحد منهما أخذ يراقب البيت. شعرت بالسعادة؛ وجودهما هناك أزال عني الخوف مما أقدم عليه. بعد فترة خرج ويلسون وبدأ يمشي في الشارع. نظرت الى سيارة السيدة ويلسون والى المدخل الذي كان يختبىء فيه تايلر. لم يحاول أي واحد منهما القيام بأي تصرّف وويلسون بدأ يبتعد. أدركت عندئذٍ سبب رغبتي في وجودهما. كنت آمل أن يقوم واحد منهما بتصرف ما... وبذلك لا أعود مضطراً لأن أقوم بنفسي بأيّ تصرف. لكنهما لم يتحركا وهو كان يبتعد. لو أن واحداً منهما لحق به أو قال له شيئاً ما كنت سأتحرك.

لكنهما لم يفعلا. أذكر أنني تناولت المسدس من جيبي. بدا كلّ شيء غير واضح أمامي، كأن عيني امتلأتا بالدموع. ربما كنت أبكي. لا أذكر أنني صوبت المسدس وضغطت الزناد عن سابق إصرار، لكنني أذكر صوت الطلقات، وأن الصوت كان صادراً من المسدس الذي أحمله. لا أذكر ماذا حدث لويلسون، ما إذا سقط قبل أن ألتفت وأعدو في الزقاق، أم لا. حين وصلت الى البيت نظفت المسدس ولقّمته، وأعدته الى مكانه في ركن أمين الصندوق صباح اليوم التالي.

ونحن في طريقنا الى مركز الشرطة، اعتذرت منه لأجل الطرق الملتوية التي لجأت اليها بقصد استدراجه وشرحت له الموقف قائلاً:

ـ كنت مضطراً أن أضغط على مشاعرك. أسلوبك في الحديث عن الفتاة يدلّ على انك ممثل بارع ومن الصعب أن تنكسر بتوجيه ضربات غير مباشرة.

أجفل وقال ببطء: لم يكن ذلك كله تمثيلاً. حين شعرت أنني في خطر، أواجه الحكم بالإعدام، لم تعد... لم تعد مهمة بالنسبة لي كما كانت. لم أستطع ولا أستطيع الآن... أن أفهم تماماً لماذا فعلت ذلك. هل تفهم ماذا أعني؟ أشعر أن الموضوع بأسره تافه... وأنا تافه أيضاً. أعني الموضوع بأسره منذ البداية.

لم أجد شيئاً أقوله سوى عبارة لا معنى لها: تحدث الأمور على هذا النحو.

في مكتب القائد التقينا بأحد الرجال الذين شاركوا في حصار الليلة الماضية... رجل أحمر الوجه يدعى بيدل. حملق فيّ بعينين رماديتين بفضول، لكنه لم يطرح عليّ أي سؤال حول ما حدث في شارع كينغ.

اتصل بيدل بمحام شاب يدعى دارت من مكتب المدعي العام. كان آلبري يعيد على مسامع بيدل ودارت وأحد الكتاب رواية الحادثة، حين وصل قائد الشرطة وبدا كأنه نهض من سريره منذ قليل.

قال لي نونان: أنا مسرور جداً لرؤيتك، وأخذ يهزّ يدي الى الأعلى والى الأسفل ويربت على كتفي، ثم أضاف: يا الهي! كنت في موقف حرج البارحة... الجبناء! كنت واثقاً انهم قتلوك لكننا وجدنا الحانة فارغة عندما اقتحمنا المكان. أخبرني كيف تمكن هؤلاء الأوغاد من الخروج.

ـ اثنان من رجالك فتحا لهم المجال للخروج من الباب

الخلفي، وتركا لهم سيارة شرطة ليهربوا بواسطتها. أخذوني معهم كي لا أعطيك هذه المعلومات.

ـ اثنان من رجالي؟ سألني بدون استغراب، وأضاف: حسناً، حسناًا وكيف شكلاهما؟

فوصفتهما له.

قال: انهما شور وريوردان. كنت سأحزر ذلك. والآن، ما الذي يجري هنا؟ والتفت نحو آلبري.

أخبرته بإيجاز فيما تابع الشاب الإدلاء بأقواله.

ضحك ضحكة خافتة وقال: حسناً، حسناً، لقد ظلمت «الهامِس». يجب أن أجده لأبرّر له تصرفاتي. أنت الذي سلّمت الشاب؟ هذا رائع فعلاً. أهنئك وأشكرك. وصافحني مرة ثانية وقال: أنت لا تفكر بمغادرة مدينتنا الآن، أليس كذلك؟

ـ لا، لن أغادرها الآن.

ـ هذا رائع قال ذلك للمرة الثانية.

خرجت لتناول الفطور والغداء. ثم قصدت الحلاق لأحلق ذقني وأقصّ شعري، وأرسلت برقية الى الوكالة أطلب فيها ارسال ديك فولي وميكي لينهان الى بيرسون فيل؛ وعدت الى غرفتي لتغيير ملابسي، وتوجهت الى بيت موكلي.

كان العجوز أليهو جالساً في مقعد قرب النافذة التي تتسرب منها أشعة الشمس وهو ملتف بغطاء صوفي. مدّ لي يده يصافحني ويشكرني على الكشف عن قاتل ابنه.

رددت بجواب ملائم الى حدّ ما؛ ولم أسأله كيف وصلته الأخبار.

قال: الشيك الذي أعطيتك البارحة ليس أكثر من أجر تستحقه على هذا العمل.

ـ الشيك الذي وصلني من ابنك قبل ذلك يكفي لتسديد هذا الأجر.

ـ فلنقل ان الشيك الثاني علاوة إذاً.

قلت له: للوكالة قوانينها التي ترفض قبول العلاوات أو المكافآت.

احمرّت وجنتاه.

ـ حسناً، اللعنة...

سألته: هل نسيت أن الشيك الذي أعطيتني سيغطي كلفة تطهير بيرسون فيل من الجريمة والفساد؟

قال بانزعاج: كان ذلك هراء. كنا منفعلين ليلة البارحة. وسوف نغضّ النظر عن هذا الموضوع.

ـ أنا لن أغضّ النظر.

أخذ يكيل الشتائم، ثم قال: المال مالي ولن أقبل بتضييعه على أمور لا قيمة لها. إذا كنت لا تريده مقابل ما فعلت ردّه لي.

قلت: كفّ عن الصراخ في وجهي، لن أعطيك شيئاً سوى مدينة نظيفة. هذا ما طلبت، وهذا ما ستأخذ. تعرف الآن أن ابنك قتله آلبري، ولم يقتله أحد رفاقك. انهم يعرفون الآن ان تايلر لم يكن يساعدك للايقاع بهم. بعد وفاة ابنك ستعدهم أن

الصحيفتين لن تتابعا حملتهما، وبذلك يعمّ الهدوء وكل شيء يصبح جميلاً.

قلت لك انني أتوقع حدوث تغيير في موقفك. من أجل ذلك حسمت الأمر معك. لم تعد تستطيع شيئاً الآن. الشيك يحمل توقيع المصرف، ولم يعد بامكانك وقف دفع قيمته. ورسالة التفويض ربما لا تكون بمثابة عقد عمل لكنك سوف تضطر للذهاب الى المحكمة لتثبت انها ليست كذلك. إذا كنت تريد تعقيد الأمور وترغب في هذه الدعاية، تفضّل؛ وسوف أعمل ما في وسعي لكي تنال الكثير منها.

قائد الشرطة البدين حاول قتلي ليلة البارحة. وهذا لا يعجبني. أنا حقود لدرجة أنني أريد القضاء عليه لأجل هذا فقط. الآن جاء دوري لكي أستمتع. معي عشرة آلاف دولار ألعب بها. سوف أستخدم المبلغ لكي أكشف بويزون فيل من الداخل. سوف تصلك التقارير تباعاً. أتمنى أن تعجبك.

وخرجت من البيت ولعناته تحوم حول رأسي.



- ٨ -
المحاولة الثانية

أمضيت معظم بعد الظهر وأنا أكتب تقريراً يشمل الأيام الثلاثة لعملية دونالد ويلسون. ثم جلست أتأمل وأفكر في عملية أليهو ويلسون حتى حان موعد العشاء.

نزلت الى قاعة الطعام واخترت شريحة من اللحم مع الفطر حين سمعت خادماً ينادي اسمي.

قادني الخادم الى كشك التلفون. رفعت السماعة لأسمع صوت دينا براند الكسول وهي تقول:

ـ ماكس يريد أن يراك. هل تستطيع الحضور هذه الليلة؟

ـ الى بيتك؟

ـ أجل.

وعدتها بذلك وعدت الى قاعة الطعام لتناول وجبتي. بعد ذلك صعدت الى غرفتي في الطابق الخامس. فتحت الباب لأدخل وأضأت المصباح.

اخترقت رصاصة إطار الباب وفتحت فيه ثغرة بالقرب من رأسي.

رصاصات أخرى فتحت ثغرات مماثلة في الباب وفي إطاره

وفي الجدار، لكنني كنت في تلك الأثناء نجحت في الوصول الى زاوية آمنة غير مواجهة للنافذة.

في الجهة المقابلة في الشارع يوجد مبنى من أربع طبقات مخصّص للمكاتب، وسطحه أعلى بقليل من مستوى نافذة غرفتي. السطح معتم، والغرفة مضاءة، لا فائدة من محاولة رؤية شيء في مثل هذه الظروف.

نظرت حولي أبحث عن شيء أكسر به المصباح، وجدت كتاباً، قذفته باتجاه المصباح الذي تحطم وحلّ الظلام في الغرفة.

توقف الرصاص.

زحفت الى النافذة وركعت رافعاً رأسي قليلاً عند زاويتها. كان سطح المبنى المقابل مظلماً وعالياً بحيث لا أستطيع أن أرى شيئاً خلف حافته.

مضت عشر دقائق وأنا أحدق بعين واحدة ولم أجن من ذلك إلاّ إلتواء في رقبتي.

رفعت السماعة وطلبت من الموظفة أن ترسل الى غرفتي رجل الأمن في الفندق.

كان رجلاً بديناً، له شارب أبيض وجبهته مستديرة تشبه جبهة طفل. كان يضع على رأسه قبعة صغيرة لا تغطي جبهته. اسمه كيفر، ولقد تأثر للغاية بعملية إطلاق النار.

أتى مدير الفندق، وهو رجل ممتلىء الجسم يحسن السيطرة على ملامح وجهه وعلى صوته وعلى تصرفاته. لم ينفعل على الإطلاق. قال ان هذه الحادثة غير اعتيادية لكنها ليست

خطيرة، وكانت نبرة صوته تعلو وتهبط كأنها العصا التي يرفعها شخص يتقدم عرضاً في الشارع.

وضعنا مصباحاً جديداً وأضأناه، وأحصينا فجوات الرصاص فوجدنا أنها عشر.

جاء رجال الشرطة، ثم ذهبوا ليعودوا الينا وقد فشلوا في العثور على أيّ أثر. اتصل نونان وتحدث مع الرقيب المسؤول، ثم تحدث معي:

ـ عرفت منذ قليل بما حدث. من تعتقد قد يكون وراء هذا؟

كذبت عليه وقلت: ليست لديّ أية فكرة.

ـ هل أنت مصاب؟

ـ لا.

قال بخماسة: هذا رائع فعلاً. سوف نلقي القبض عليه، كن متأكداً من ذلك. هل تريدني أن أترك برفقتك اثنين من الرجال كي لا تتعرّض لمحاولة اعتداء ثانية؟

ـ لا، شكراً.

قال بالحاح: تستطيع أن تطلبهما إذا أردت.

ـ لا، شكراً.

كنت مضطراً أن أعده بزيارته عند أقرب فرصة، وقال لي ان مركز الشرطة في بيرسون فيل تحت تصرّفي، وحاول أن يفهمني أن أي مكروه يصيبني سوف يدمّر حياته، وفي النهاية تمكنت من التخلص منه.

ذهب رجال الشرطة. نقلت أغراضي الى غرفة أخرى لا

يستطيع الرصاص الوصول اليها بسهولة. ثم بدلت ملابسي وتوجهت الى شارع هاريكاين لملاقاة المقامر «الهامِس».

فتحت لي الباب دينا براند. فمها الممتلىء كانت تغطيه طبقة من أحمر الشفاه بشكل مرتّب لكن شعرها الكستنائي ما زال بحاجة للتوضيب، قسمته كيفما اتفق، وثوبها من الحرير البرتقالي كان ملطخاً.

قالت: لا تزال على قيد الحياة إذاً؛ لا فائدة. تفضل بالدخول.

دخلنا الى غرفة الجلوس التي تسود فيها الفوضى. كان دان رولف مقابل تايلر يلعبان لعبة «البيناكل» بورق الشدّة. رولف أحنى رأسه حين رآني. تايلر وقف ليسلّم عليّ.

قال لي بصوته المبحوح: وصلني انك أعلنت الحرب على بويزون فيل.

- لا تلق باللّوم عليّ. عندي زبون يريد تنظيف المكان.

- كان يريد ذلك، وهو لا يريده الآن. قال يصحّح لي معلوماتي وسألني: لماذا لا تتخلّى عن هذه القضية؟

أجبته بخطاب: لا. لم تعجبني الطريقة التي عاملتني بها بويزون فيل. والفرصة متاحة لي الآن لتسوية الوضع. عرفت انك رجعت الى النادي الذي يضمّ جميع الإخوة، وعفا اللّه عمّا سلف. تريدون العيش بأمان. أنا أيضاً كنت أريد العيش بأمان منذ فترة، لكنني لم أستطع، لذلك لم أرجع الى سان فرنسيسكو.

اعترض سيبلي نونان البدين على نحو خاص. خلال يومين حاول التخلص مني مرتين. هذا كثير. الآن جاء دوري لكي

أدمر حياته، وهذا ما أنوي عليه. حان موسم الحصار في بويزون فيل. هذا العمل يروق لي وسوف أنفّذه.

قال المقامر: إذا بقيت على قيد الحياة.

قلت موافقاً معه: فعلاً! قرأت في الصحيفة هذا الصباح عن رجل اختنق ومات في سريره وهو يتناول قطعة حلوى بالشوكولاته.

ـ ربما يكون هذا مناسباً قالت دينا براند وهي ترتاح على الكنبة: لكن الخبر لم يكن في صحيفة هذا الصباح.

أشعلت سيجارة وألقت بعود الثقاب على الأرض. كان المقامر يجمع الأوراق ويخلطها مرة تلو الأخرى، بلا هدف.

قطّب تايلر جبينه وقال لي: ويلسون يريدك أن تحتفظ بالعشرة آلاف دولار. اكتفِ بذلك.

ـ عندي ميل للؤم، ومحاولة قتلي تجعلني أفقد السيطرة على أعصابي.

ـ لن تجني من هذا الكلام إلاّ صندوقاً خشبياً. أنا معك. أنت الذي منعت نونان من الإيقاع بي. لهذا السبب أقول لك إنس كل شيء وعُدْ الى سان فرنسيسكو.

قلت له: وأنا معك. لهذا السبب أقول لك أتركهم. لقد خانوك مرة وسوف يفعلون ذلك ثانية. على أية حال إنهم في طريق الانحدار، اتركهم طالما أن الفرصة متاحة لك.

ـ وضعي جيد، وأعرف كيف أهتم بنفسي.

ـ قد تكون على حقّ. لكن أنت تعرف أن عملية ابتزاز

الأموال لن تدوم طويلاً؛ انتهى وقت الغنائم، وحان وقت الهرب.

هزّ رأسه الصغير وقال:

ـ أعرف انك قوي، لكنني لست مجنوناً كي أتصور أنك تستطيع أن تواجه هذا المعسكر. انه محصّن جداً. لو كنت مقتنعاً بأنك تستطيع أن تقلب الأوضاع، كنت وقفت في صفك. أنت تعرف موقفي من نونان. لكنني واثق أنك ستفشل، يجب أن تتخلى عن هذه القضية.

ـ لا. سوف أبذل جهدي حتى آخر قرش من المبلغ الذي دفعه أليهو.

قالت دينا براند وهي تتنهد: قلت لك انه ملعون عنيد ولن يستمع للعقل. هل عندنا ما نشربه يا دان؟

وقف المسلول وخرج من الغرفة.

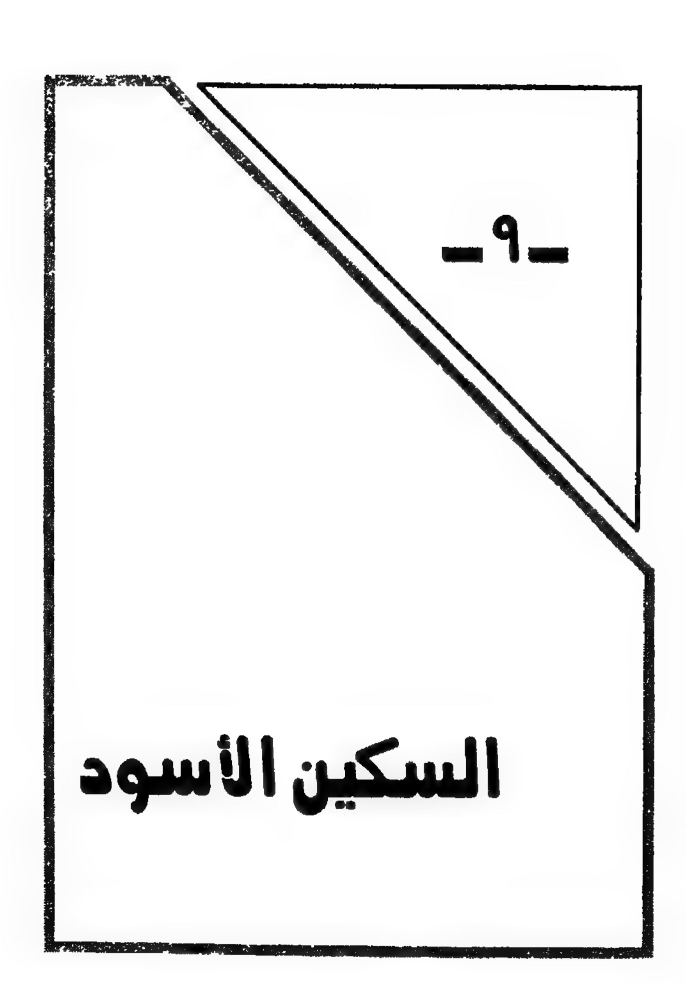
هزّ تايلر كتفيه وقال:

ـ افعل ما يحلو لك. من المفروض أنك تعرف ماذا تفعل. هل تنوي حضور حفلة المصارعة ليلة الغد؟

قلت له انني أفكر في ذلك. عاد دان رولف ومعه «جين» وبعض المكسّرات. تناول كلّ واحد منا كأسين وأخذنا نتحدث عن الملاكمة. لم يعد أحد يشير الى مسألة وقوفي في مواجهة بويزون فيل. يبدو أن المقامر فقد الأمل من اقناعي، لكنه لم يتضايق من عنادي. أعطاني معلومات هامة حول حفلة الملاكمة ـ قال لي ان الرهان جيد على كيد كوبر لأنه سوف يهزم آيك بوش في الجولة السادسة. كان يقول لي ذلك

وكأنه واثق من كلامه، ولم يستغرب دان ودينا أن يكون تايلر مطّلعاً على مثل هذه الأمور.

تركتهم حوالى الساعة الحادية عشرة وعدت الى الفندق ونمت بهدوء.



- ٩ -

السكين الأسود

استيقظت صباح اليوم التالي وأنا عازم على تنفيذ فكرة خطرت لي. عدد سكان بيرسون فيل لا يتجاوز الأربعين ألفاً؛ ليس من الصعب إذاً نشر خبر معيّن بينهم. في الساعة العاشرة بدأت عملية النشر هذه.

دخلت صالات البليارد وعند بائعي السجائر، والحانات غير المرخّصة والمقاهي ونواصي الشوارع حيث ألتقي ببعض المتسكعين. واعتمدت في عملية النشر الأسلوب التالي:

- «معك عود ثقاب؟... شكراً... هل ستحضر حفلة الملاكمة الليلة؟... سمعت أن آيك بوش سيهزم في الجولة السادسة... هذا التوقع له أهمية: وصلني من الهامِس... الحقّ معك، كلهم كذلك».

الناس يحبون الاستماع الى معلومات تصلهم من مصادر موثوقة، وكلّ خبر له علاقة بتايلر في بيرسون فيل كان يعتبر موثوقاً جداً. انتشر الخبر بسرعة. أكثر من نصف الذين تحدثت اليهم في البداية اجتهدوا مثلي في نشره، ليقولوا فقط انهم يعرفون كلّ شيء.

حين بدأت حملتي كان الرهان على أن آيك بوش سوف يفوز والعرض من سبعة الى أربعة، ومن إثنين الى ثلاثة بأنه سوف يفوز بالضربة القاضية. وعند الساعة الثانية بعد الظهر لم تعد أية حانة حيث يتم تقديم المراهنات تعطي عرضاً أفضل من استرداد المبلغ المدفوع، وعند الثالثة والنصف كان الرهان على كيد كوبر يقدم اثنين مقابل واحد.

توقفت أخيراً في مطعم صغير، وأوصلت الخبر الى الخادم واثنين من الزبائن فيما كنت أتناول سندويشاً ساخناً من لحم البقر.

حين خرجت وجدت رجلاً ينتظرني أمام الباب. له رجلان متقوستان وفكان طويلان وحادّان كفكي الخنزير. أحنى رأسه ومشى بجانبي وهو يمضغ عوداً لتنظيف الأسنان، وكان ينظر اليّ شزراً بطرف عينه. عند ناصية الشارع قال لي:

ـ أعرف جيداً أن هذا غير صحيح.

ـ وما هو؟

ـ أن آيك بوش سوف يخسر. أعرف جيداً أن هذا غير صحيح.

ـ لا داعي لأن تزعج نفسك بهذا الكلام إذاً. لكن أموال العقلاء تراهن على كوبر والعرض: اثنين مقابل واحد، وهو لا يستطيع أن يكون قوياً لهذه الدرجة إلاّ إذا سمح له بوش بذلك.

بصق الرجل العود بعد مضغ طرفه وكشف لي أسنانه الصفراء.

- قال لي بنفسه البارحة، ان كوبر يخوض مباراة ليس له أيّ حظ في الفوز فيها، وهو لا يخدعني... بشكل خاص أنا.

- هل هو صديق لك؟

- ليس تماماً. لكنه يعرف أنني... اسمع! هل قال لك «الهامِس» ذلك، بكلّ صدق؟

- بكل صدق.

أخذ يلعن بمرارة وقال: وأنا راهنت بآخر خمسة وثلاثين دولاراً امتلكها في هذه الدنيا على ذلك الوغد بعد الذي قاله لي. معي أنا! قد يسوقه هذا التصرّف الى... وسكت وهو يلتفت حوله.

سألته: يسوقه الى ماذا؟

قال: الكثير. لا شيء.

قلت له أقترح عليه:

- إذا كان عندك شيء تقوله، نستطيع أن نتحدث في ذلك. لا مانع عندي أن يفوز بوش. إذا كانت لديك معلومات مفيدة، ماذا يمنعك من احاطته علماً بذلك؟

نظر إليّ، وإلى الرصيف، وأخذ يبحث في جيبه عن عود آخر، فوضعه في فمه وقال:

- من أنت؟

أعطيته اسماً يشبه هانتر أو هانت أو هانتغتون، وسألته عن اسمه. قال لي ان اسمه «ماك سوين» بوب ماك سوين، وانني أستطيع أن أسأل أي شخص في المدينة عن اسمه وأتأكد انه هو.

قلت له انني أصدقه وسألته: ما رأيك؟ هل نضغط على بوش؟

التمعت عيناه ببريق انطفأ بسرعة.

بلع ريقه وقال: لا. أنا لا أصلح لذلك. لم أفعل...

ـ لم تفعل شيئاً سوى أنك تركت الآخرين يحتالون عليك. لا داعي لأن تواجهه يا ماك سوين. أعطني المعلومات وأنا أنفذ اللعبة... هذا إذا كانت المعلومات تستحق ذلك.

فكّر في الأمر وهو يلعق شفتيه، تاركاً العود يقع من فمه ليستقرّ على قبّة معطفه. وسألني: وأنت لن تبوح لأحد أن لي علاقة بذلك؟ أنا أعيش هنا، وسأكون في وضع صعب لو انتشر هذا الخبر. وأنت لن تستخدم ذلك ضده؟ سوف تستخدمه فقط من أجل اقناعه بأن يواجه خصمه؟

ـ أجل.

تناول يدي وهو مضطرب وسألني: هل تحلف بشرفك؟

ـ أحلف بشرفي.

ـ إسمه الحقيقي آل كينيدي. كان أحد الذين شاركوا في الهجوم على شركة كيستون تروست في مدينة فيلي منذ سنتين، حين قتل الحشد اثنين من السعاة. لم يشارك آل في عملية القتل، لكنه كان موجوداً هناك. كان يشارك في حفلات الملاكمة في فيلي. ألقى رجال الشرطة القبض على عدد من المهاجمين، وهو تمكن من الهرب. لهذا السبب تجده هنا. ولهذا السبب يرفض نشر صورته في الصحف أو أن يضعها على أية لوحة إعلانية. هل تفهم. وضعه الآن؟ آيك

بوش هو آل كينيدي الذي تطارده شرطة فيلي من أجل حادثة كيستون. هل تفهم؟ كان موجوداً في...

ـ فهمت. فهمت. وقاطعته كي لا يعيد عليّ السرد مرة ثانية. من الأفضل أن أراه. كيف أستطيع ذلك؟

ـ انه يقيم في ماكسويل، شارع يونيون. أعتقد انك تجده الآن هناك يرتاح قبل المباراة.

ـ ولماذا يرتاح؟ انه لا يعرف أنه سوف يواجه خصمه. سوف نحاول جهدنا لاقناعه بذلك.

ـ نحن! نحن! من أين أتيت بها؟ قلت... لقد أقسمت أنك لن تكشف أمري.

ـ هذا صحيح. الآن تذكرت. كيف هو شكله؟

شعره أسود، وهو نحيل القامة، وله أذن اصطناعية، وحاجباه كثيفان يلتقيان فوق أنفه. لست متأكداً أنك ستجعله يغيّر رأيه.

ـ اترك هذا الأمر لي. أين أجدك فيما بعد؟

ـ سأكون في صالة ماري. انتبه كي لا تذكر شيئاً عنّي. أنت وعدتني.

كان فندق ماكسويل واحداً من مجموعة من الفنادق التي تنتشر في شارع يونيون، وكلّ فندق منها له باب ضيّق بين متجرين، وسلّم عتيق يفضي الى غرفة استقبال في الطابق الثاني. كانت غرفة الاستقبال في فندق ماكسويل رحبة وفيها منضدة خشبية طويلة وعلى الحائط خلفها لوح لتعليق المفاتيح عليه رفّ للرسائل، واللوح والمنضدة بحاجة الى طلاء. على

المنضدة جرس نحاسيّ ودفتر تسجيل وسخ. لم أجد أحداً هناك.

أخذت أتصفّح الدفتر ووجدت في الصفحة الثامنة اسم آيك بوش، مدينة سالت لايك، ٢١٤. لم يكن مفتاح تلك الغرفة معلّقاً على اللوح. صعدت على السلم الى الدور الثالث ووجدت الباب الذي يحمل الرقم. قرعت الباب، ولم يردّ عليّ أحد. أعدت الكرة مرتين وثلاث مرات ثم نزلت الى قاعة الاستقبال.

سمعت وقع خطوات شخص يصعد. وقفت عند أعلى السلم أنتظر. كان الضوء كافياً لأراه.

إنه نحيل ومن الواضح أنه قوي، ويرتدي بدلة زرقاء ويضع قبعة رمادية. حاجباه السوداوان يرسمان خطاً فوق عينيه.

قلت له: مرحباً.

أحنى رأسه دون أن يتوقف أو يقول شيئاً.

سألته: هل ستفوز الليلة؟

ردّ باختصار وهو يتابع سيره: أرجو ذلك.

تركته يصعد السلم بضع درجات قبل أن أقول له: وأنا أيضاً. سأكون متضايقاً أن أصطحبك الى فيلي، يا آلْ.

صعد درجة أخرى، ثم التفت نحوي ببطء شديد، وأسند كتفه الى الحائط وتأملني بنظرة ناعسة وقال وهو يشد على أسنانه: ماذا؟

ـ إذا تركت واحداً مثل كيد كوبر يتفوق عليك في الجولة

السادسة، أو في جولة أخرى، سأكون متضايقاً جداً. لا تفعل ذلك يا آل. أنت لا تريد أن ترجع الى فيلي.

خفض الشاب رأسه ونزل متوجهاً إليّ. اقترب مني وتوقف وهو يميل بجنبه الأيسر قليلاً الى الأمام، وقد أرخى يديه على جنبيه. بينما كانت يداي في جيبي معطفي.

سألني ثانية: ماذا؟

قلت: حاول أن تتذكر هذا... إذا لم يتمكن بوش من الفوز الليلة، سيكون آل كينيدي في طريقه الى الشرق غداً صباحاً. رفع ذراعه الأيسر قليلاً. وضعت يدي على المسدس في جيبي تحسّباً.

قال منزعجاً: ومن قال لك انني لن أفوز في المباراة؟

ـ سمعت شيئاً من هذا القبيل. لم أر فيه سوى بطاقة سفر للعودة الى فيلي.

ـ أنت تستحق أن أصفعك، أيها المحتال البدين.

قلت أنصحه: يجب أن تتخذ قرارك الآن. إذا فزت الليلة لن تراني ثانية على الأرجح. وإذا خسرت سوف تراني ثانية، ولن تكون يداك طليقتين.

وجدت ماك سوين في صالة ماري للبليارد. فسألني: هل التقيت به؟

ـ أجل. كل شيء على ما يرام... إذا لم يهرب من المدينة، أو يقل شيئاً للمراهنين عليه، أو انه لن يأبه لما قلته، أو...

ازدادت حدّة توتر ماك سوين. فقال يحذرني: من الأفضل أن

تكون حذراً للغاية. قد يحاولون التعرض لك. انه... عندي موعد هام. وتركتني.

كانت مباريات البطولة في الملاكمة تقام في مبنى خشبي كبير يقع في ضاحية المدينة، وفي السابق كانت توجد مدينة للملاهي في ذلك المكان.

وصلت في الساعة الثامنة والنصف ووجدت معظم سكان المدينة هناك، يجلسون على مقاعد متلاصقة امتدت في صفوف حول الحلبة، وبعضهم يجلس على مقاعد خشبية في الشرفتين اللتين تطلاّن على الحلبة.

دخان. روائح كريهة. حرارة. ضجيج.

جلست على مقعد في الصف الثالث، قرب الحلبة.

رأيت دان رولف يجلس في مكان غير بعيد عنّي وبجانبه دينا براند. رتبت شعرها أخيراً، قصّت أطرافه وجعلته متماوجاً، وكانت تبدو مثل صرّة من المال في معطف فرو رمادي ضخم.

تبادلنا التحية، وسألتني: هل راهنت على كوبر؟

- لا. هل راهنتِ عليه بمبلغ كبير؟

- ليس المبلغ كبيراً كما كنت أريد. تريثنا معتقدين أن المردود سيكون أفضل بكثير، لكن توقعاتنا لم تكن صحيحة.

قلت: يبدو أن كل سكان المدينة يعرفون أن بوش سوف يهزم. منذ قليل رأيت حوالى مئة شخص يراهنون على كوبر بنسبة أربعة الى واحد.

انحنيت فوق رولف وقرّبت فمي من أذن الفتاة التي كادت قبة معطف الفرو تحجبها، وقلت لها هامساً: الضربة القاضية

أُلغيت. من الأفضلَ أن تغيري الرهان طالما لا يزال الوقت يسمح بذلك.

اتسعت عيناها اللتان برزت فيهما خيوط حمراء دقيقة، وازدادت حدّة السواد فيهما من القلق والطمع والفضول والشك.

سألتني بصوت أجشّ: هل تعني ما تقول؟

ـ أجل.

شدّت على شفتيها المحمرّتين وسألتني عابسة: من أين لك هذه المعلومات؟

لم أقل لها. شدّت على شفتيها أكثر وسألتني:

ـ هل يعرف ماكس بذلك؟

ـ لم أره. هل هو موجود هنا؟

ـ أعتقد ذلك. قالت وهي شاردة الذهن وفي عينيها نظرات بعيدة. وتحرّكت شفتاها وكأنها بدأت تحسب بينها وبين نفسها.

قلت لها: افعلي ما يحلو لك، القرار يتطلب شجاعة.

انحنت الى الأمام لتحدّق في عينيّ وجعلت أسنانها تتطقطق، وفتحت حقيبتها لتتناول رزمة كبيرة من الأوراق النقدية بحجم كوب القهوة. أعطت رولف قسماً منها وقالت:

ـ أسرع يا دان وراهن بهذه على بوش. أمامنا ساعة لتراقب الوضع.

حمل رولف المال وتوجه الى المكان المخصّص للمراهنات.

جلست مكانه. وضعت يدها على ذراعي وقالت: اللّه يساعدك إذا كنت السبب في خسارة هذا المبلغ.

تظاهرتُ أن مجرّد التفكير بهذا الأمر سخيف.

بدأت المباريات الأولى بين مجموعة من الهواة. ولم تكن الجولة الواحدة تستمر أكثر من أربع جولات. كنت طوال هذه الفترة أنظر حولي بحثاً عن تايلر، لكنني لم أره.

كانت الفتاة متضايقة ولا تعير الملاكمة اهتماماً، وقد قسّمت وقتها بين محاولتها أن تعرف من أين أتيت بالمعلومات وبين تهديدها وتوعّدها لي إذا خسرت المال الذي دفعته.

بدأت الجولات في المرحلة نصف النهائية، وعاد رولف وهو يحمل حفنة من البطاقات. أخذت الفتاة تتأملها، وأنا تركت مقعدي بجانبها. ودون أن تنظر إليّ قالت: انتظرنا في الخارج عند نهاية المباريات.

تمكنت بصعوبة من الوصول الى مقعدي. صعد كيد كوبر الى الحلبة. انه شاب قوي البنية له شعر أحمر غير كثيف، وجهه منبعج ويبدو مكتنز اللحم وهو يضع بنطلوناً قصيراً. آيك بوش، أي آل كينيدي، صعد الى الحلبة من الجهة المقابلة، بنيته أفضل ـ نحيل ومتناسق وعنده ليونة في الحركة ـ لكن وجهه كان شاحباً، مهموماً.

وقف الحكم بينهما يعرّف الواحد منهما بالآخر، ثم تلا عليهما التعليمات المعروفة، وعاد كلّ منهما الى زاويته ليخلع روب الحمام الذي يرتديه ويشد جسمه الى الحبال. رنّ الجرس المنبّه ايذاناً ببدء الملاكمة.

كان كوبر متطفلاً بليداً. ضربته تؤذي إذا تلقّاها خصمه،

لكن أي شخص يستطيع أن يتفاداها. بوش محترف ـ رجلاه رشيقتان، ويده اليسرى سريعة وتتحرك باتقان، واليمنى تبتعد بالسرعة ذاتها. من غير المقبول أن يوضع كوبر في الحلبة مع هذا الشاب النحيل لو أن هذا الأخير يحاول أن يصدّ الهجمات. لم يكن يحاول ذلك. لم يكن يحاول أن يفوز. كان يحاول العكس وبذل قصارى جهده من أجل ذلك.

تهادى كوبر في مشيته حول الحلبة وهو يسدّد ضرباته في كلّ الاتجاهات. كان أسلوبه يقضي بتوجيه الضربات عشوائياً علّها تصيب خصمه. كان بوش يتقدم ويتراجع، موجهاً ضربة الى الصبي ذي الشعر الأحمر من حين لآخر، ضربة ضعيفة وكأنه يضربه بقفّازه فقط.

بدأ المتفرجون يطلقون صيحات الاستياء منذ الجولة الأولى. والجولة الثانية لم تكن أفضل. لم أكن مرتاحاً. يبدو أن بوش لم يتأثر بحديثي معه. رأيت دينا براند بطرف عيني وهي تحاول أن تلفت انتباهي. كانت متوترة. حاولت أن أتهرّب من النظر اليها.

استمرت المباراة الودية في الشوط الثالث، وصراخ الجمهور يتعالى: أخرجا من هنا، لماذا لا تقبّله، نريد ملاكمة. رنين الجرس فصل بينهما وعاد كل واحد الى زاويته فيما هدأ الضجيج قليلاً.

كوّرت يديّ على شكل بوق وصرخت:

ـ ارجع إلى فيلي يا آل.

كان بوش يدير ظهره لي. وجّه ضرباته الى كوبر واستدار وهو يرمي به على الحبال، حتى صار يواجهني.

انطلقت صيحة أخرى من أحد المقاعد البعيدة: ارجع الى فيلي يا آل.

أعتقد أنه ماك سوين.

رفع رجل سكران رأسه وصرخ مردّداً الكلمات نفسها، وضحك كأنه يردّد نكتة. بدأ بعض المتفرّجين يردّدون العبارة لأنهم لاحظوا أنها تضايق بوش.

عيناه كانتا تتحركان بسرعة ذات اليمين وذات اليسار تحت حاجبيه اللذين يشبهان سدّاً أسود.

احدى ضربات كوبر العشوائية وصلت الى وجه الشاب النحيل.

وقع آيك بوش عند قدمي الحكم.

عدّ الحكم خمس مرات في ثانيتين، ورنين الجرس قاطعه بسرعة.

التفتّ نحو دينا براند وضحكت. لم يعد بوسعي أن أفعل شيئاً آخر. نظرت أليّ ولم تضحك. بدت على وجهها علامات المرض حتى صار يشبه وجه دان رولف، لكنه كان أكثر منه حدّة.

ترنّح كيد كوبر في مشيته كأنه طفل صغير، وأخذ يتقدم على نحو متقطع. انتظر بوش حتى وصل خصمه الى وسط الحلبة وانقضّ عليه.

وجّه بوش ضربة سريعة بيده اليسرى الى بطن كوبر تأوه كوبر من الألم وسقط إلى الخلف.

تلقّاه بوش بضربة عاجلة من يده اليمنى على فمه، وسدّد اليه اليسرى ثانية. تأوّه كوبر مجدّداً وترنّحت ركبتاه.

ضربه بوش على رأسه، ثمّ دفع له برفق رأسه ليستعيد وضعه وترك قبضته اليمنى تهوي عليه.

استولى التوتر الشديد على الحضور.

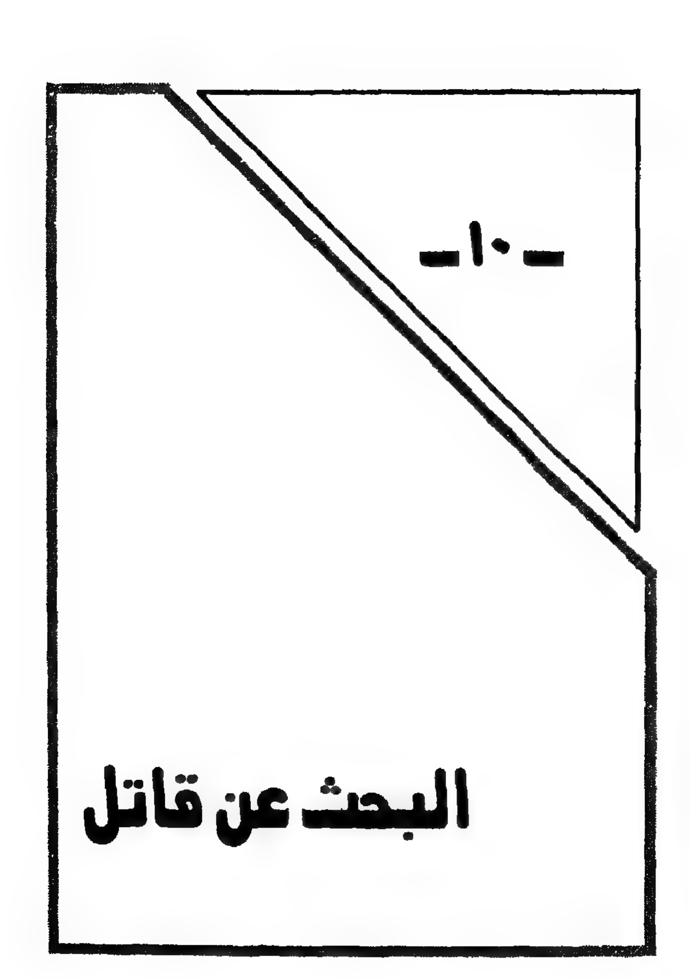
ارتمى كوبر على الأرض، تأرجح قليلاً ثم تمدد. عدّ الحكم الى الرقم عشرة في نصف دقيقة، ولم يكن الوضع سيتغيّر حتى لو استغرق العدّ نصف ساعة. كيد كوبر كان غائباً عن الوعي.

حين انتهى الحكم أخيراً من عملية العدّ، رفع يد بوش، ولم يكن وجهه أو وجه بوش يوحي بالفرح.

التمع الضوء فجأة أمامي. وميض فضي قصير سقط من احدى الشرفتين. امرأة صرخت.

توقف انحدار الشعاع الفضي في الحلبة وسمعت صوت ارتطامه الحادّ.

ترك آيك بوش يد الحكم وهوى فوق كيد كوبر، وفي قبضته سكّين سوداء برزت في عنقه.



- ١٠ -

البحث عن قاتل

تركت المبنى بعد نصف الساعة، ووجدت دينا براند جالسة وراء مقود سيارتها «المارمون» الصغيرة ذات اللون الأزرق الباهت. كانت تتحدث مع ماكس تايلر الذي وقف في الطريق.

كان ذقنها مرفوعاً إلى الأعلى وفمها الأحمر الممتلىء كان يصوغ الكلام بانفعال، والخطوط عند طرفيه كانت واضحة وحادّة.

كان المقامر متضايقاً مثلها. وجهه الوسيم كان يميل الى الاصفرار والى القساوة كأنه من خشب السنديان؛ حين يتكلم يشدّ على شفتيه النحيلتين.

حفلة عائلية ممتعة، ما كنت لأنضمّ اليها لولا أن الفتاة رأتني وصرخت:

- يا الهي، اعتقدت أنك لن تخرج أبداً.

تقدمت من السيارة. رمقني تايلر بنظرة غير وديّة.

- في الليلة الماضية نصحتك بالعودة الى سان فرنسيسكو.

كان صوته مبحوحاً وصراخه خشناً: الآن أنا أطلب منك أن ترحل.

قلت له وأنا أصعد الى جانب الفتاة: أشكرك على أيّ حال.

فيما كانت تدير محرّك السيارة قال لها:

ـ ليست هذه المرة الأولى التي تتخلين فيها عني. وستكون الأخيرة.

تحركت السيارة قليلاً؛ التفتت الفتاة اليه وقالت له كأنها تردّد كلمات أغنية: «إلى الجحيم، يا حبيبي»!

قادت سيارتها بسرعة في شوارع المدينة. سألتني وهي تنعطف لتدخل شارع برودواي: هل مات بوش؟

ـ طبعاً. حين مدّدوه على ظهره كان نصل السكين بارزاً اخترق رقبته من الأمام.

ـ كان من الأفضل له أن يفوز في هذه المباراة لأنه اتفق معهم على خسارتها. أنا جائعة. كسبت هذه الليلة ألفاً ومئة، وإذا كان صديقي لا يعجبه ذلك هو حرّ. وأنت ماذا كانت حصيلة الليلة معك؟

ـ لم أراهن على أيّ منهما. تعتقدين أن الوضع لا يعجب ماكس؟

صرخت: لم تراهن؟ أيّ غبيّ أنت؟ من يتردّد في المراهنة وهو يعرف أن نتيجة المباراة متفق عليها؟

ـ لم أكن واثقاً من الاتفاق على النتيجة. تعتقدين أن الوضع لا يعجب ماكس إذاً؟

ـ أنت حزرت، لأنه خسر مبلغاً كبيراً. وهو متضايق لأنني انتبهت وغيّرت الرهان وربحت.

أوقفت السيارة فجأة أمام مطعم صينيّ: اللعنة على هذا القزم!

التمعت عيناها لأنهما كانتا مبلّلتين. مسحتهما بمحرمة ونزلنا من السيارة وقالت وهي تمسك بيدي: يا إلهي، أنا جائعة، هل تشتري لي كمية كبيرة من «الشوَمَن»(*)؟

لم تأكل كمية كبيرة، لكنها التهمت صحنها ونصف صحني. ثم عدنا الى السيارة وتوجهنا الى بيتها.

كان دان رولف في غرفة الطعام. على الطاولة وبجانبه زجاجة ماء وزجاجة بنية اللون ليس عليها كتابة. كان جالساً يحدق في الزجاجة، وفي الغرفة فاحت رائحة اللّودنوم(**).

خلعت دينا براند معطف الفرو وتركته وألقت به على كرسيّ فتدلّى نصفه على الأرض، وفرقعت بأصابعها الى المسلول وقالت له بنفاد صبر:

ـ هل حصلت على المال؟

لم يرفع نظره عن الزجاجة، وتناول رزمة من الأوراق النقدية من جيب معطفه الداخلي ووضعها على الطاولة. أخذتها الفتاة وعدت الأوراق مرتين، ثم طبعت عليها قبلة وأودعتها حقيبتها.

(*) الشوَمَن: طعام يُعدّ من فطر وبصل ولحم وخضار ويُقدّم مكسوّاً بطبقة من المعكرونة.

(**) اللودنوم: مستحضر من الأفيون.

توجهت الى المطبخ وأخذت تقطع لوحاً من الثلج. جلست وأشعلت سيجارة. كان رولف لا يزال يحدقّ في الزجاجة. لم نكن نتبادل الحديث عادة. عادت الفتاة بعد قليل ومعها زجاجة من «الجين» وعصير ليمون ومياه معدنية فوّارة وقطع من الثلج.

شربنا وقالت لرولف: ماكس متضايق جداً. وصله انك راهنت في اللحظة الأخيرة على بوش، والغبيّ يعتقد أنني خنته. ما علاقتي أنا بذلك؟ لم أفعل شيئاً سوى أنني وضعت المال على الفائز، وهذا تصرّف طبيعي.

والتفتت إليّ تسألني: هل كان لي دخل فيما حدث؟

ـ لا.

ـ بالطبع لا. المشكلة بالنسبة لماكس أن الآخرين سيعتقدون أنه هو أيضاً غيّر الرهان، وانه راهن بمبلغ كبير مثلي على الملاكم الآخر. هذا من سوء حظّه. يستطيع أن يفعل ما يحلو له. سأتناول كأساً آخر.

وأعدت لنفسها كأساً ولي أيضاً. لم يكن رولف تناول شيئاً من كأسه. قال وهو لا يزال يحدّق في الزجاجة البنية: أنت لا تتوقعين منه طبعاً أن يتقبل ما حدث بسعادة.

عبست وردّت بفظاظة: أتوقع ما أريد. ولا يحقّ له أن يكلمني بتلك الطريقة. انه لا يمتلكني. قد يعتقد أنه يمتلكني وأنا سوف أثبت له العكس.

أفرغت كأسها دفعة واحدة ووضعته بعصبية على الطاولة، واستدارت لتواجهني. هل أعطاك أليهو ويلسون عشرة آلاف دولار لتنظيف المدينة؟

ـ أجل.

تألقت عيناها الحمراوان وسألتني:

ـ وإذا ساعدتك هل تعطيني جزءاً منها؟

ـ لا تستطيعين أن تفعلي ذلك يا دينا. قال لها رولف بصوت أجشّ وبقسوة ملطفة وكأنه يتحدث الى طفلة: لأنه تصرّف قذر.

وقفت دينا براند بسرعة واستدارت حول الطاولة لتقف قربه. حدّق فيها بعينين بليدتين ومخدّرتين. انحنت فوقه وسألته:

ـ صرت الآن قذرة بالنسبة لك؟

ردّ بصراحة: قلت لك انك إذا خنت أصدقاءك من أجل هذا الرجل سيكون تصرّفك قذراً، وهذه هي الحقيقة.

مدّت يدها وقبضت على معصمه وأخذت تلويه حتى وقف على ركبتيه، وبيدها الثانية صفعته على وجهه عدّة مرات ورأسه أخذ يترنح من جانب الى جانب. كان يستطيع أن يرفع يده الثانية ويحمي وجهه، لكنه لم يفعل ذلك.

تركت معصمه وأدارت له ظهرها لتملأ كأسها بالجين والمياه الفوّارة. كانت تبتسم، ولم تعجبني ابتسامتها.

كانت عيناه نصف مفتوحتين، ومعصمه أحمر اللون مكان قبضتها، ووجهه مزرقّ. وقف بهدوء ونظر الي بعينيه البليدتين.

بدون أن يطرأ أي تغيير على ملامح وجهه الفاترة وعلى عينيه، مدّ يده الى جيب معطفه وأخرج مسدساً صغيراً وأطلق عليّ النار.

كانت يده ترتعش ولم يكن سريعاً ولا دقيقاً في تصويبه. رميته بالكأس، فارتطم بكتفه وسمعت أزيز الطلقة فوق رأسي.

قفزت قبل أن يتمكّن من إطلاق الثانية واقتربت منه لأنزع المسدس من يده. انطلقت الرصاصة الثانية وأصابت الأرض.

ضربته على وجهه، ترنح ووقع ولم يتحرك عن الأرض.

استدرت.

كانت دينا براند تستعدّ لتضربني على رأسي بزجاجة المياه الفوارة، وهي زجاجة ثقيلة كانت تكفي لتهشم جمجمتي. فصرخت قائلاً: لا تفعلي ذلك.

قالت باستياء: لماذا ضربته بعنف؟

ـ انقضى الأمر الآن. من الأفضل أن ترفعيه عن الأرض.

وضعت الزجاجة من يدها، وساعدتها على حمله الى غرفة نومه. حين بدأ يحرّك عينيه تركتها معه تمدّده على سريره ونزلت الى غرفة الطعام. نزلت بعدي بخمس عشرة دقيقة.

قالت: انه على ما يرام. لكن كان بامكانك التعامل معه بأسلوب آخر.

ـ صحيح، لكنني فعلت ذلك من أجله. هل تعرفين لماذا أطلق عليّ النار؟

ـ كي يتخلص من الشخص الذي سأبيع ماكس اليه؟

ـ لا. أطلق علي النار لأنني كنت شاهداً على معاملتك السيئة له.

ـ لا أفهم ماذا تعني. أنا عاملته بخشونة لا أنت.

ـ انه يحبك، وهذه ليست المرة الأولى التي تسيئين فيها

التعامل معه. تصرّف وكأنه يعرف مسبقاً أن لا فائدة من محاولة التفوّق عليك جسدياً، لكن لا تعتقدي أنه استمتع بوجود رجل آخر يشاهدك وأنتِ تصفعينه على وجهه.

قالت متذمرة: توصلت الى قناعة بأنني أفهم الرجال. لكن، يا الهي! أنا لا أفهم. جميعهم مجانين، جميعهم.

ضربته لأرد اليه بعض الاعتبار. تصرّفت معه على أنه رجل يواجهني وليس مجرّد بائس تصفعه الفتيات.

تنهّدت وقالت: كما تريد. أقرّ بأنني عاجزة. يجب أن نشرب.

ملأت الكأسين وترشفنا القليل منهما.

قلت: قلت انك مستعدة للعمل معي اذا كانت لك حصة من المبلغ الذي دفعه ويلسون.. حصتك موجودة.

ـ كم هي؟

ـ بالقدر الذي تستحقين. سوف تكون بقيمة المساعدة التي تقدمينها.

ـ هذا غير واضح.

ـ ومساعدتك أيضاً غير واضحة، حتى الآن.

ـ فعلاً؟ أستطيع أن أزودك بالمعلومات، معلومات كثيرة، ولا تظنّ عكس ذلك. أنا أعرف بويزون فيل جيداً.

نظرت الى جوربها الرمادي الرقيق ولوحت برجلها قائلة بانفعال: انظر الى هذا! انسلّ منه خيط. هل تعرف شيئاً يمنع حدوث ذلك؟ أقسم أنني لن أرتدي مثل هذه الجوارب ثانية.

قلت لها: رجلاك مكتنزتان وتضغطان على الجورب.

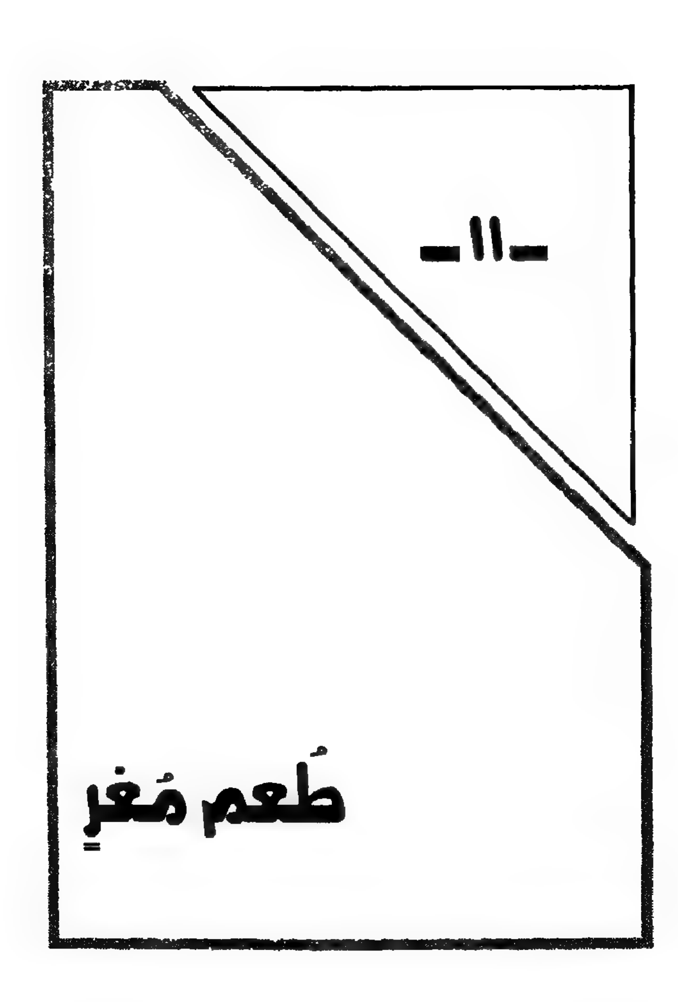
- لا علاقة لك بذلك. والآن ما هو تصوّرك لتطهير المدينة؟
- إذا كانت معلوماتي صحيحة يكون تايلر وبيتر الفنلندي وليو يارد ونونان المسؤولين عن دفع بويزون فيل للوصول الى الحالة المزرية السائدة الآن. والعجوز أليهو له نصيبه أيضاً، لكن ما حدث لم يكن بسبب سوء تصرّفه فقط. وإلى جانب ذلك هو موكّلي مع انه ربما لا يكون مرتاحاً لذلك، لكنني أفضل معاملته برفق.

الفكرة التي أحاول تنفيذها الآن تستند الى استغلال أي عمل قذر تورطوا فيه وأحاول الحصول على براهين لادانتهم. قد ألجأ الى نشر دعاية - مطلوب جريمة قتل - رجل أو امرأة. إذا كانوا على درجة الاحتيال التي أتصوّرها، أعتقد أنني سأتوصّل الى أدلّة ضدّهم.

- هل كانت هذه نيتك حين غيّرت الاتفاق الذي تمّ حول الملاكمة؟
- كان ذلك مجرد تجربة - لأرى ماذا سيحدث فقط.
- هذا هو أسلوبكم إذاً؛ مفتشون علميون. يا إلهي! أنت رجل بدين وكهل وصعب المزاج وعنيد، وأسلوبك في العمل غامض ولم أسمع به من قبل.

قلت لها: لا بأس في التخطيط أحياناً. وفي بعض الأحيان لا بأس في استثارة الأمور - إذا كان المرء يعرف كيف يحافظ على حياته ويكون حذراً حتى يرى مباشرة ما يريد عند حدوثه.

قالت: هذا الكلام يستدعي تناول كأس آخر.


-11-
طُعم مُغرٍ

تناولنا المزيد من الشراب.

وضعت كأسها ولعقت شفتيها وقالت: إذا كنت تنوي استثارة الأمور، عندي لك طعم فيه إغراء كبير. هل سمعت أن نونان عنده أخ يدعى تيم، وقد انتحر في «موك لايك» منذ سنتين؟

ـ لا.

ـ على أية حال، كنت ستسمع أخباراً غير طيبة. تيم لم ينتحر، ماكس قتله.

ـ حقاً؟

ـ أرجوك، إصح. إنني أخبرك أمراً مهمّاً. كان نونان يعتبر تيم ابناً له. إذا قدمت له البرهان يبدأ بمطاردة ماكس دون رحمة. هذا ما تريد، أليس كذلك؟

ـ وهل عندنا البرهان؟

ـ وصل اثنان الى تيم قبل مفارقته الحياة، وقال لهما ان ماكس هو الجاني. لا يزالان في المدينة، مع أن واحداً منهما لن يعيش فترة طويلة، ما رأيك؟

تدلّ ملامحها على أنها تقول الحقيقة، مع أنّ هذا الادعاء قد يكون بلا معنى بالنسبة لأية امرأة، وبشكل خاص النساء ذوات العيون الزرقاء.

قلت لها: أخبريني البقية. أنا أحبّ التفاصيل.

ـ لا بأس. هل زرت من قبل بحيرة موك؟ انها منتجع للصيف يقصده سكان المدينة، يبعد ثلاثين ميلاً ولكي تصل اليه يجب أن تسلك طريق الوادي. المكان بشع لكنه بارد في الصيف، وفي هذا الفصل تنشط فيه الحركة.

الحادثة التي أنقلها لك جرت في الأسبوع الأخير من شهر آب الماضي. كنت قصدت المكان مع صديق يدعى هولي. عاد هولي الى انكلترا، وأمره لا يهمك لأنه لا علاقة له بالحادثة. كان يتصرف كأنه امرأة عجوز ـ يضع جوارب من الحرير الأبيض مقلوبة كي لا تؤلم قدميه الخيطان التي أفلتت منها. وصلتني منه رسالة في الأسبوع الماضي. وضعتها في مكان ما في هذه الغرفة، لكن هذا ليس مهماً.

كان ماكس موجوداً هناك بصحبة فتاة اعتاد مرافقتها تدعى ميرتيل جنيسون. انها اليوم في المستشفى ـ مستشفى سيتي ـ وهي على فراش الموت لاصابتها بمرض برايت(*) أو مرض مشابه له. كانت في الصيف الماضي فتاة جميلة ونضرة، شقراء ونحيلة. كانت تعجبني، ولم يكن يزعجني فيها سوى أنها عندما تشرب بضعة كؤوس تضجّ كثيراً. كان تيم نونان يعشقها، لكنها في تلك الفترة كانت مولعة بماكس.

(*) مرض برايت: مرض من أمراض الكلية يصحبه زلال في البول.

لم يتركها تيم في حالها. كان إيرلندياً وسيماً، وطويل القامة، لكنه أحمق وساذج ومحتال قذر استطاع أن ينجح في حياته لأن أخاه يشغل منصب قائد الشرطة. أخذ يطارد ميرتيل ويتبعها في كل مكان تذهب اليه. لم تقل ميرتيل شيئاً لماكس حول هذه المسألة، لأنها لا تريده أن يتورّط مع الأخ الأكبر.

وصل ماكس مع ميرتيل أولاً، وبالطبع لحق بهما تيم نهار السبت. كنت مع هولي نجلس مع مجموعة، لكنني التقيت ميرتيل وأخبرتني انها تلقّت رسالة قصيرة من تيم وهو يطلب منها أن تلاقيه في مكان محدد في حديقة الفندق لبضع دقائق فقط. وأكّد لها في الرسالة انه سوف يقتل نفسه إذا لم تحضر. ضحكنا من هذا التهديد واعتبرناه إنذاراً كاذباً. حاولت أن أقنع ميرتيل بعدم الذهاب، لكنها كانت متضايقة منه ومن مطاردته المتواصلة ومصممة على أن تقول له ذلك.

في تلك الليلة كنا جميعاً نرقص في الفندق.

رأيت ماكس بين الحضور، لكنه ما لبث أن خرج من القاعة. كانت ميرتيل ترقص مع رجل يدعى روجرز، وهو محام في هذه المدينة. وبعد قليل اعتذرت منه وخرجت بدورها.

غمزت لي بعينها وهي تمرّ أمام طاولتي، فعرفت أنها في طريقها لمقابلة تيم. لم تكد تخرج من الباب حتى سمعت الطلقة. لم يهتم للأمر أحد غيري. أعتقد أنني ما كنت لألاحظ شيئاً لولا أنني أعرف المشكلة بين ميرتيل وتيم.

قلت لهولي انني أريد التحدث مع ميرتيل، وخرجت بعد حوالي خمس دقائق منها. رأيت في الخارج مصابيح مضاءة

قرب أحد البيوت الصيفية وقد تجمع هناك عدد من الأشخاص... هذا الكلام يسبب العطش.

ملأتْ كأسين من الجين، ودخلت المطبخ لتحضر المزيد من المياه المعدنية وقطع الثلج. مزج كلّ منّا كأسه ورشف القليل منه.

أخذت تتابع روايتها قائلة:

- حين وصلت الى ذلك البيت رأيت تيم نونان ميتاً، وفي صدغه تجويف، ومسدسه ملقى على الأرض بجانبه. تجمع فوقه عدد من النزلاء والعاملين في الفندق، وأحد رجال نونان وهو بوليس سري يدعى ماك سوين. حين رأتني ميرتيل أمسكت بيدي وابتعدنا عن الجمع، ووقفنا تحت شجرة.

قالت لي: ماكس قتله. ماذا أفعل؟

سألتها حول ما حدث. قالت لي انها رأت بريق المسدس وانها اعتقدت في البداية أن تيم نفّذ تهديده وقتل نفسه. كانت لا تزال بعيدة ولم تستطع أن تتبيّن الوضع جيداً. ركضت صوبه وكان يتلوّى على الأرض ويئنّ من شدّة الألم ويردّد: لم يكن بحاجة لأن يقتلني لأجلها. كنت... ولم تفهم سائر الكلمات. كان يتلوّى والدم ينزف من صدغه.

خافت ميرتيل أن يكون ماكس هو الفاعل، وأرادت أن تتأكد فانحنت فوق رأس تيم وحاولت أن ترفعه قليلاً، وسألته: من أطلق النار عليك يا تيم؟

كان في النزع الأخير، وتمكن في اللحظة الأخيرة من استجماع قوته لينطق باسم ماكس!

وأخذت ميرتيل تردّد سؤالها: ماذا أفعل؟ سألتها إذا كان هناك شخص آخر قد سمع تيم، وقالت لي ان رجل البوليس السري سمعه. أقبل يركض فيما كانت تحاول رفع رأس تيم. ولا تعتقد أن أحداً غيره كان قريباً منهما ليسمع الكلمة الأخيرة، لكن هذا الرجل سمعها.

لم أكن أريد أن يقع ماكس في ورطة لأنه قتل مغفلاً مثل تيم نونان. لم تكن بيننا علاقة خاصة في تلك الفترة، لكنه كان يعجبني، ولم أكن أحب الأخوين نونان. كنت أعرف ماك سوين، وزوجته. كان رجلاً مستقيماً في حياته حتى التحق بجهاز الأمن؛ صار كالآخرين. تحملت زوجته الأمر مدّة ثم تركته.

قلت لميرتيل اننا ربما نستطيع تسوية الموضوع. مبلغ صغير يمحو ذاكرة ماك سوين، أو إذا لم يعجبه هذا الحل، يقوم ماكس بالتخلص منه. وميرتيل كانت تحتفظ برسالة تيم التي يهدّد فيها بالانتحار. إذا وافق ماك سوين على اللعبة تكون الفجوة في رأس تيم من رصاصة أطلقها بنفسه من مسدسه، والرسالة تؤيد هذا الرأي وتوضحه.

تركت ميرتيل وأخذت أبحث عن ماكس. لم أجده. لم يكن هناك عدد كبير من الأشخاص في الخارج، والأوركسترا لا تزال تعزف أنغاماً راقصة في الداخل. عدت الى ميرتيل. وجدتها وقد استقرّ رأيها على فكرة أخرى. إنها لا تريد أن يعرف ماكس أنها تعرف الحقيقة. كانت خائفة منه.

هل تفهم ماذا يعني ذلك؟ كانت خائفة أن تسوء علاقتها بماكس ذات يوم، فيقرر التخلّص منها إذا عرف أنها تمتلك

معلومات قد تدفع به الى حبل المشنقة. كنت أفهم مشاعرها. انتابتني الفكرة نفسها فيما بعد وآثرت السكوت كما فعلت. قررنا أنه من الأفضل محاولة التوصّل الى حلّ دون إطلاعه على شيء.

توجهت ميرتيل الى المجموعة التي تحلّقت حول تيم وتحدثت مع ماك سوين، ابتعدا قليلاً عن الآخرين؛ صارحته بما تريد منه. كانت تحمل معها بعض المال. أعطته مائتي دولار وخاتماً من الماس كان صديق لها يدعى بويل قد اشتراه لها بألف دولار. اعتقدت أنه سيرجع ثانية لطلب المزيد، لكنه لم يفعل. عقد معها اتفاقاً واضحاً، وبمساعدة الرسالة استطاع أن يدعم فكرة الانتحار.

شعر نونان بوجود خلل ما، لكنه لم يستطع اكتشافه. أعتقد أنه شك بعلاقة ماكس بالحادثة. لكن ماكس قدّم إثباتاً على براءته لا مجال للشك في صحته... وهو قادر على ذلك... ويبدو أن نونان اعتبر في النهاية أنه صادق. لكن نونان لم يصدق أبداً أن الحادثة وقعت كما قيل له، فأصدر أمراً بتسريح ماك سوين من الخدمة.

ماكس وميرتيل افترقا بعد الحادثة بفترة غير طويلة. افترقا بدون ضجيج. لا أعتقد أنها تستطيع أن ترتاح بالقرب منه بعد معرفتها للحقيقة، مع أنه لم يشك انها تعرف. وكما قلت لك هي مريضة الآن وأيامها معدودة. أظن انها لن تمانع في قول الحقيقة إذا سألتها. ماك سوين لا يزال في المدينة أيضاً، وسيقول الحقيقة إذا نال الثمن المناسب. كلاهما يعرفان القاتل...

ونونان سوف يستمع اليهما بشغف! هل يكفي هذا لتبدأ بتحريك الأمور؟

سألتها: أليس من المحتمل أن يكون قد انتحر بالفعل، وفي آخر لحظة فكر بالصاق التهمة بماكس؟

ـ ذلك الجبان يقتل نفسه؟ مستحيل.

ـ واحتمال أن تكون ميرتيل هي القاتلة؟

ـ لم يتغاض نونان عن هذا الاحتمال. لكن الرصاصة انطلقت ولم تكن ميرتيل قد قطعت ثلث المسافة وهي تنزل المنحدر الى المكان المحدّد، وعلى رأس تيم وجدت آثار بارود، أي أن الرصاصة لم تصبه وهو في أعلى المنحدر، وقد دفعه القاتل ليقع ويتدحرج حتى أسفل المنحدر. ميرتيل بريئة.

ـ وماكس كان عنده تبرير؟

ـ بالفعل. ماكس دائماً عنده تبرير. ادعى أنه كان في بار الفندق، من الجهة الثانية من المبنى، طيلة السهرة. وقد شهد على صحة أقواله أربعة من الرجال. أذكر أنهم ظلّوا يردّدون ذلك فترة أمام الناس، قبل أن يتمّ استجوابهم. كان في البار رجال آخرون قالوا انهم لا يذكرون ما إذا كان ماكس موجوداً هناك أم لا، لكن الرجال الأربعة تذكروه. انهم يتذكرون أي شيء يريدهم ماكس أن يتذكروه.

اتسعت عيناها ثم ضاقتا لتصبحا لوزيتي الشكل. انحنت صوبي وكادت توقع كأسها بمرفقها.

ـ بيك ماري واحد من الأربعة وعلاقته سيئة مع ماكس هذه

الأيام. قد يصارحك بالحقيقة. انه يمتلك صالة بليارد في شارع برودواي.

- والمدعو ماك سوين هل اسمه الأول بوب؟ وهل عنده تقوس في الرجلين وله فك طويل كالخنزير؟

- أجل. هل تعرفه؟

- من بعيد. كيف يؤمن معيشته في هذه الأيام؟

- محتال لا قيمة له. ما رأيك بهذه المعلومات؟

- لا بأس بها. قد أحتاج اليها.

- إذاً نريد أن نتحدث في الأمور العملية.

ابتسمت وهي تنظر إليّ بعينين ملؤهما الجشع وقلت: لا داعي للتسرّع يا عزيزتي. يجب أن نتريث قليلاً لنعرف مدى فاعلية هذه الخطوة قبل أن نبدأ بتوزيع المال ذات اليمين وذات الشمال.

وصفتني بأنني بخيل ومدت يدها تتناول زجاجة «الجين».

قلت لها: لا أريد المزيد، شكراً. ونظرت الى ساعتي: انها الخامسة صباحاً تقريباً، وعندي يوم عمل طويل.

قررت أنها جائعة وذكرتني أنني جائع أيضاً. فأمضينا حوالى نصف ساعة في تحضير الكعك وشرائح اللحم والقهوة. ومضى مزيد من الوقت ونحن نتناول ما أعددنا وندخن ونرشف المزيد من القهوة. كانت الساعة تجاوزت السادسة عندما خرجت من بيت دينا.

حين وصلت الى غرفتي ملأت الحوض بالماء البارد وتمددت فيه. كان منعشاً للغاية، وكنت بحاجة للإنعاش. في الأربعين

يتحمل جسمي أن أشرب الجين ولا أنام، لكن لا يتحمل ذلك بسهولة.

ارتديت ملابسي وجلست أكتب:

«قبل وفاته بقليل، قال لي تيم نونان ان ماكس تايلر هو الذي أطلق عليه النار. الشرطي بوب ماك سوين سمعه وهو يقول لي ذلك. أعطيت الشرطي ماك سوين مبلغ مائتي دولار وخاتماً من الماس بقيمة ألف دولار لكي يكتم الأمر ويعتبر أن تيم نونان مات منتحراً».

وضعت هذه الشهادة في جيبي ونزلت الى قاعة الطعام. تناولت فطوراً ثانياً، والمزيد من القهوة، ثم قصدت مستشفى سيتي.

ساعات الزيارة كانت بعد الظهر، لكنني استخدمت بطاقة الوكالة الوطنية للتحري، وأوهمت الموظف المسؤول بأن ساعة تأخير واحدة قد ينتج عنها وفاة الآلاف، أو أنني قلت له شيئاً من هذا القبيل، وأقنعته بأن يسمح لي بزيارة ميرتيل جنيسون.

كانت في جناح في الطابق الثالث، لا يوجد في الجناح أحد سواها، والأسرّة الأربعة الباقية خالية. قد تكون فتاة في الخامسة والعشرين لكنها تبدو امرأة في الخامسة والخمسين. وجهها منتفخ ومبقّع، وشعرها الأصفر والباهت يحيط برأسها من الجانبين في خصلتين نحيلتين.

انتظرت خروج الممرضة التي صحبتني. ثم حملت الورقة وقلت للفتاة المريضة:

ـ هل تسمحين بتوقيع هذه الورقة يا آنسة جنيسون؟

نظرت إليّ بعينين قبيحتين تحيط بهما تجعّدات عميقة، ثم نظرت الى الورقة، وأخرجت ببطء شديد يدها السمينة من تحت الغطاء لتأخذها مني.

قرأت النصّ القصير الذي كتب في حوالى خمس دقائق. تركت الورقة تقع على الغطاء وقالت لي:

ـ من أين لك هذا؟ قالت ذلك بصوت حاد ومتوتر.

ـ دينا براند أرسلتني اليك.

سألتني بحماسة: هل انفصلت عن ماكس؟

كذبت وقلت: لا علم لي بذلك. أعتقد أنها تريد الاحتفاظ بشهادة كهذه لتستخدمها في الوقت المناسب.

ـ وتقطع رقبتها من أجلها. أعطني قلماً.

أعطيتها قلم الحبر الذي أحمله ووضعت دفتر الملاحظات تحت الورقة وهي تخطّ إمضاءها عليها، وأخذتها منها مباشرة حين انتهت. أخذت ألوّح بالورقة ليجف الحبر؛ قالت لي:

ـ إذا كانت هذه رغبتها لا مانع عندي. ماذا يهمني من الناس الآن؟ لقد انتهيت. اللعنة عليهم جميعاً! ضحكت بصوت خافت ودفعت فجأة الغطاء عن ركبتيها لتكشف لي عن جسمها المتورم والمخيف الذي لفت حوله ثوب نوم أبيض خشناً.

سألتني: ما رأيك؟ أنت ترى الآن أنني انتهيت.

رفعتُ الغطاء على جسمها ثانية وقلت لها:

ـ أشكرك على امضائك يا آنسة جنيسون.

ـ لا داعي للشكر. لم يعد أيّ شيء يعنيني. لكن... وسكتت قليلاً وفمها يرتعش، ثم أضافت... لكن من المخيف أن أموت وأنا بشعة الى هذا الحدّ!



-١٢-

صفقة جديدة

بدأت البحث عن ماك سوين. لم أجد اسمه في الدليل العادي ولا في دليل الهاتف. جرّبت صالات البليارد، ومخازن التبغ، والحانات، اكتفيت بالقيام بجولة فيها أولاً، ثم بدأت أطرح بعض الأسئلة متوخياً الحذر. لم أتوصل الى نتيجة. مشيت في الشوارع أبحث عن رجل متقوّس الرجلين. لم ألتق به. قررت الرجوع الى الفندق لأنام، وأن أواصل البحث في الليل.

في زاوية القاعة البعيدة رأيت رجلاً يزيح الصحيفة التي كان يخبىء بها وجهه، ويتقدم نحوي. كان متقوّس الرجلين وله فكان طويلان كأنهما فكا خنزير، انه ماك سوين.

انحنيت له بلا اهتمام ومشيت الى المصعد. تبعني وهو يتمتم:

- هل تعطيني دقيقة من وقتك؟

قلت له بعصبية: ليس أكثر.

صحبته الى غرفتي. جلس مفرشخاً على كرسيّ ووضع عود

ثقاب في فمه. جلست على حافة السرير وانتظرت ليبدأ هو بالكلام. مضغ طرف العود قليلاً، وقال:

ـ سأكون صريحاً معك، يا صاحبي. أنا..

ـ تقصد انك ستقول لي انك كنت تعرف من أنا حين تحدثت اليّ البارحة؟ وستقول لي انّ بوش لم ينصحك بأن تراهن عليه؟ وانك لم تفعل ذلك إلاّ فيما بعد؟ وانك تعرف ماضيه لأنك كنت تعمل في سلك البوليس السريّ؟ وانك فكرت أن تكشف لي سرّه حتى أستحثّه على الفوز كي تجمع مبلغاً من المراهنة عليه؟

ـ من الصعب أن أكون فكرت في كلّ هذه الأمور، لكن بما أنك تقول ذلك سأجيبك: أجل.

ـ هل تدبرت أمرك؟

ـ ربحت ستمائة دولار. ودفع بقبعته قليلاً ليحكّ جبينه بطرف عود الثقاب الذي عضّ عليه.

ـ .. ثم خسرت الربح ومعه أكثر من مائتي دولار في لعبة الكرابس(*). ما رأيك؟ جمعت ستمائة دولار بسهولة فائقة، ثم كنت مضطراً لاستجداء أربعة دولارات لكي أشتري فطوري.

قلت له انّ التغير المفاجىء صعب، لكن هذا هو حال الدنيا التي نعيش فيها.

قال: فعلاً. وأعاد العود الى فمه ليمضغه مجدّداً، وأضاف: أجل لذلك جئت اليك. كنت أمارس المهنة نفسها و...

(*) الكرابس: لعبة قمار تُلعب بنردين.

ـ ماالذي جعل نونان يتخلص منك؟

ـ تخلّص مني؟ أنا تركت. حدث تغيير في حياتي حين ماتت زوجتي في حادثة ـ أخذت التأمين، وتركت عملي.

ـ وصلني أنه هو الذي طردك بعد انتحار أخيه.

ـ هذا خطأ. تركت العمل بعد حادثة أخيه لكنني تركته بإرادتي.

ـ الأمر لا يهمني. هيّا قل لي لماذا جئت اليّ.

ـ أنا مفلس تماماً. أعرف انك تعمل في الوكالة الوطنية وعندي فكرة عن المهمة التي تنفّذها هنا. لي صلة قوية بكلّ ما يحدث في هذه المدينة بالنسبة للفريقين. أستطيع أن أكون مفيداً لك، كوني رجل تحر سابقاً، وأعرف وضع الطرفين جيداً.

ـ تريد أن تصبح جاسوساً لي؟

نظر إليّ مباشرة وقال بصراحة:

ـ لا داعي أن يختار الانسان أسوأ طريقة للتعبير.

ـ سأعطيك عملاً تقوم به يا ماك سوين. وأخرجت الشهادة الموقعة من ميرتيل جنيسون، وقلت له: أعطني رأيك بهذه الورقة.

قرأها بتمعّن، وشفتاه كانتا تلفظان الكلمات بهدوء، وعود الثقاب يتحرك في فمه الى الأعلى والى الأسفل. وقف وألقى بالورقة على السرير بجانبي وعبس وقال:

ـ هناك مسألة يجب أن أتأكد منها أولاً. قال ذلك بجدية

وأضاف: سوف أعود بعد قليل وأضع القصة بكاملها بين يديك.

ضحكت وقلت له:

ـ لا تكن غبياً. تعرف جيداً أنني لن أتركك لتتخلى عنّي.

هزّ رأسه دون أن يتخلّى عن جديته وقال: لا أعرف ذلك. وأنت أيضاً لا تعرف. أنت تعرف الآن إذا كنت ستحاول منعي من الخروج أم لا.

ـ الجواب هو نعم. قلت له ذلك وأنا منتبه الى أنه أقوى مني وأصلب بنية، وهو يصغرني بخمس أو بست سنوات، ووزنه أقل من وزني بعشرين أو بثلاثين باونداً.

وقف عند طرف السرير وهو يحدق فيّ بعينين ثاقبتين. وأخذت أحدق فيه بدوري ولا أعرف كيف كانت نظرتي عندئذٍ. استمر هذا الوضع حوالى ثلاث دقائق.

في هذه الأثناء كنت أقيس المسافة التي تفصل بيننا، وأفكر كيف أستطيع إذا ألقيت بنفسي الى الوراء على السرير وأنقلب الى الجهة الثانية أن أضربه بقدميّ على رأسه عندما ينقضّ علي. كان قريباً جداً بحيث لا أستطيع أن أمدّ يدي الى مسدسي، لم أكد أفرغ من التخطيط النظريّ حتى قال لي:

ـ ذلك الخاتم السخيف لم يكن يساوي شيئاً. استعملت الحيلة حتى حصلت على مائتي دولار ثمناً له.

ـ اجلس وأخبرني.

هزّ رأسه ثانية وقال:

ـ أريد أن أعرف منك أولاً ماذا تنوي أن تفعل.

- القبض على «الهامس».

- لا أقصد ذلك. أقصد بالنسبة لي.

- يجب أن ترافقني الى مركز الشرطة.

- لن أفعل ذلك.

- ولم لا؟ أنت مجرد شاهد.

- لست سوى شاهد ويستطيع نونان أن يوجّه اليّ تهمة الرشوة، أو يدعي بأنني شريك في العملية بعد إصدار الحكم، أو يحاول أن يلصق بي التهمتين معاً. ولن يفوّت فرصة للقيام بذلك.

يبدو ان الحديث الودّي لن يؤدي الى نتيجة. قلت:

- هذا من سوء حظّك. لكنك على أي حال سوف تقابله.

- حاول أن تأخذني اليه.

جلست مستقيم الظهر ووضعت يدي اليمنى على وركي. حاول الإمساك بي. ألقيت بجسمي الى الوراء على السرير، وانقلبت ملوّحاً برجليّ صوبه. كانت حيلة جيدة، لكنها لم تنجح. أثناء تسرعه في الهجوم عليّ ارتطم بالسرير وتمكن من اسقاطي على الأرض.

وقعت على ظهري. حاولت الوصول الى مسدسي وأنا أجرّ نفسي الى تحت السرير.

أخطأني ولكن اندفاعه القوي حمله الى الجهة الثانية من السرير. فتشقلب ونزل على الأرض الى جانبي.

وضعت فوّهة مسدسي على عينه اليسرى وقلت:

ـ أنت تجعلنا نبدو مهرّجين. إلزم الهدوء حتى أنهض وإلاّ فانني سأفتح ثغرة في رأسك ليخرج دماغك منها.

نهضت وتناولت الورقة عن السرير ووضعتها في جيبي. ثم أمرته بالنهوض.

ـ حاول تسوية الانبعاج في قبعتك، ورتّب رباط عنقك، كي لا تشوّه صورتي وأنت تمشي الى جانبي في الشارع. ومررت يدي على ثيابه، لم يكن يحمل سلاحاً.

ـ تذكر دائماً أن المسدس في جيب معطفي ويدي على الزناد.

سوّى قبعته ورباط عنقه وقال:

ـ اسمع: أعرف أنني متورط في هذه المسألة والتأجيل لن يفيدني في شيء. سأرافقك بهدوء، هل تغفل عن ذكر مسألة المشادّة التي حصلت بيننا؟ من الأفضل لي أن أدّعي أنني قررت الذهاب بنفسي الى الشرطة ولم يأخذني أحد بالقوة.

ـ كما تريد.

ـ شكراً، يا صاحبي.

نونان كان في الخارج يتناول الطعام. انتظرنا حوالى نصف ساعة في غرفة ملاصقة لمكتبه. حين وصل حيّاني بالعبارات المعهودة:

ـ كيف حالك؟... هذا رائع بالفعل... وغيرهما. لم يقل شيئاً لماك سوين ـ اكتفى بالتحديق به بمرارة.

دخلنا الى مكتبه الخاص. وضع لي كرسياً الى طاولته وجلس على كرسيه، متجاهلاً وجود التحري السابق.

أعطيت نونان شهادة الفتاة المريضة.

ألقى عليها نظرة سريعة، وقفز عن كرسيه، ووجه ضربة مؤلمة الى وجه ماك سوين.

حملت قوة الصفعة ماك سوين عبر الغرفة حتى ارتطم بالجدار. اهتز الحائط من أثر الضربة وسقطت الى جانب الرجل صورة لنونان مع ذوي المقام الرفيع في المدينة أثناء استقبال رسمي لشخصية ما.

تهادى القائد البدين في مشيته ورفع الصورة عن الأرض وحطمها على رأس ماك سوين فتناثر الزجاج على كتفيه.

عاد نونان الى طاولته وهو يلهث مبتسماً وقال لي بمرح:

ـ هذا الرجل من أحقر الرجال.

جلس ماك سوين يلتفت حوله والدم يجري من أنفه وفمه ورأسه. فصرخ فيه نونان:

ـ تعال الى هنا.

قال ماك سوين: حاضر يا سيّدي، وتمكّن من النهوض وأسرع الى الطاولة.

قال نونان: قل الحقيقة وإلاّ أقتلك.

قال ماك سوين: حاضر أيها القائد. الحادثة تمت كما قالت، لكن الخاتم لم يكن يساوي شيئاً. أعطتني الخاتم ومائتي دولار لكي أسكت، لأنني وصلت في اللحظة التي كانت تسأله فيها: من أطلق عليك النار يا تيم؟ وهو أجابها: ماكس!، قال ذلك بصوت عالٍ وحاد كأنه يريد أن يتأكد أنها تسمعه قبل

أن يلفظ النفس الأخير، ومات بعد ذلك مباشرة، هذا ما حصل يا سيدي، لكن الخاتم لم يكن...

صرخ نونان: اللعنة على الخاتم. وتوقف عن النزف فوق سجادتي.

بحث ماك سوين في جيبه وتناول محرمة وسخة مسح بها أنفه وفمه، وتابع: هذا ما حدث، يا سيدي. كل التفاصيل الأخرى التي ذكرتها في السابق كانت صحيحة، ولم أكتم شيئاً سوى أنني سمعت تيم يقول ان ماكس هو الذي أطلق عليه النار. أعرف أنه لم يكن يجدر بي أن...

- إخرس! قال له نونان وهو يضغط على أحد الأجراس على طاولته.

دخل شرطي يرتدي البدلة الرسمية. فأشار القائد الى ماك سوين وقال للشرطي:

- اصطحب هذا الرجل العزيز الى السجن ودع الحراس يحاولوا اقناعه بوسائلهم الخاصة قبل إيداعه في الزنزانة.

بدأ ماك سوين يتوسل بدون جدوى: أرجوك، أيها القائد، لكن الشرطي قاده الى الخارج قبل أن يتمكن من التوسّل أكثر.

قدّم لي نونان سيجاراً وأخذ يدق الورقة بسيجار آخر وسألني:

- أين توجد هذه المرأة؟

- في مستشفى سيتي. إنها تموت. هل تريدها أن تدلي بأقوالها بشكل رسمي؟ هذه الورقة ليست جيدة من الناحية القانونية - كانت مؤثرة فقط. وصلني أن بيك موري ليس على

علاقة طيبة مع «الهامِس». ألم يكن موري أحد الأشخاص الذين شهدوا لصالحه؟

قال الرئيس: بلى ورفع سمّاعة أحد أجهزة التلفون أمامه وقال: ماك غرو، ثم أضاف: ابحث عن بيك موري واطلب منه الحضور الى هنا. وألق القبض على طوني أغوستي في عملية إلقاء السكين.

وضع السماعة ووقف وهو ينفث دخاناً كثيفاً من سيجاره وقال:

ـ لم أتصرف معك كما ينبغي.

قلت في نفسي انه يحاول أن يلطّف من أهمية ما حدث، لكنني آثرت الصمت وتركته يتابع كلامه:

ـ أنت تعرف طبيعة هذا العمل. تعرف كيف تتوضّب الأمور. يجب أن تستمع لهذا ولذاك. إذا كنت قائد شرطة لا يعني هذا أنني القائد. ربما تكون أنت مصدر ازعاج لشخص ما، وهو يستطيع أن يتسبب لي بإزعاج كبير. لا فرق إذا كنت شخصياً مقتنعاً بأنك رجل طيب. أنا مضطر أن ألعب مع الذين يلعبون معي. هل تفهم ماذا أقصد.

هززت رأسي لأقول له انني أفهم.

ـ هكذا كانت الحالة، لكنها لن تستمر بعد اليوم. الآن نبدأ عهداً جديداً. حين ماتت والدتي كان تيم صبياً صغيراً، قالت لي قبل أن تموت: انتبه له يا جون. وأنا وعدتها أنني سأفعل ذلك. ثم يقتله «الهامِس» من أجل تلك المومس.

مدّ يده وتناول يدي وقال: هل تفهم ماذا أقصد؟ مضت سنة

ونصف على الحادثة وأنت اليوم تعطيني أول فرصة لإثبات التهمة عليه. إنني أؤكد لك أن أي رجل في بيرسون فيل مهما يكن موقعه ونفوذه لن يستطيع التعرّض اليك بعد اليوم.

أعجبني كلامه، وقلت له ذلك بصراحة. دخل علينا رجل نحيل وطويل وله أنف مستدقّ الطرف ووجه مستدير يملأه النمش. انه بيك موري.

قال له القائد بعد أن قدم له كرسياً وسيجاراً:

ـ كنا نتحدث عن حادثة مقتل تيم. حيث كان «الهامِس». أنت أيضاً كنت في منتجع البحيرة تلك الليلة، أليس كذلك؟

ردّ موري: هذا صحيح، وبدا طرف أنفه وكأنه ازداد حدّة.

ـ مع «الهامِس»؟

ـ لم أكن برفقته طوال الوقت.

ـ هل كنت برفقته عند إطلاق النار.

ـ لا.

تقلّص حجم عيني القائد الخضراوين وازداد تألقهما فسأله بهدوء:

ـ هل تعرف أين كان؟

ـ لا.

تنّهد القائد بارتياح تام وأسند ظهره الى كرسيّه.

قال: اللعنة، يا بيك. قلت لنا فيما مضى انك كنت معه في البار.

اعترف الرجل النحيل بذلك وقال: قلت ذلك فعلاً. كنت أنفذ ما طلبه مني ولم أجد مانعاً في مساعدته لأنه صديق لي.

ـ هل تعني انك مستعدّ أن تتحمل عقوبة الإدلاء بشهادة كاذبة؟

بصق موري في المبصقة وقال بانفعال:

ـ لا تحاول خداعي. أنا لم أدل بأقوالي في قاعة المحكمة.

سأله نونان: وجيري وجورج كيلي وأوبريان، هل قالوا أنهم كانوا معه لأنه طلب منهم ذلك؟

ـ أوبريان فعل ذلك. لا أعرف شيئاً عن الرجلين الآخرين. كنت خارجاً من البار عندما التقيت «بالهامِس» وجيري وكيلي، وعدت معهم لأتناول المزيد من الشراب. قال لي كيلي ان تيم قُتل. ثم قال «الهامِس»: من الأفضل للإنسان أن يكون عنده دائماً إثبات لوجوده في مكان بعيد عن الجريمة، كنا هنا طوال الوقت، أليس كذلك؟ ونظر الى أوبريان الذي كان يقف خلف البار. قال له أوبريان: «طبعاً». وحين نظر إليّ الهامِس قلت له «طبعاً» بدوري. لكنني اليوم لا أجد مبرّراً يدفعني لأن أؤمن له حماية ما.

ـ وكيلي قال ان تيم قتل؟ ألم يقل انه عثر عليه ميتاً؟

ـ الكلمة التي استخدمها كانت «قتل».

قال القائد: شكراً يا بيك. ما كان يجدر بك أن تفعل ذلك، لكن هذا الأمر انقضى الآن كيف حال الأولاد؟

ردّ موري أنهم بخير، لكن الطفل الصغير ليس سميناً كما يريده أن يكون. اتصل نونان بمكتب النائب العام وطلب من دارت ومن كاتب الاختزال أن يدوّنا أقوال بيك قبل ذهابه.

توجه نونان ودارت والكاتب الى مستشفى سيتي لأخذ إفادة

متكاملة من ميرتيل جنيسون. لم أذهب معهم. قررت أنني أحتاج الى النوم، وقلت للقائد انني سأراه فيما بعد وعدت الى الفندق.

-١٣-

مواجهة حاسمة

كنت أخلع سترتي حين رنّ جرس الهاتف.

انها دينا براند وهي متضايقة لأنها تحاول الاتصال بي منذ العاشرة دون جدوى.

سألتني: هل حاولت أن تفعل شيئاً بما قلت لك؟

ـ كنت أفكر في الأمر، ويبدو أنني سأحاول القيام بتجربة بعد الظهر.

ـ لا تفعل ذلك. لا تكشف المعلومات قبل أن أراك. هل تستطيع المجيء لعندي الآن؟

نظرت الى السرير الأبيض الخالي وقلت:

ـ أجل بدون حماسة.

مغطس آخر من المياه الباردة لم يفدني كثيراً وكدت أنام فيه.

فتح لي دان رولف الباب. نظرته وتصرّفاته كانت عادية وكأن أي شيء غير اعتياديّ لم يحدث البارحة. دخلت دينا براند الى القاعة وساعدتني على خلع معطفي. كانت ترتدي ثوباً من الصوف الضارب الى الصفرة، وعلى كتفها شقّ يبلغ حوالى إنشين.

دخلنا الى غرفة الجلوس. جلست على الكنبة بجانبي وقالت:

ـ سأطلب منك خدمة. أنت تميل اليّ، أليس كذلك؟

اعترفت لها بذلك. أخذت تعدّ العظام الصغيرة في أصابع يدي اليسرى بإصبعها الدافيء وقالت:

ـ لا أريدك أن تقول شيئاً حول حديثنا البارحة. اسمعني قليلاً. انتظر حتى أنهي كلامي. دان معه حقّ. لا يجدر بي أن أبيع ماكس بهذه الطريقة. هذا عمل قذر. وأنت في الأصل تريد نونان، أليس كذلك؟ حسناً، كن طيباً هذه المرة ودع ماكس جانباً، وأنا سأعطيك معلومات عن نونان تكفي لإدانته مدى الحياة. أنت تفضل ذلك، وأنت تودّ المحافظة على صداقتي لك ولن تستغلّ معلومات بحث لك بها وأنا متضايقة مما قاله ماكس، أليس كذلك؟

سألتها: ما هي معلوماتك عن نونان؟

دلّكت يدي وسألتني: هل تعدني؟

ـ ليس الآن.

بوّزت وقالت:

ـ علاقتي بماكس انتهت، صدقني. لا يحق لك أن تجعل مني واشية حقيرة.

ـ ونونان؟

ـ عدني أولاً.

ـ لا.

غرست أصابعها في يدي وسألتني بحدّة:

ـ أنت ذهبت الى نونان؟

ـ أجل.

تركت يدي وعبست وهزت كتفيها وقالت باستياء: حسناً، ماذا أستطيع الآن؟

وقفت وسمعت صوتاً يقول: اجلس.

كان صوتاً هامساً مبحوحاً... صوت تايلر.

التفتت اليه فرأيته واقفاً في باب غرفة الطعام يحمل مسدساً ضخماً في يده الصغيرة وبجانبه وقف رجل ذو وجه محمرّ وعلى خدّه ندب.

في الباب الآخر ـ الذي يفضي الى القاعة ـ برز رجلان آخران. الرجل المصاب بارتخاء في فمه والذي يكاد يكون بدون ذقن، وسمعت «الهامِس» يدعوه جيري، وكان يحمل مسدسين؛ ووقف في الباب أيضاً شاب أشقر كان في حانة شارع كينغ.

نهضت دينا براند عن الكنبة وأدارت ظهرها الى تايلر وقالت لي بصوت أجش من شدة غيظها:

ـ لا علاقة لي بما يحدث الآن. جاء وحده وقال انه يعتذر عمّا قاله لي، وأقنعني بأننا نستطيع الحصول على مبلغ كبير من المال إذا سلمناك «نونان». كلامه كان خدعة وأنا صدقته. أقسم لك! كان من المفروض أن ينتظر في الطابق الثاني حتى أحدثك بهذا الشأن لم أكن أعرف بوجود الآخرين. لم أكن...

علا صوت جيري المزعج:

ـ إذا صوبت رصاصة إليها ستكون مجبرة على الجلوس، وقد تصمت أيضاً. هل أنت موافق؟

لم أكن أرى «الهايس» لأن الفتاة وقفت بيني وبينه.

قال: ليس الآن. أين دان؟

أجابه الشاب الأشقر: فوق، ممدد على أرض الحمام. كنت مضطراً أن أضربه.

التفتت دينا براند لتواجه تايلر. بدت الخيوط الملتوية التي رسمتها الخيطان المنسلّة من جوربها على رجليها المكتنزتين.

قالت: ماكس تايلر، أنت إنسان حقير و...

قال لها متعمّداً الهدوء: اخرسي وتنحيِّ جانباً.

أدهشتني وهي تنفذ الأمرين ولزمت الصمت فيما كان يقول لي: أنت ونونان تحاولان إذاً الصاق تهمة قتل تيم بي؟

ـ انها لا تحتاج لأن نلصقها فهي عالقة بشكل طبيعي.

شدّ على شفتيه وقال: أنت محتال مثله.

قلت له: تعرف أفضل من هذا الكلام. لقد وقفت بجانبك حين حاول إيقاعك في ورطة. الوضع الآن سليم.

توتّرت دينا براند مرة ثانية وأخذت تلوّح بذراعيها في وسط الغرفة وتصرخ:

ـ أخرجوا جميعاً من هنا. ما علاقتي بمشاكلكم... أخرجوا جميعاً.

دفع الشاب الأشقر جيري جانباً ودخل الى الغرفة. أمسك بيد الفتاة ولواها وراء ظهرها.

التفّت حوله وضربته بيدها الثانية في بطنه. كانت ضربتها

قوية.. كضربة رجل، أجبرته على ترك ذراعها ودفعته بعيداً عنها.

تنفس الشاب بعمق وتناول عن خصره هراوة وتقدم من دينا عابساً. ضحك جيري ضحكة خافتة فقال له تايلر بصوت أجشّ: إهدأ!

لم يسمعه الشاب. كان حانقاً على الفتاة.

كانت تراقبه بملامح حادّة وجريئة؛ ووقفت تميل بمعظم وزنها على رجلها اليسرى. أعتقد أن الفتاة كانت تحاول أن تمنعه من مهاجمتها إذا اقترب أكثر.

حاول الشاب أن يضع يده عليها ويضربها بالهراوة على رأسها.

همس تايلر: اهدأ ثانية، وأطلق النار.

أصابت الرصاصة الشاب تحت عينه اليمنى، وأدارته ثم رمت به بين ذراعي دينا براند.

هذه هي الفرصة المناسبة. إذا كانت مناسبة فعلاً.

في جوّ الاثارة الذي ساد الجميع وضعت يدي على خصري. تمكنت من سحب المسدس وأطلقت رصاصة على تايلر محاولاً أن أصيبه في كتفه.

كنت مخطئاً في ذلك. لو أنني حاولت إصابته في مكان آخر كنت سأجرحه. جيري توقف عن الضحك وأطلق النار عليّ. شعرت بلهيب في معصمي، فاهتزت يدي وأخطأت الهدف، لكن الرصاصة مرت بمحاذاة رأس الرجل ذي الوجه المحمرّ.

لم أعرف مدى إصابة معصمي، ونقلت المسدس الى يدي اليسرى.

حاول جيري إصابتي للمرة الثانية. وأفشلت الفتاة مسعاه حين ألقت بالجثة عليه. وقع الشاب القتيل على ركبتيه. قفزت نحوه فيما كان مختلّ التوازن.

ساعدتني القفزة على تجنب رصاصة أطلقها عليّ تايلر. واشتبكت مع جيري وسقطنا معاً، واستمر عراكنا حتى دخلنا القاعة.

لم يكن جيري قوياً، لكنني كنت مضطراً لأن أتحرك بسرعة، لأن تايلر ما زال ورائي. ضربت جيري مرتين، ورفسته، وضربته برأسي وكنت أبحث عن مكان مناسب لأعضّه حين صار رخواً تحتي. لكمته ثانية على ذقنه ـ أو حيث يجب أن يكون ذقنه ـ لأتأكد أنه لا يخدعني ـ وانحنيت أمشي على يدي وركبتي مبتعداً عن الباب.

وصلت الى الحائط، أمسكت المسدس بيدي وصوبته الى الباب منتظراً خروج تايلر. لم أعد أسمع شيئاً سوى انتفاض الدم في عروق رأسي.

خرجت دينا براند من الباب، ونظرت الى جيري ثم اليّ. ابتسمت وهي تعضّ على لسانها، وأومأت لي برأسها، ثم عادت الى غرفة الجلوس. فتبعتها بحذر.

كان «الهامِس» واقفاً وسط الغرفة. يداه فارغتان وكذلك كانت ملامح وجهه. لولا فمه الأثيم، فانه كان يشبه تمثالاً من الشمع تعرض عليه الثياب في واجهة المخزن.

دان رولف كان يقف وراءه، ويصوّب فوّهة مسدسه الى

خاصرة المقامر اليسرى. كان وجه رولف شديد الاحمرار. يبدو أن الشاب الأشقر ـ الذي يتمدّد جثة هامدة بيني وبين رولف ـ كان قد أشبعه ضرباً.

ابتسمت لتايلر وقلت: هذا رائع، لكنني رأيت أن رولف يحمل مسدساً آخر ويصوّبه الى صدري. هذا ليس رائعاً. ما زلت أحمل مسدسي. لكن فرحتي بذلك لم تكن طويلة.

قال رولف: إرم مسدسك على الأرض.

نظرت الى دينا التي بدت حائرة، كما خُيّل إليّ. هزّت كتفيها وقالت لي:

ـ دان هو صاحب القرار.

ـ حقاً؟ قولي له انني لا أحب اللّعب بهذه الطريقة.

ردّد رولف أمره: إرم مسدسك على الأرض.

قلت باستياء: لن أفعل ذلك. نقص وزني حوالي عشرين باونداً من أجل أن ألقي القبض على هذا الرجل، وأستطيع أن أبذل عشرين غيرها من أجل الهدف نفسه.

قال رولف: لا يهمني ماذا يوجد بينك وبينه. وأنا لا أنوي أن أعطي أيّ واحد منكما...

كانت دينا براند تتمشى في الغرفة. حين وصلت الى وراء رولف، قاطعته وقلت لها: إذا تمكنت من إقناعه تتأكدين أن لك صديقين: أنا ونونان. لا تستطيعين وضع ثقتك في تايلر بعد اليوم؛ لذلك لا داعي لأن تقدمي له أية مساعدة.

ضحكت وقالت: تحدث بلغة المال يا حبيبي.

قال رولف محتجاً: دينا. ووضعت يديها عليه. كانت

وراءه وهي تتفوق عليه قوّة وتستطيع ان تتدبر أمره. من غير المحتمل ان يطلق عليها النار، ولا يبدو ان شيئاً يمنعها من تنفيذ ما صممت عليه.

قلت: مئة دولار.

ـ يا إلهي! أخيراً تمكنت من انتزاع عرض مالي منك. لكن المبلغ غير كافٍ.

ـ مائتان.

ـ بدأت تتهّور. لكنني لا أسمعك جيداً.

قلت: حاولي. هذا ما أدفعه مقابل ألاّ أكون مضطراً لتوجيه رصاصة إلى يد رولف كي يفلت مسدسه، ولن أدفع أكثر.

ـ بدأت جيداً، لا تضعف الآن، عرض أخير يكفي.

ـ مائتا دولار وعشرة سنت، هذا كل ما عندي.

ـ أيها المتطفل. لن أرضى بما تدفع.

ـ إفعلي ما يحلو لك.

حدّقت في تايلر وقلت أحذّره: حين تراني منشغلاً تلزم الهدوء.

صرخت دينا: إنتظرا هل تنوي فعلاً القيام بعمل ما؟

ـ سآخذ تايلر معي، بغضّ النظر عما يحدث الآن.

ـ مائتا دولار وعشرة سنت؟

ـ أجل.

قال لها رولف دون ان يبعد نظره عني:

ـ دينا، لا تقبلي ...

ضحكت واقتربت منه وهي تشد يديه إلى الخلف وإلى الأسفل وتثبتهما على جنبيه.

أومأت إلى تايلر بالابتعاد بيدي اليمنى، واحتفظت بمسدسي في يدي فيما انتزعت المسدسين اللذين كان رولف يحملهما.

تركت دينا يدي المسلول فخطا خطوتين نحو باب غرفة الطعام، وقال متعباً: «لا يوجد أي...» وهوى على الأرض.

ركضت إليه دينا. وأنا دفعت تايلر نحو باب القاعة ومررنا بجانب جيري الذي لا يزال نائماً، وتوجهت بتايلر إلى تجويف تحت السلم حيث رأيت جهاز تلفون.

اتصلت بنونان وقلت له انني ألقيت القبض على تايلر وقلت له أين تمّ ذلك.

قال: يا إلهي! لا تقتله قبل حضوري.

-١٤-

ماكس

خبر إلقاء القبض على تايلر انتشر بسرعة. حين أخذنا، أنا ونونان ورجال الشرطة، المقامر وجيري إلى مركز الشرطة وجدنا حوالي مئة شخص واقفين خارج بيت دينا يتفرّجون علينا.

لم يكن الجميع سعداء بذلك. رجال نونان ـ مجموعة من النوع الرديء وهذا أفضل وصف لهم ـ كانوا يمشون بوجوه بادٍ عليها الخوف ومشدودة الملامح. لكن نونان كان مزهواً بالنصر الذي حققه وكان أسعد انسان في غرب الميسيسيبي. ولا شيء يستطيع ان يحدّ من سعادته حتى حظّه السيء في انتزاع المعلومات من تايلر بواسطة وسائل التعذيب المختلفة.

تمكن «الهامس» من تحمل كل وسيلة تعذيب استخدموها معه. قال انه سيتحدث مع محاميه، ولن يتحدث مع شخص آخر، والتزم برأيه. وبالرغم من كراهية نونان العميقة لـ «الهامس»، فإنه لم يأمر لهذا السجين بتنفيذ بعض الأعمال داخل السجن، ولم يسلمه إلى الحراس لتعذيبه. صحيح ان «الهامس» قتل أخا القائد، وان هذا الأخير كان

يكرهه، لكن «الهامس» له مركزه في «بويزون فيل» ومن الصعب ان يعامل بخشونة.

سئم نونان أخيراً من اللعب مع السجين، وقرر إيداعه السجن، الذي يقع في الطابق العلوي لمبنى السراي. كنت في مكتب نونان حين اتخذ قراره هذا. أشعلت سيجاراً وأخذت أقرأ تفاصيل الشهادة التي أدلت بها المرأة المريضة في المستشفى. لم تكن تضم أي جديد لم يطلعني عليه ماك سوين أو دينا.

طلب مني القائد مرافقته إلى البيت لتناول الغذاء إلى مائدته، لكنني حاولت التهرب مدّعياً ان معصمي يؤلمني، وكنت بالفعل ألف رباطاً حوله لأنه مصاب بحروق.

فيما كنا نتحدث دخل رجلان يقتادان أحد مرافقي «الهامس»، ذا الوجه الأحمر الذي تسبب في إخطائي «الهامس» أثناء تصويب مسدسي إليه. أصيب بكسر في ضلعه، وتمكن من الهرب عبر باب خلفي فيما كان الآخرون منشغلين. ألقى عليه القبض رجال نونان وهو في عيادة أحد الأطباء. لم يستطع القائد الحصول على أية معلومات منه وأمر بإرساله إلى المستشفى.

وقفت أستعد للخروج وقلت:

ـ دينا براند هي التي زوّدتني بالمعلومات حول الحادثة. لأجل ذلك طلبت منك ان تتركها هي ورولف بعيداً عن التحقيقات.

مدّ يده يصافحني للمرة الخامسة أو السادسة خلال ساعتين.

قل لي: إذا كنت تريد لها وضعاً خاصاً، أنا مستعد أن أقبل

ذلك. وإذا كانت لها يد في تسليم هذا الوغد، قل لها بالنيابة عني انها تستطيع ان تعتمد عليّ لتنفيذ أي طلب تريد.

قلت له: انني سأنقل إليها كلامه، وتوجهت إلى الفندق وأنا أفكر طوال الوقت بذلك السرير الأبيض النظيف. لكن الساعة كانت حوالى الثامنة وبدأت أشعر بالجوع. دخلت إلى غرفة الطعام في الفندق وتناولت فطوري.

ثم لفت انتباهي مقعد جلدي وثير في القاعة فجلست عليه وأشعلت سيجاراً. وتبادلت الحديث مع مدّقق حسابات يعمل في السكة الحديدية وهو في الأصل من دنفر، ويعرف صديقاً لي من سانت لويس. فجأة سمعنا دوي رصاص غزير في الشارع.

توجهنا إلى الباب وتبين لنا ان إطلاق النار في محيط السراي. فصافحت الرجل وانطلقت في ذلك الاتجاه.

كنت قد قطعت ثلثي المسافة عندما رأيت سيارة مقبلة بسرعة وركابها يطلقون النار من الخلف.

احتميت في مدخل مبنى عند زاوية زقاق وحملت مسدسي في يدي. وصلت السيارة إلى محاذاة المبنى. رأيت وجه السائق الذي لم يكن يعني شيئاً، وبجانبه رأيت رجلاً حاول ان يخفي معالم وجهه بواسطة قبعته، لكنني عرفته إنه «الهامس».

واصلت السيارة طريقها، وأنا أتابع حركتها رأيت رجلاً بدا كأنه خرج من مكان كان يختبىء فيه. نسيت أمر ماكس لأن هذا الرجل كان متقوس الرجلين.

عبرت سيارة للشرطة كان ينهمر منها الرصاص صوب السيارة الأولى.

دخلت الزقاق، لأن الرجل دخل من زاوية أخرى. إذا كان هو الرجل الذي أريد، أعتقد انه لا يحمل سلاحاً.

واصلت السير بحذر وأنا أتفحص مداخل الأبنية المعتمة بعينيّ وأذنيّ وأنفي.

بعد قليل رأيت خيالاً ينفصل عن خيال آخر... رجلاً يبتعد بعجلة أمامي.

صرخت فيه: قف! وأنا أركض خلفه:

ـ قف، وإلاّ أطلق النار عليك يا ماك سوين.

توقف بعد قليل والتفت نحوي.

ـ آه. هذا أنت، وكأن هناك فرقاً بالنسبة له إذا كنت أنا سأتولى إرجاعه إلى السجن أو أي رجل آخر.

قلت له: لماذا تتجولون جميعاً في الشوارع على هذا النحو؟

ـ لا علاقة لي بشيء. قام أحدهم بتفجير أرض الزنزانة. نزلت عبر الحفرة مع الآخرين. تولّت مجموعة صدّ رجال الشرطة. وقمت بمساندة تلك المجموعة مع عدد من المساجين، ثم افترقنا، وأنا كنت أنوي مغادرة هذه المدينة. لم يكن لي علاقة بما حدث، سوى انني خرجت بعد تفجير الحفرة.

قلت له: تمّ اعتقال «الهامس» هذا المساء.

ـ اللعنة! هذا هو السبب إذاً. كان على نونان ان يعرف انه لا يستطيع حبس رجل كهذا... في هذه المدينة.

سألته: هل تعرف لماذا ألقي عليه القبض؟

ـ أجل، من أجل مقتل تيم.

ـ تعرف من الذي قتل تيم؟

ـ طبعاً، هو الذي قتله.

ـ تعرف ذلك.

ـ ما بك؟ هل أنت ساذج؟

حذرته قائلاً: في يدي اليسرى مسدس.

ـ لكن ... ألم يقل تيم لتلك المرأة ان «الهامس» هو الذي قتله؟ ما بك الآن؟

ـ تيم لم ينطق اسم «الهامس». سمعت النساء يطلقن على تايلر اسم ماكس، لكنني لم أسمع رجلاً في هذه المدينة يدعوه إلاّ باسم «الهامس». تيم لم يقل ماكس، بل قال «ماك س»... الجزء الأول من ماك سوين... ومات قبل ان يتمكن من نطق الاسم بأكمله. لا تنس انني أحمل مسدساً.

ـ ولماذا أقتله؟ انه كان يريد الفتاة...

قلت له: لم أصل إلى هذا الأمر بعد. أنت افترقت عن زوجتك. وتيم كان زير نساء، أليس كذلك؟ ربما تكون تضايقت منه في هذا الصدد. سوف أتحرى الأمر جيداً. الذي جعلني أفكر في مسؤوليتك عن الحادثة كونك لم تحاول الحصول على المزيد من المال من الفتاة.

توسّل إليّ قائلاً: أسكت. أنت تعرف ان كلامك لا معنى له. ما الذي كان يدفعني للبقاء في مكان الحادثة إذاً؟ كان الأفضل لي ان أحاول تدبير إثبات لبراءتي كما فعل «الهامس».

ـ لم تكن بحاجة لذلك لأنك كنت من رجال الشرطة. وكان من الأفضل لك ان تكون قريباً مما يحدث... لتتأكد ان

كل شيء يسير على ما يرام... وتحاول ان تتولى التحقيق في الحادثة بنفسك.

- أنت تعرف ان كلامك لا معنى له، دعك منه، أرجوك.

قلت له: لا يضايقني هذا الكلام مهما وصلت درجة الحماقة فيه، وسوف أنقله إلى نونان حين نعود معاً إلى مركز الشرطة. انه على الأرجح متضايق من هرب «الهامس»، وهذا الحديث يجعله ينسى ذلك.

جثا ماك سوين على ركبتيه في الزقاق الموحل وصرخ قائلاً:

- لا، أرجوك، لا! سوف يقتلني بيديه.

أمرته قائلاً: انهض وكفّ عن الصراخ. هل ستقول لي الحقيقة الآن؟

ردّد قائلا: سوف يقتلني بيديه.

- إفعل ما يحلو لك. إذا رفضت مصارحتي، سوف أقول لنونان. وإذا قبلت، سأحاول جهدي لمساعدتك.

سألني يائساً: وماذا تستطيع ان تفعل؟

وأخذ يتباكى ثانية: وكيف أعرف انك ستحاول مساعدتي؟

خاطرت وصارحته بشيء من الحقيقة:

- أنت قلت انك تعرف طبيعة المهمة التي أقوم بها في بويزون فيل. أنت تعرف إذاً انني أريد ان يظل الخلاف سائداً بين نونان و «الهامس». ونونان يعتقد ان «الهامس» هو قاتل أخيه وهذا يكفي لاستمرار الخلاف بينهما. لكن إذا رفضت مشاركتي في اللعب أغيّر رأيي وأبدأ لعبة جديدة مع نونان.

سألني بحماسة: ماذا تقصد بأنك لن تقول له؟ هل تعدني بذلك؟

ـ لا أعدك شيئاً. ولماذا أعدك؟ أنت في قبضة يدي الآن. قرّر الآن وبسرعة ستتحدث معي أم مع نونان. أنا لا أنوي البقاء هنا طوال الليل.

فكّر قليلاً ثم قال: لا أعرف مدى اطلاعك على هذا الموضوع، لكن المشكلة كانت كما تصوّرتها، زوجتي وقعت بالفعل في حب تيم، وأنا صرت متشرداً من أجل ذلك. تستطيع ان تسأل عني وستعرف انني كنت رجلاً طيباً قبل هذه المشكلة. كنت أحقّق لها جميع رغباتها. ومع انها كانت غالباً رغبات قاسية وصعبة، لكنني لم أرفض لها طلباً. ربما كان من الأفضل ان أعاملها بأسلوب آخر. سمحت لها بمغادرة البيت وبالمطالبة بالطلاق، حتى تتمكن من الزواج منه، لاعتقادي انه يريد ان يتزوجها.

بعد فترة غير طويلة وصلني انه يطارد ميرتيل جنيسون. لم احتمل الخبر. أعطيته الفرصة ليعيش مع هيلين، وهو الآن يتخلّى عنها من أجل هذه الفتاة التي تدعى ميرتيل. لن أقبل بهذا، لأن هيلين ليست محتالة. وفي تلك الليلة التقيت به صدفة، رأيته يتوجه إلى البيوت الصيفية وتبعته. بدا لي المكان هادئاً ومناسباً للتحدث معه بصراحة.

أعتقد انه كان قد تناول بضعة كؤوس مثلي. على أية حال كان كلامنا عنيفاً وحادّاً. وحين ازدادت عصبيته تناول مسدسه. كان وجهه شاحباً. وضعت يدي على المسدس، وأثناء تصارعنا عليه انطلقت رصاصة منه. أقسم لك بأن

الرصاصة انطلقت بهذه الطريقة. هربت لأختبىء بين شجيرات قريبة. وحين وصلت إلى الشجيرات سمعته يئنّ ويتفوّه ببعض الكلمات. رأيت بعض الأشخاص يقبلون نحوه... وفتاة خرجت من الفندق أخذت تجري نحوه أيضاً.

كنت أريد ان أخرج إليه لأسمع ما يقول، حتى أعرف وضعي جيداً، لكنني خفت من الوصول إليه أولاً. انتظرت حتى وصلت الفتاة إليه، وكنت لا أزال أسمع صوته لكنني لم أكن أفهم شيئاً مما يقول. حين وصلت الفتاة، ركضت إليها ووقفت بجانبها فسمعته وهو يحاول ان ينطق إسمي كاملاً.

لم يخطر لي انه اسم «الهامس» إلى ان قدمت لي الفتاة عرضها مع رسالة الانتحار التي كتبها تيم ومائتي دولار وخاتم الماس. لم أغادر المنطقة بحجة انني أشارك في التحقيق... لأنني كنت شرطياً في ذلك الحين ـ ولكي أتأكد من وضعي؛ وقد ساعدني موقف الفتاة كثيراً فشعرت بالارتياح. وظل الوضع على هذا النحو حتى بدأت أنت بنبش الأمور ثانية.

أخذ يرفع رجليه ثم ينزلهما في الوحل، وأضاف: في الاسبوع التالي توفيت زوجتي، في حادثة سيارة. حادثة! انطلقت بسيارتها الفورد إلى تقاطع السكة الحديدية وأوقفتها على السكة تماماً، وجلست فيها.

سألته: هل تتبع منطقة بحيرة موك هذه المقاطعة؟

ـ لا، انها في مقاطعة كاونتي.

ـ تلك المقاطعة ليست في نطاق عمل نونان. ما رأيك ان نتوجه إلى هناك كي أسلّمك إلى الشريف.

ـ لا. الشريف هو صهر السيناتور كيفر... يدعى توم كوك.

الوضع هناك لا يختلف كثيراً عن هنا، لأن نونان يستطيع الوصول إليّ من خلال كيغر.

ـ إذا حدث ذلك فعلاً، تكون أمامك فرصة للدفاع عن نفسك في قاعة المحكمة.

ـ لن يعطوني أية فرصة. كنت أسلّم نفسي لو أن هناك احتمالاً في الحصول على محاكمة عادلة... لكنهم لن يسمحوا بذلك.

قلت له: سنعود إلى مركز الشرطة الآن، وأنت إلزم الصمت.

كان نونان يروح ويجيء وهو يسبّ ويلعن مجموعة من رجال الشرطة الذين وقفوا أمامه وهم يتمنون لو يكونون في مكان آخر.

قلت له وأنا أدفع ماك سوين إلى الأمام: وجدته يتجول في الأزقة.

ضربه نونان حتى أوقعه على الأرض، ثم رفسه، وطلب من أحد الرجال أن يأخذه إلى السجن.

قال له شرطي انه مطلوب على الهاتف. تركته دون ان أتمنى له ليلة سعيدة وعدت إلى الفندق.

إلى الجهة الشمالية لا تزال تسمع أصوات طلقات متفرقة.

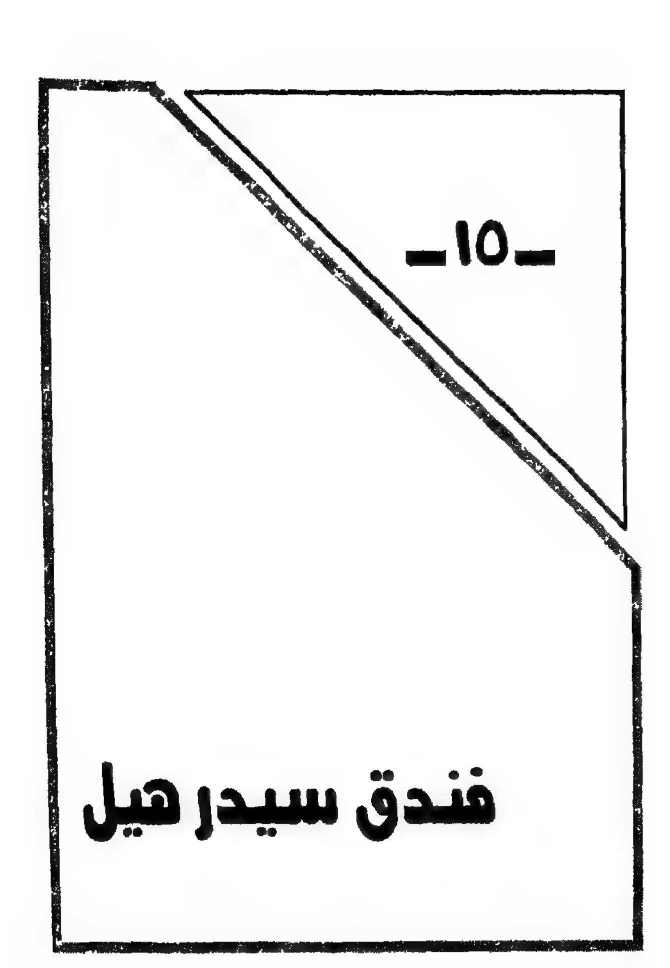
مرّ بالقرب مني ثلاثة رجال يمشون بحذر وينظرون حولهم.

بعد قليل التقيت برجل ابتعد حتى طرف الرصيف كي يفسح لي المجال بالمرور، لم أكن أعرفه ولا أعتقد انه كان يعرفني.

سمعت طلقاً نارياً من مكان غير بعيد.

حين وصلت إلى الفندق، مرت سيارة سوداء بسرعة خمسين على الأقل وفيها عدد كبير من الرجال.

ابتسمت. بدأت بويزون فيل تغلي من الداخل، وشعرت بأنني من السكان المحليين ونسيت حتى دوري في عملية الغليان هذه واستغرقت في نوم مريح دام اثنتي عشرة ساعة.


-١٥-
فندق سيدرهيل

أيقظتني مكالمة هاتفية من ميكي لينهان بعد الظهر بقليل.

قال لي: وصلنا، أين فرقة الاستقبال؟

ـ قد تكون توقفت لتشتري حبل مشنقة. احملا حقائبكما وتعاليا إلى الفندق. غرفة ٥٣٧. لا تعلنا نبأ وصولكما.

حين وصلا كنت قد ارتديت ملابسي.

ميكي لينهان ضخم وله كتفان مرتخيتان، وجسم ليس له شكل محدد يبدو كأنه سينفصل عن بعضه البعض عند كل مفصل. أذناه تشبهان جناحين أحمرين، ووجهه المستدير والمتورد عادة يوحي بالابتسامة المتكلّفة ان صاحبه على جانب من الذكاء. كان يشبه الممثل الكوميدي، وهو كان كذلك فعلاً.

ديك فولي كندي صغير القامة وله وجه حاد الملامح. كان ينتعل حذاء بكعب عالٍ كي يبدو أطول، وكان يضع قطرات من العطر على محارمه، ويختصر كثيراً في كلامه.

إنهما أفضل رجال المباحث الخصوصيين.

سألتهما بعد جلوسهما: ماذا أخبركما الرجل الكبير عن المهمة؟

والرجل الكبير هو المدير المسؤول عن فرع الوكالة في سان فرنسيسكو. وكان معروفاً أيضاً باسم بيلاطس لأنه كان يبتسم بهدوء حين يعذبنا ويكلفنا بمهمات انتحارية. كان رجلاً كبيراً هادئاً ومهذباً ويتحلّى بدفء يعادل حبل المشنقة. يقول الظرفاء في الوكالة انه يستطيع ان يبصق كتلة من الجليد في شهر تموز/ يوليو.

قال ميكي: يبدو انه لا يعرف كثيراً، ولم يقل لنا سوى انك أبرقت إليه تطلب مساعدة. وقال أيضاً انه لم يستلم منك أي تقرير منذ يومين.

- أعتقد انه سينتظر يومين آخرين. هل تعرفان شيئاً حول بيرسون فيل؟

هزّ ديك رأسه وقال ميكي: سمعت بعض الأشخاص يطلقون عليها اسم بويزون فيل (أي مدينة السم) وكأنهم يعنون ذلك.

أخبرتهما بما أعرف وماذا فعلت. رنّ جرس التلفون يقاطعني في الربع الأخير من حكايتي.

سمعت صوت دينا براند الكسول:

- مرحبا! كيف حال معصمك؟

- مجرد حرق بسيط. ما رأيك بعملية الفرار؟

- هذه ليست غلطتي. أنا قمت بواجبي. إذا كان نونان لا يستطيع الاحتفاظ به، هذا أمر سيىء جداً. سأنزل إلى السوق

لأشتري قبعة بعد الظهر. فكرت أن أزورك إذا لم يكن عندك مانع.

ـ في أية ساعة؟

ـ حوالي الثالثة.

ـ حسناً، سأنتظرك، وسأعطيك مبلغ المئتي دولار، وعشرة سنتات الذي أدين لك به.

ـ هذا رائع. كنت أنوي زيارتك لهذا السبب. إلى اللقاء.

عدت إلى مقعدي لأتابع حكايتي.

حين انتهيت صفّر ميكي لينهان وقال:

ـ لا غرابة انك تخاف ان ترسل تقارير. لن يستطيع الرجل الكبير ان يفعل شيئاً إذا عرف حقيقة ما يجري هنا، أليس كذلك؟

ـ إذا تمّت الأمور بالطريقة التي أريد، لن أكون مضطراً لذكر جميع التفاصيل المزعجة. من المستحسن ان تكون للوكالة قوانينها وأنظمتها، لكن حين يكون الواحد منا في صدد تنفيذ مهمة معينة عليه ان يقوم بواجبه بأفضل طريقة ممكنة. لا فائدة من التعامل بالأصول الأخلاقية في بويزون فيل. ولا مجال في التقرير، لذكر التفاصيل القذرة، ولا أريد منكما ان ترسلا شيئاً إلى سان فرنسيسكو دون ان أطّلع عليه أولاً.

سأل ميكي: ما هو نوع العمل الذي تريدنا ان نقوم به؟

ـ أريد منك ان تتولى أمر بيتر الفنلندي، وديك يتولى أمر ليو يارد. يجب ان تلعبا اللعبة على طريقتي ـ محاولات متواصلة طالما ان الوقت يسمح بها. أعتقد انهما سيحاولان إقناع نونان

بالتخلي عن مطاردة «الهامس». لست واثقاً من القرار الذي قد يتخذه، انه متقلّب جداً ويريد في الوقت نفسه الانتهاء من قضية مقتل أخيه.

قال ميكي: ماذا تريدني ان أفعل مع هذا الفنلندي؟

ـ لا أريده ان يكتشف سذاجتي؛ وهذه المهمة تبدو لي واضحة مثل علم الفلك. أنا أفهم كل ما يتعلّق بها لكنني لا أفهم ماذا فعلت ولماذا وما الذي تريد ان تفعله الآن وكيف؟

ـ إبدأ بتعقبه. يجب ان أحصل على معلومات تمكنني من الفصل بين بيتر ويارد، وبين يارد ونونان، وبين بيتر ونونان، وبين بيتر وتايلر، أو يارد وتايلر. إذا تسنّى لنا ان نثير بعض الأمور... ونكسر هذا التحالف... سوف يضع كل واحد منهم سكينه في ظهر الآخر، وسوف ينجزون لنا عملنا. الخلاف بين تايلر ونونان بداية، ولكن الخلاف سيضعف تدريجياً إذا لم نساعده.

ـ أستطيع ان أشتري معلومات عنهم جميعاً من دينا براند. لكن لا فائدة من اقتياد أي واحد منهم إلى المحكمة مهما كانت المعلومات التي تمتلكها ضدّه. إنهم يمتلكون المحاكم، وعلى أية حال فالمحاكمة بحد ذاتها إجراء بطيء بالنسبة لنا الآن. صرت متورطاً في عدة أمور هنا، وإذا وصل ذلك إلى الرجل الكبير ـ وسان فرنسيسكو ليست بعيدة، عندها لن يكفّ عن الاتصال بي يطالبني بشرح موقفي. يجب ان أحصل على نتائج تقلّل من أهمية التفاصيل. لذلك فإن الاثبات بالإدانة لا يكفي. يجب ان نفجّر الوضع.

سألني ميكي: وماذا عن موكلنا المحترم السيد أليهو ويلسون؟ ماذا تنوي أن تفعل معه أو ضده؟

ـ قد أحطّمه، أو أدفعه ليكون سنداً لنا. لا يهمني كثيراً أي موقف اتخذ. من الأفضل ان تنزل يا ميكي في فندق بيرسون، وديك ينزل في فندق ناشيونال. لا تظهرا سوية، وإذا كنتما لا تريدان ان أطرد من عملي، اجتهدا لتنفيذ المهمة في أسرع وقت ممكن قبل أن تصل الأخبار إلى الرجل الكبير. من الأفضل ان تدوّنا هذه المعلومات.

أعطيتهما أسماء وأوصافاً وعناوين: أليهو ويلسون؛ وستانلي لويس، سكرتيره؛ ودينا براند؛ ودان رولف؛ وماكس تايلر، الشهير بـ «الهامس»؛ وذراعه الأيمن جيري؛ والسيدة دونالد ويلسون؛ وابنة لويس، التي كانت سكرتيرة دونالد ويلسون؛ وبيل كوينت، صديق دينا الراديكالي.

قلت لهما: والآن إلى العمل. ولا تنخدعا بأن هناك قانوناً في بويزون فيل سوى القانون الذي يسنّه كل فرد لنفسه.

قال ميكي انني قد أتفاجأ إذا عدّد لي القوانين التي يستطيع ان يتغاضى عنها. وديك اكتفى بالقول: «إلى اللقاء» وخرجا.

بعد تناول الفطور قصدت مبنى السراي.

بدا التعب واضحاً في عيني نونان الخضراوين، كأنه لم ينم، ووجهه كان شاحباً. أخذ يهز يدي بحماسة كما يفعل منذ فترة، ورحّب بي بالكمية المعتادة من العبارات الودية.

سألته بعدما انتهى من التعبير عن فرحه برؤيتي: هل من جديد بالنسبة لـ «الهامس».

ـ أعتقد اننا توصّلنا لشيء. ونظر إلى الساعة المعلقة على الحائط ثم إلى الهاتف وقال: انني أتوقع ان يتصلوا بي في أية لحظة. تفضل بالجلوس.

ـ من هرب معه؟

ـ جيري هوبر، وطوني غوستي لا يزالان هاربين. استطعنا القبض على الآخرين.

جيري هو مرافق «الهامس» الأمين، والايطالي الأسمر هو أحد رجاله، وهو الذي ضرب آيك بوش بالسكين ليلة الملاكمة.

ـ وهل عندك غيرهما من جماعة «الهامس»؟

ـ لا. لم يكن عندنا سوى هذين الرجلين و «الهامس» ، أما بوك والاس، الرجل الذي ضربته أنت، فإنه لا يزال في المستشفى.

نظر القائد إلى ساعة الحائط مرة ثانية، وإلى ساعته. إنها الثانية تماماً. التفت إلى جهاز التلفون. رنّ التلفون.

رفع السماعة وقال: نونان يتكلم... نعم... نعم... حسناً.

دفع التلفون جانباً وأخذ يضغط على مجموعة الأزرار اللؤلؤية على مكتبه. امتلأت الغرفة برجال الشرطة.

قال: فندق سيدر هيل. بايتس، أنت تلحق بي مع مجموعتك. تيري تقطع برودواي وتحيط بالمبنى من الخلف، وتأخذ معك الرجال الذين يقومون بتنظيم السير. سوف نحتاج إلى عدد كبير من الرجال. دافي، خذ رجالك عبر شارع

يونيون ثم على طريق المنجم القديم. ماك غرو يتولى القيادة اجمعوا أكبر عدد من الرجال والحقوا بنا. هيا، إلى العمل.

تناول قبعته ليخرج وراءهم والتفت إليّ قائلاً: هيا بنا، انها الضربة الحاسمة.

نزلنا إلى المرآب، حيث كانت تهدر محركات ست سيارات معاً. جلس القائد بجوار السائق. جلست في المقعد الخلفي مع أربعة من الرجال.

احتشد سائر الرجال في السيارات الأخرى. وزعت عليهم الرشاشات والبنادق والمسدسات وعلب من الذخيرة.

انطلقت سيارة القائد في المقدمة، وكانت انطلاقتها مفاجئة في سرعتها حتى اصطكت أسناننا. خرجنا من باب المرآب على بعد نصف انش منه فقط، ولحق السائق باثنين من المشاة على الرصيف ثم نزل عن الرصيف إلى الطريق وكاد يرتطم بشاحنة ولم يفصل بيننا وبينها أكثر من المسافة التي فصلت بيننا وبين باب المرآب، ثم انطلق بسرعة هائلة في شارع كينغ وجهاز الانذار يعمل بأقصى قوته.

أخذت السيارات المذعورة تتدافع ذات اليمين وذات اليسار غير مبالية بقانون السير، كي تفسح لنا المجال بالمرور. وجدت متعة كبيرة في ذلك.

التفتُّ إلى الوراء، رأيت سيارة شرطة تتبعنا، وسيارة أخرى انعطفت في شارع برودواي كان نونان يمضغ طرف سيجار لم يشعله، وقال للسائق: أسرع قليلاً يا بات.

التفّ بات بالسيارة حول سيارة صغيرة تقودها امرأة أصيبت بالذعر، ووضعنا في مجاز ضيّق بين سيارة أجرة وشاحنة تابعة

لمصبغة؛ مجاز ضيق لم تكن سيارتنا لتتمكن من الافلات منه لولا انها مطلية بطبقة كثيفة من الميِنا الناعم.

قال السائق: كما تريد، لكن الفرامل ليست جيدة.

ـ هذا رائع.. قال الرجل ذو الشارب الرمادي الذي يجلس إلى يساري. ولم يكن يعبّر عن حقيقة شعوره.

بعيداً عن وسط المدينة لم يعد هناك عدد كبير من السيارات ليزعجنا، لكن أرضية الشارع المرصوفة كانت أشد خشونة. مضت نصف ساعة ممتعة وكل واحد يميل على الآخر ويجلس في حضنه. في الدقائق العشر الأخيرة صارت الطريق عبارة عن صعود وهبوط متتالين أنسيانا ما قاله بات عن الفرامل.

توقفنا أمام بوابة عليها يافطة كهربائية غير مضاءة تحمل اسم: فندق سيدر هيل. كان مبنى الفندق يبعد قليلاً عن البوابة، وهو كناية عن مبنى خشبي عليه طلاء أخضر متعفّن وتحيط به أكوام من الزبالة. كان الباب الرئيسي مقفلاً والنوافذ أيضاً.

نزلنا من السيارة بعد نونان. السيارة التي كانت تلحق بنا وصلت إلى المنعطف ثم توقفت خلف سيارتنا وأفرغت حمولتها من الرجال والعتاد.

أخذ نونان يوزّع أوامره على هذا وذاك.

مجموعتان تتألف الواحدة منهما من ثلاثة رجال أحاطتا بالمبنى من جانبيه. ثلاثة رجال أخذوا مراكز لهم عند البوابة وبينهم حامل رشاش. وأخذنا نمشي بين العلب الفارغة والزجاجات والصحف القديمة حتى وصلنا إلى البيت.

الرجل ذو الشارب الرمادي، الذي كان يجلس بجواري في السيارة، كان يحمل فأساً حمراء. صعدنا إلى الشرفة.

سمعنا صوتاً خلف إحدى النوافذ، وانطلقت النار.

وقع الرجل ذو الشارب الرمادي والفأس تحته. فركضنا بعيداً.

اختبأت مع نونان في خندق بين الفندق والطريق. وكان الخندق عميقاً وله حافتان عاليتان بحيث تمكنّا من الوقوف فيه دون ان نكون هدفين لمطلقي النار.

كان القائد منفعلاً وقال فرحاً: يا له من حظ رائع! انه موجود هنا، يا إلهي، انه هنا!

قلت له: تلك الطلقة جاءت من تحت عتبة النافذة، خدعة لا بأس بها.

قال بمرح: لكننا لن نتركهم يفرحون بها. سوف نحوّل هذا المبنى القذر إلى منخل. أعتقد ان «دافي» يكون قد وصل من الطريق الثانية، ولن يتأخر عنه تيري شاين كثيراً.

يا «دونر»! ... نادى على رجل كان يختلس النظر من خلف صخرة كبيرة. انتظر دافي وشاين في الجهة الخلفية من المبنى وقل لهما ان يباشرا بالهجوم حين وصولهما وان يستعملا كل ما يحملانه من الأسلحة. أين كيمبل؟

أشار الرجل بإصبعه إلى شجرة وراءه. لم نكن نرى سوى القسم الأعلى منها من الخندق.

أمره نونان قائلاً: قل له ان يستعد ويبدأ بإطلاق النار من رشاشه، ويصوّب إلى واجهة الطبقة الأولى على نحو

منخفض، ويجب ان يطلق النار على نحو متواصل وكأنه يقطع قالباً من الجبنة.

اختفى الرجل.

أخذ نونان يرفع رأسه ثم يخفضه، ثم تجرأ وألقى نظرة على المكان، ومن حين لآخر كان ينادي أحد رجاله أو يلوّح لآخر بيده.

نزل أخيراً وجلس بالقرب مني وأعطاني سيجاراً، وأشعل سيجاراً.

قال راضياً عن نفسه: هذا يكفي. ليست أمام «الهامس» أية فرصة للهرب. لقد انتهى.

بدأ الرشاش يطلق النار على نحو متقطع في البداية، كتجربة، ثماني أو تسع طلقات في الدفعة الواحدة. ابتسم نونان ونفث الدخان وأخذ يتأمل الحلقة التي تكوّنت. بدأ الرشاش يطلق النار بغزارة ويطحن الحديد كأنه معمل صغير ينتج الموت. نفث نونان حلقة ثانية من الدخان وقال:

ـ بهذه الطريقة تنجح العملية.

وافقت معه انها لا بد لها ان تكون عملية ناجحة. أسندنا ظهرينا إلى الحائط ونحن ندخّن فيما بدأ يعمل من مكان آخر رشاش ثانٍ ، ثم رشاش ثالث. وعلى نحو متفاوت انضمت إليها البنادق والمسدسات وبنادق الرشّ. أحنى نونان رأسه بارتياح وقال:

ـ خمس دقائق متواصلة على هذا النحو وسيعرف انه في جهنم.

بعد مضي خمس دقائق اقترحت عليه ان نلقي نظرة على ما تبقى من المبنى. ساعدته حتى صعد ورفعت نفسي حتى صعدت وراءه.

كان المبنى معتماً وخالياً كما بدا في السابق، لكن الطلقات حفرت فيه فجوات لا تحصى. لا أحد يطلق النار من الداخل، فيما استمر وابل من الرصاص في الدخول إليه.

سألني نونان: ما رأيك؟

ـ إذا كان في البيت قبو قد نعثر فيه على فأر لا يزال على قيد الحياة.

ـ حسناً، نستطيع ان نقتله فيما بعد.

تناول صفّارة من جيبه وصفّر فيها بأعلى صوته. لوّح بيديه المكتنزتين وبدأت الأسلحة تهدأ. انتظرنا أوامره بالتقدم نحو البيت.

اقتحمنا المبنى. دخلنا الطابق الأول وغرقت أقدامنا بالشراب المسكر الذي كان يغطي أرضه والذي ما زال يتسرب من فجوات الرصاص التي ملأت الصناديق الموضّبة والبراميل، التي توزعت في معظم أنحاء البيت.

أصيب الجميع بالدوار من الأبخرة المتصاعدة من الشراب، وأخذنا نتجول في أنحاء البيت حتى وجدنا أربع جثث، لرجال أجانب، بشرتهم داكنة ويرتدون ثياب العمل. اثنان منهم كاد الرصاص ان يمزقهما إرباً.

قال نونان: اتركوا الجثث في مكانها، واخرجوا.

في صوته نبرة فرحة، لكن بريق عينيه كشف عن خوفه من ذلك المشهد.

لبينا أمره بسرور، مع انني تريثت قليلاً حين رأيت زجاجة «ديوارس» غير مكسورة ووضعتهافي الحال في جيبي.

وجدنا شرطياً يرتدي بذلة كاكية ويركب دراجة نارية في انتظارنا عند البوابة. صرخ قائلاً حين رآنا:

ـ مصرف فيرست ناشيونال تعرّض للسطو.

أخذ نونان يلعن ويسب وقال:

ـ اللعنة عليه، لقد خدعنا! فليرجع الجميع إلى المدينة، في الحال.

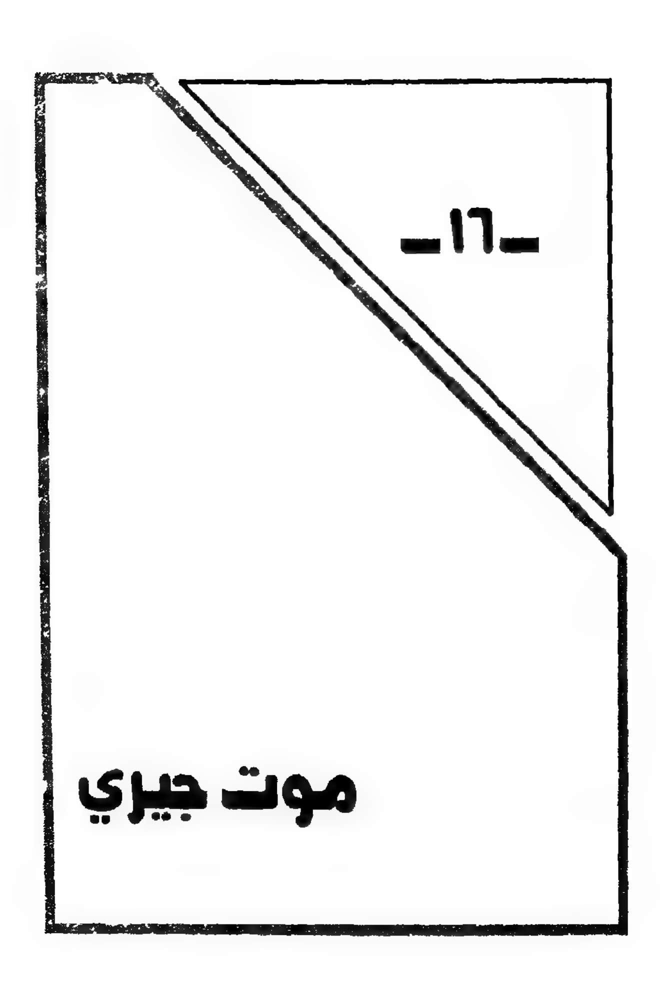
جميع الرجال، عدا الذين أتوا في سيارة القائد، عادوا إلى السيارات التي انطلقت بهم إلى المدينة. اثنان منهم حملا الشرطي القتيل.

نظر إليّ نونان بطرف عينه:

ـ هذه المرة ستكون الضربة قاسية، لا مجال للخداع.

قلت له: حسناً، وهززت كتفي، وتوجهت إلى السيارة؛ كان السائق يجلس وراء المقود. وقفت أدير ظهري إلى البيت وأتحدث مع بات. لا أذكر موضوع حديثنا. بعد قليل انضم إلينا نونان مع الشرطيين الآخرين.

بدا لهيب ضئيل من خلال باب الفندق المفتوح، وانطلقت بنا السيارة وانعطفت في شارع آخر ولم نعد نرى الفندق.


-١٦-
موت جيري

وجدنا جمعاً محتشدًا أمام مصرف «فيرست ناشيونال». دفعنا الباب ودخلنا ووجدنا ماك غرو والمرارة بادية على وجهه.

أخذ يقدم تقريراً عن الحادثة للقائد ونحن ندخل إلى القاعة: كانوا ستة رجال مقنّعين. نفذوا العملية حوالى الثانية والنصف. تمكن خمسة منهم من الهرب مع المال المسروق، فيما أسقط الحارس واحداً من بينهم ويدعى جيري هوبر. انه ممدد على المقعد. طلبت إغلاق جميع الطرقات، وأرسلت برقيات إلى المدن القريبة، ولا أعرف إذا كان هذا لا يزال مفيداً. آخر مرة شوهدوا في سيارة لنكولن سوداء في شارع كينغ.

وقفنا نلقي نظرة على جيري الميت، وهو ممدّد على مقعد في قاعة الانتظار وعليه ثوب فضفاض بني اللون. أصابته الرصاصة تحت إبطه الأيسر.

حارس المصرف، وهو عجوز مسالم، تنفّس بعمق وأخذ يخبرنا بما حصل:

ـ لم يكن هناك مجال لأن أفعل شيئاً في البداية. دخلوا علينا فجأة، وأخذوا وقتهم في تجميع المال. لا مجال للقيام بأية

محاولة وهم يجمعون المال. لكنني قلت في نفسي: حسناً، تستطيعون أن تأخذوا ما تريدون، لكن انتظروا حتى تخرجوا من هنا سالمين.

وكنت على مستوى هذا الكلام، صدقوني. ركضت خلفهم وأطلقت عليهم النار من مسدسي القديم. أصبت هذا الرجل وهو يهمّ بالصعود إلى السيارة. وأؤكد لكم انني كنت سأصيب غيره لو أنني كنت أحمل المزيد من الرصاص، لأنه من الصعب ان تطلق النار هكذا، وأنت واقف في...

قاطع نونان هذا المونولوج وأخذ يربّت على ظهر العجوز حتى أفرغ له رئتيه من الهواء، وقال له: هذا رائع فعلاً. هذا رائع فعلاً.

رفع ماك غرو الغطاء عن القتيل وقال:

- لم يستطع أحد التعرّف إلى شخصية أي واحد من المهاجمين، لكن بما ان جيري كان مع المجموعة، من الواضح انها عصابة «الهامس».

أحنى القائد رأسه بسرور وقال:

- سأترك الأمر بين يديك يا ماك. هل تريد البقاء هنا، أم ترجع معي إلى المركز؟

- لا هذا ولا ذاك. عندي موعد وأريد ان أغيّر ملابسي.

كانت سيارة دينا براند متوقفة أمام الفندق، لم أجدها في القاعة. صعدت إلى غرفتي وأغلقت الباب دون أن أقفله. خلعت معطفي وقبعتي، ودخلت دينا دون ان تدق الباب.

قالت: يا إلهي! رائحة الشراب تفوح من غرفتك.

ـ لا إنها تفوح من حذائي. اصطحبني نونان لنخوض في مبنى غرقت أرضه بالدم.

توجهت إلى النافذة وفتحتها ثم جلست على حافتها وسألتني:

ـ ولماذا فعل ذلك؟

ـ اعتقد انه سيجد ماكس في مبنى عتيق يدعى فندق سيدر هيل. قصدنا المكان وأمطرناه بوابل من الرصاص، وقتلنا أربعة من العمال الأجانب، وأهرقنا كميات من المشروب، وتركنا المكان وقد بدأت تلتهمه ألسنة النيران.

ـ فندق سيدر هيل؟ أعرف انه مغلق منذ سنة أو أكثر.

ـ وكان يبدو انه مغلق لكن أحد المهربين يستخدمه مخزناً.

سألته: لكن أنتم لم تعثروا على ماكس هناك؟

ـ فيما كنّا هناك يبدو انه كان ينفذ عملية السطو على مصرف أليهو، «فيرست ناشيونال».

ـ شاهدت عملية السطو هذه. كنت خارجة من مخزن بينغرين القريب من المصرف. صعدت إلى سيارتي ورأيت شاباً طويلاً يخرج من باب المصرف الخلفي وهو يحمل كيساً ومسدساً؛ ويغطي وجهه بمحرمة سوداء.

ـ وهل كان ماكس معهم؟

ـ لا، لا أعتقد انه يحضر معهم، إنه يرسل جيري مع بعض الرجال، وهو يحتفظ بهم لتنفيذ مثل هذه المهمات. جيري كان موجوداً. عرفته منذ نزوله من السيارة بالرغم من المنديل الأسود. كانوا جميعاً يضعون مناديل سوداء على وجوههم.

أربعة منهم خرجوا من المصرف وركضوا إلى السيارة التي كانت تنتظرهم عند المنعطف. وفي السيارة كان جيري ينتظر مع شخص آخر. حين رأى الرجال الأربعة يتجهون إلى السيارة، نزل لملاقاتهم. في هذه اللحظة بدأ اطلاق النار وسقط جيري. صعد الآخرون في السيارة وغادروا المكان بسرعة. ماذا عن المبلغ الذي تدين لي به؟

أخذت أعد مئتي دولار وعشرة سنتات، فتركت النافذة وتقدمت مني لتأخذها.

ـ هذا من أجل إبعاد دان حتى تمكنت من إلقاء القبض على ماكس.

قالت ذلك وهي تضع المبلغ في حقيبتها. وماذا عن اعطائك اسم الفتاة التي استطعت الحصول منها على المعلومات حول مقتل تيم نونان؟

ـ يجب ان تنتظري حتى تتم محاكمة تايلر بهذه التهمة. كيف لي أن أعرف مدى فعالية هذه المعلومات؟

عبست وقالت:

ـ ماذا تفعل بالمال الذي لا تنفقه؟

وأشرقت أساريرها فجأة وقالت: هل تعرف أين يوجد ماكس الآن؟

ـ لا.

ـ كم يساوي هذا الخبر؟

ـ لا شيء.

ـ سأقول لك أين يوجد مقابل مئة دولار.

ـ لن أستغل وضعك لانتزاع المعلومات منك بهذه الطريقة.

ـ سأقول لك مقابل خمسين دولار.

هززت رأسي.

ـ خمسة وعشرون.

ـ لا أريده. لا يهمني أين يوجد. لماذا لا تحاولين بيع المعلومات إلى نونان؟

ـ أجل، وأحاول جمع المال منه، هل أنت تستخدم المشروب لتتعطر به، أم انك تستخدمه لتشربه أيضاً؟

ـ هذه زجاجة من الماركة الشهيرة «ديوارس» وقد حصلت عليها من مخزن سيدر هيل بعد ظهر اليوم. وعندي في حقيبتي «كينغ جورج» أية واحدة تختارين؟

طلبت زجاجة «كينغ جورج». فشرب كل منا كأساً من الويسكي، وقلت:

ـ إجلسي وتناولي كأساً آخر وأنا سوف أغيّر ملابسي.

خرجت من الحمام بعد حوالى خمس وعشرين دقيقة ورأيتها تجلس إلى الطاولة وتدخن سيجاراً وتضع أمامها كتاباً أدوّن فيه ملاحظاتي وكنت قد وضعته في جيب جانبي في حقيبتي.

قالت: أعتقد ان هذه لائحة بالمصاريف التي طالبت بها في قضايا أخرى.

قالت ذلك دون ان تنظر إليّ.

ـ أنا لا أفهم على الاطلاق ما الذي يمنعك ان تكون أكثر تسامحاً معي. انظر، هنا دونت مبلغ ستمائة دولار، وكتبت

بجانبه معلومات. هذه معلومات اشتريتها من شخص آخر، أليس كذلك؟

.. وهذا أيضاً، مبلغ مئة وخمسين دولاراً وقد كتبت بجانب المبلغ تابع للقضية التي ذكرت أعلاه. وها هو يوم آخر انفقت فيه حوالى مئة دولار.

قلت وأنا أنتزع الدفتر من بين يديها:

ـ انها على الأرجح أرقام تلفون. أين تربيت؟ من علمك ان تبحثي في حقائب الآخرين!

قالت لي: نشأت في دير. كنت أفوز بجائزة حسن السلوك عن كل سنة كنت أقضيها هناك. كنت أعتقد ان الفتيات الصغيرات اللواتي يضعن عدة ملاعق من السكر في كؤوس الشوكولا كنّ يذهبن إلى جهنم لأنهن شرهات؛ لم أكن أعرف انه توجد لغة التجديف حتى بلغت الثامنة عشرة. في المرة الأولى التي سمعت فيها عبارات بهذا المعنى كنت في الثامنة عشرة. وفي المرة الأولى التي سمعت فيها بعض هذه العبارات كدت أفقد الوعي.

بصقت على السجادة أمامها وأرجعت ظهر كرسيها قليلاً إلى الوراء، ورفعت رجليها إلى سريري وسألتني: ما رأيك بما قلت لك؟

أنزلت لها رجليها عن السرير وسألتها:

ـ أنا نشأت في صالة قرب الشاطىء. لا تبصقي على أرض غرفتي وإلاّ فإنني سأضربك على رقبتك.

ـ دعنا نتناول كأساً آخر أولاً. اسمع، ماذا تدفع مقابل ان

أقول لك كيف لم يخسر الرجال وهم يشيدون مبنى السراي؟... تلك الحكاية التي أشارت إليها الصحف والتي كنت قد بعتها إلى دونالد ويلسون.

قلت لها: هذه القصص لا تفيدني في شيء؛ جرّبي غيرها.

ـ وما رأيك بسبب إرسال السيدة ليو يارد الأول إلى مستشفى المجانين؟

ـ لا.

ـ كينغ، شريف مدينتنا، كان مديوناً منذ أربع سنوات بمبلغ ثمانية آلاف دولار، وهو اليوم يمتلك مجموعة من المجمعات التجارية في وسط المدينة. لا أستطيع تزويدك بكل المعلومات عنه، لكنني أستطيع ان أدلّك على الشخص الذي سيزوّدك بها.

شجّعتها قائلًا: تابعي محاولتك.

ـ لا. أنت لا تريد ان تشتري شيئاً. أنت تأمل فقط ان تحصل على شيء مقابل لا شيء. هذا الويسكي ليس رديئاً. من أين حصلت عليه؟

ـ أحضرته معي من سان فرنسيسكو.

ـ ما الذي يجعلك لا تريد أية معلومات أعرضها عليك؟ هل تحاول الحصول عليها بسعر أرخص؟

ـ المعلومات من هذا القبيل لم تعد تفيدني اليوم. أنا بحاجة لتحرك سريع. أحتاج إلى ديناميت... شيء يفجّر الوضع ويباعد ما بينهم.

ضحكت وقفزت من مكانها وتألقت عيناها وهي تقول:

ـ معي بطاقة من بطاقات ليو يارد، ما رأيك ان نرسل زجاجة «ديوارس» التي أخذتها إلى بيتر ومعها البطاقة. ألا تعتقد انه سيعتبرها إعلاناً للحرب؟ إذا كان فندق سيدر هيل مخزناً للمشروب، فهذا المخزن لبيتر بدون شك. وفي هذه الحالة ستجعله الزجاجة والبطاقة يعتقد ان نونان اقتحم المكان بناء على أوامر معينة.

فكرت في الأمر وقلت:

ـ محاولة غير مجدية، ولن ينخدع بها. وبالاضافة إلى ذلك أفضل في هذه المرحلة ان يكون ليو وبيتر ضد القائد.

قطّبت جبينها وقالت:

ـ أنت تعتقد انك تعرف كل شيء. أنت صعب ومن غير السهل التعامل معك. هل تخرج معي الليلة؟ عندي فستان جديد سيلفت أنظار الجميع.

ـ لا بأس!

ـ سأكون جاهزة حوالى الساعة الثامنة.

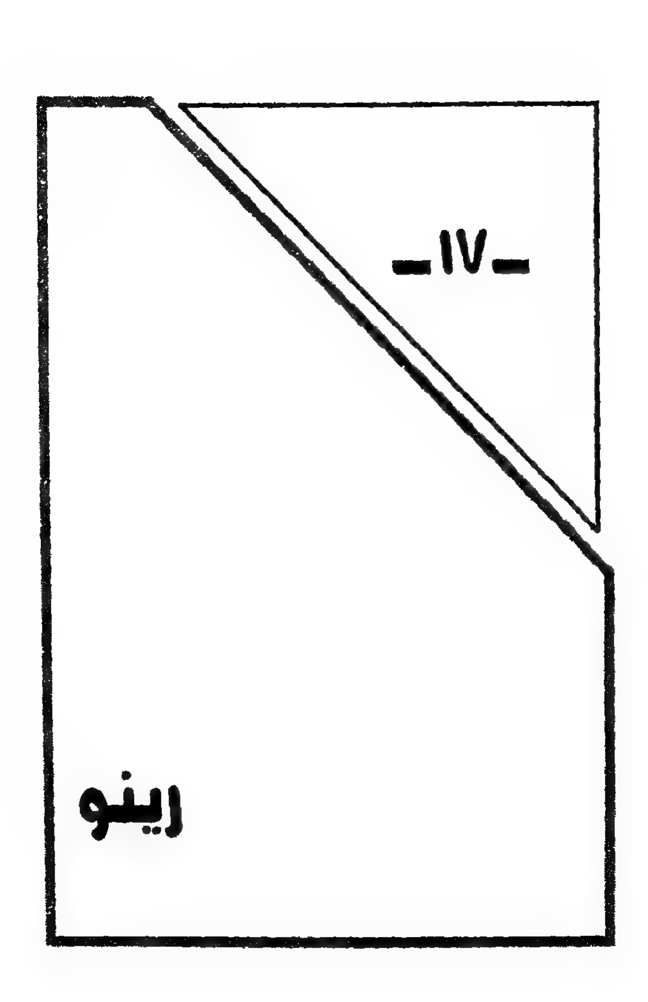
ربتت على خدّي بكفها الدافىء وقالت: إلى اللقاء ثم خرجت فيما أخذ جرس الهاتف يرن.

بدأ ميكي لينهان يقدم تقريره: «صاحبي وصاحب ديك موجودان الآن في بيت موكّلك. وصاحبي كان مشغولاً جداً أكثر من سائس يتولى شأن معلفين، مع انني لا أعرف النتيجة حتى الآن. هل هناك من جديد؟».

قلت له انه لا يوجد أي جديد، وتمددت على السرير أتداول مع نفسي في التطورات الأخيرة، محاولاً ان أخمّن ماذا سيتأتى

عن هجوم نونان على فندق سيدر هيل، وهجوم «الهامس» على مصرف فيرست ناشيونال. كنت أتمنى لو أعرف ماذا يدور من أحاديث في بيت العجوز أليهو، بينه وبين بيتر الفنلندي وليو يارد. لكنني لا أستطيع التوصل إلى ذلك، وأنا لا أجيد التخمين، لذلك أقلعت عن تعذيب نفسي واستغرقت في النوم.

استيقظت حوالى الساعة السابعة. اغتسلت وارتديت ملابسي ووضعت في جيبي مسدساً، وفي الجيب الآخر قارورة صغيرة من الويسكي، وتوجهت إلى بيت دينا.


-١٧-
رينو

دخلت أمامي إلى غرفة الجلوس، ثم تأخرت عني قليلاً واستدارت وسألتني عن رأيي في فستانها الجديد. قلت لها انه يعجبني.

أخذت تشرح لي ان اللون بيج ورديّ وان الزخرفة على الجنب كانت كذا وكذا وعندما انتهت سألتني:

ـ وأنت تعتقد فعلاً أنني أبدو جميلة وأنا أرتديه؟

ـ أنت جميلة دائماً. ليو يارد وبيتر الفنلندي زارا العجوز أليهو بعد ظهر اليوم.

انزعجت وقالت: أنت لا تبالي لثوبي. وماذا كانا يفعلان هناك؟

ـ أعتقد انهما كانا يعقدان اجتماعاً مع العجوز.

تأملتني قليلاً وسألتني: أنت بالفعل لا تعرف أين يوجد ماكس؟

كنت أعرف حين سألتني، ولم أجد مبرراً كي لا أدعي أنني كنت أعرف مكانه منذ هروبه.

قلت لها: إنه في بيت ويلسون على الأرجح، لكن الأمر لم يكن يثير اهتمامي حتى أحاول التأكد منه.

ـ هذا التصرف أحمق. عنده أسباب كثيرة تجعله يكرهك ويكرهني. اعمل بنصيحتي وتحرك بسرعة لإلقاء القبض عليه، هذا إذا كنت تحب الحياة وتريدني ان أعيش بدوري.

ضحكت وقلت:

ـ لم تصلك الأخبار السيئة بعد. ماكس لم يقتل تيم نونان. وتيم لم يقل اسم ماكس قبل وفاته. كان يحاول ان يلفظ اسم ماك سوين، ومات قبل ان ينطق جميع الأحرف.

أمسكت بذراعيّ وحاولت ان تهزّني بوزني الثقيل. كانت قوية جداً وكادت ان تتمكن من ذلك فعلاً.

ـ لعنة الله عليك! وكانت أنفاسها حارة على وجهي. وجهها كان أبيض مثل أسنانها، واللون الأحمر برز بحدة على شفتيها وخديها.

ـ إذا كنت لفقت له تهمة، وجعلتني شريكة في تلفيق هذه التهمة، صار من الضروري ان تتخلص منه ـ الآن.

لا تعجبني هذه الطريقة بالتعامل معي، حتى ولو كانت التي تحاول تحريكي امرأة شابة تبدو كأنها بطلة أسطورة من الأساطير حين تثور وتغضب.

رفعت يديها عن كتفيّ وقلت:

ـ كفّي عن الشكوى. أنت لا تزالين على قيد الحياة.

ـ صحيح، لا أزال على قيد الحياة. لكنني أعرف ماكس أكثر منك. أعرف انه إذا حاول أحدهم تلفيق تهمة له تكون فرصته

ضئيلة في البقاء حياً. وموقفنا سيىء حتى لو كانت التهمة صحيحة، لكن...

ـ لا داعي لكل هذه الجلبة. سبق لي ان لفّقت الاتهامات للملايين ولم أتعرّض لأي سوء. احضري قبعتك ومعطفك كي نخرج الآن. عندما تأكلين ستشعرين بالتحسن.

ـ إذا كنت تتصور انني سأخرج من هنا تكون مجنوناً. لن أخرج...

ـ اسكتي قليلاً. إذا كان على هذا الجانب من الخطورة فإنه يستطيع ان يطالك أينما تكوني. ما الفرق إذاً بين تمضية السهرة هنا أو في الخارج؟

ـ هناك فرق... هل تعرف ماذا ستفعل؟ ستبقى هنا حتى يتم إلقاء القبض على ماكس. هذه غلطتك وأنت مجبر على الاهتمام بي. دان ليس موجوداً في البيت، انه في المستشفى.

قلت لها: لا أستطيع ذلك. عندي عمل يجب أن أقوم به. أنت متوترة من دون سبب أعتقد ان ماكس نسي هذا الموضوع. احضري قبعتك ومعطفك، أنا جائع.

قرّبت وجهها من وجهي ونظرت في عينيّ وبدت كأنها رأت شيئاً فظيعاً فيهما، وقالت:

ـ يا لك من حقير! أنت لا تهتم على الاطلاق لما يحدث لي. أنت تستخدمني كما تستخدم الآخرين... من أجل التفجير الذي تسعى إليه. وأنا وضعت ثقتي فيك.

ـ أنت كتلة متفجرة كالديناميت، هذا صحيح، لكن ما تقولينه لا معنى له. أنت أجمل بكثير حين تكونين سعيدة.

ملامحك حادة والغضب يجعلها تبدو شرسة. أنا جائع يا عزيزتي.

ـ سنأكل هنا. لن أخرج من البيت في الليل.

كانت مصمّمة على ذلك. استبدلت ثوبها بمريلة وفتحت الثلاجة كي تعرف ماذا يوجد فيها. وجدت خسة وبطاطا وفاكهة معلّبة ونصف كعكة من الحلوى.

خرجت إلى المخزن واشتريت شرائح من اللحم وخبزاً وهليوناً وبندورة. وحين عدت إلى البيت وجدتها تعدّ مزيجاً من الجبن والفيرموت وشرائح الليمون ولم تترك للخليط مجالاً كافياً في الخفّاقة كي تستطيع مزجه جيداً.

سألتني: هل رأيت ما يثير الانتباه؟

ابتسمت لها ساخراً بودّية. حمل كل واحد منا كأس الكوكتيل إلى غرفة الطعام وأخذنا نتسلّى في انتظار ان ينضج الطعام.

ساعدها الكأس على استرجاع مرحها. وحين جلسنا لنأكل كانت قد نسيت خوفها تماماً. لم تكن طاهية بارعة، لكننا التهمنا ما أعدت كما لو انها كذلك بالفعل.

تناولنا خليطاً من الجبن وجعة الزنجبيل مع العشاء.

قررت انها تريد ان تخرج وان تفعل ما يحلو لها. لا يستطيع أي وغد حقير ان يحتجزها في البيت، كانت صادقة في علاقتها به وهو الذي صار رديء الطبع بدون سبب، وانه إذا لم يكن يعجبه ما فعلت فإنه يستطيع ان يتسلق الأشجار أو يسبح في البحيرة ويفعل ما يشاء، واننا سوف نخرج ونذهب

إلى نزل «الرمح الفضّي» الذي كنا ننوي قضاء السهرة فيه، لأنها وعدت رينو انها ستحضر الحفلة التي يقيمها هناك، وهي مصممة على ذلك، وأي شخص اعتقد انها لن تفعل ذلك يكون مجنوناً وغبياً، وما رأيي فيما تقول؟

سألتها: من هو رينو؟ وكانت تشد رباط المريلة بطريقة خاطئة فازدادت المريلة التصاقاً بجسمها.

- إنه رينو ستاركي. سيعجبك. إنه رجل مستقيم. وعدته انني سأحضر الاحتفال الذي يقيمه، وأنوي ان أفعل ذلك.

- وبماذا يحتفل؟

- اللعنة على هذه المريلة، ما بها؟ لقد أطلقوا سراحه بعد ظهر اليوم.

- استديري وأنا أفكّ رباط المريلة... ولماذا كان مسجوناً؟ قفي هادئة.

- فتح خزنة منذ ستة أو سبعة أشهر... خزنة تاجر المجوهرات تورلوك. نفذ العملية رينو وبوت كولينغز وبلاكي وايلن، وهانك أومارا، ومعهم شاب أعرج قصير القامة يلقبونه بـ «خطوة ونصف». كان عندهم حماية ليو يارد، لكن الحراس في جمعية تجار المجوهرات وجهوا إليهم تهمة مباشرة. لذلك كان نونان مضطراً لاتخاذ الاجراءات المناسبة. وهذه الاجراءات لا معنى لها. لقد أطلق سراحهم بعد دفع الكفالة في الخامسة من بعد ظهر اليوم، ولن يسمع أحد بهذه القضية بعد اليوم. رينو اعتاد على مثل هذه الأمور. سبق له ان خرج من السجن ثلاث مرات بكفالة في حوادث سرقة مماثلة. حضّر لنا كأسين من الكوكتيل وأنا سأرتدي ثوبي ثانية.

كان نزل «الرمح الفضي» يقع في منتصف المسافة بين بيرسون فيل وبحيرة موك.

قالت دينا وهي تقود سيارتها «المارمون» الصغيرة:

ـ المكان لا بأس به. وبولي دوفوتو سيدة طيبة وأي شيء تَبِعْكَ إياه تجده لذيذاً، ما عدا البوربون. هذا الشراب له طعم وكأنه مستخرج من جثة. ستعجبك بولي. تستطيع ان تفعل ما تشاء عندها طالما انك لا تثير ضجة كبيرة. إنها لا تطيق الضجيج. ها هي الحانة. هل ترى الأضواء الحمراء والزرقاء من خلال الأشجار؟

خرجنا من بين الأشجار ووصلنا إلى النزل الريفيّ، الذي كان يشبه قصراً قديماً، وكان مضاء بالمصابيح الكهربائية.

سألتها: ماذا تعنين بقولك انها لا تطيق الضجيج؟ وكنت استمع إلى طلقات المسدسات وهي تردّد بانغ، بانغ، بانغ.

قالت الفتاة: يبدو ان هناك مشكلة، وأوقفت السيارة.

خرج رجلان يجرّان امرأة من باب النزل الرئيسي وركضا بها في العتمة. خرج رجل من باب جانبي وأخذ يعدو بأقصى سرعته. لم يتوقف اطلاق النار، ولم أكن أرى وميض الرصاص.

خرج رجل آخر واستدار إلى الجهة الخلفية من المبنى.

انحنى رجل من نافذة في الطابق الثاني وفي يده مسدس.

تنفست دينا بحدّة.

من سياج بمحاذاة الطريق التمع وميض برتقالي ضئيل إلى

الأعلى باتجاه الرجل الواقف في النافذة. صوّب بدوره مسدسه إلى الأسفل. ازداد انحناءً. لم ينطلق وميض آخر من السياج.

وضع الرجل في الطابق الثاني رجله على حافة النافذة الخارجية وتعلّق بيديه ثم سقط على الأرض.

تقدمت بنا السيارة إلى الأمام. كانت دينا تعضّ شفتها.

كان الرجل الذي وقع من النافذة بدأ ينهض على ركبتيه ويديه.

قرّبت دينا وجهها من وجهي وصرخت:

- رينو!

قفز الرجل وهو ينظر إلينا. اجتاز المسافة التي تفصلنا عنه بثلاث قفزات.

كانت دينا فتحت باب السيارة قبل ان يحطّ رينو قدميه على حافة الباب بجواري. أحطته بذراعيّ ووجدت صعوبة في الإمساك به. حاول جهده ان يزيد في صعوبة مهمتي وانحنى إلى الخارج يريد ان يردّ على الطلقات النارية التي انهمرت علينا من كل صوب.

ثم ساد الهدوء. ابتعدنا عن مدى الرصاص ولم نعد نرى النزل او نسمع الدوي، وأسرعت السيارة تنطلق بعيداً عن بيرسون فيل.

استدار رينو وأمسك بحافة السيارة بنفسه. حرّرت يديّ وتأكدت ان مفاصلي لا تزال بحالة جيدة. كانت دينا مشغولة بقيادة السيارة.

قال رينو: شكراً يا عزيزتي. كنت بحاجة لهذه المساعدة.

قالت له: لا بأس. هل هذا هو نوع الحفلات التي تعدّها؟

ـ دخل علينا ضيوف لم يكونوا من المدعوين هل تعرفين طريق تانر؟

ـ أجل.

ـ انعطفي في هذه الطريق، وهي ستقودنا إلى جادة ماونتن، ونستطيع ان نعود إلى المدينة من هناك.

أحنت الفتاة رأسها وخففت قليلاً من سرعتها وسألته:

ـ من هم الضيوف غير المدعوين؟

ـ رجال مزعجون لا يريدون ان يتركوني في حالي.

ـ هل أعرفهم؟ سألته بأسلوب عادي، وهي تنعطف بالسيارة في طريق أضيق وأكثر وعورة.

قال لها رينو: دعك من هذه الأسئلة يا عزيزتي. من الأفضل لك ان تبتعدي قدر الإمكان عن هذه الأمور.

قادت السيارة بسرعة خمسة عشر ميلاً في الساعة. كانت مضطرة ان تمسك جيداً بالمقود، ورينو كان مضطراً ان يمسك جيداً بحافة الباب. وتوقفا عن الكلام، حتى وصلنا إلى طريق أفضل، عندئذٍ سألها رينو:

ـ أنت انتقمت من «الهامس»؟

ـ أجل.

ـ يقولون إنك وشيت به.

ـ قد يقولون ذلك. ما رأيك أنت؟

ـ لا مانع ان تتخلصي منه. لكن ان تتفقي مع مفتش

خصوصي وتصارحيه بأمور كثيرة هذا شيء بغيض. بغيض جداً إذا طلبت رأيي.

كان ينظر إليّ وهو يقول ذلك. كان في الرابعة والثلاثين أو الخامسة والثلاثين، طويل القامة، عريض الكتفين. وممتلىء الجسم دون ان يكون سميناً. عيناه واسعتان، ولهما لون بنيّ فاتر، وهما متباعدتان في وجهه الشاحب. تدل ملامحه انه ليس ظريفاً وانه بليد، لكنه إلى حدّ ما لم يكن كريهاً. نظرت إليه دون ان أقول شيئاً.

قالت الفتاة: إذا كان هذا رأيك تستطيع...

صرخ رينو: انتبهي.

كنا نجتاز منعطفاً وتفاجأنا بوجود سيارة سوداء طويلة متوقفة وسط الطريق أمامنا ـ هذا حاجز.

انهمر علينا الرصاص. أنا ورينو بدأنا بإطلاق النار. فيما كانت الفتاة توقف السيارة كي تعود من حيث أتينا.

دفعت بها إلى الجهة اليسرى من الطريق، وتركت الدولابين إلى جهة اليسار يصلان إلى حافة المنحدر. واجتازت الطريق مرة ثانية وأنا ورينو نحاول ان نضع ثقلينا في الداخل، وجعلت الدولابين إلي جهة اليسار يصلان إلي حافة المنحدر من ناحية اليمين. وبدأت السيارة ترتفع قليلاً بالرغم من الثقل الذي تحمله، ثم تمكنت من الانطلاق في الجهة المعاكسة، وابتعدنا في الوقت الذي أفرغنا فيه مسدساتنا.

كان اطلاق النار غزيراً، لكن يبدو ان أحداً لم يصب بأذى.

أمسك رينو الباب بمرفقه، وهو يملأ مسدسه بالذخيرة وقال:

ـ لا بأس يا عزيزتي. أنت تقودين السيارة كما تريدين.

سألته دينا: وإلى أين نذهب الآن؟

ـ في البداية نبتعد. اتبعي هذه الطريق. يجب ان نفكر. يبدو انهم أغلقوا مداخل المدينة أمامنا. تابعي سيرك الآن.

اجتزنا حوالى عشرة أو اثني عشر ميلاً في طريق العودة إلى بيرسون فيل. مرت بنا عدة سيارات، ولم يتبيّن لنا اننا مطاردون. وصلنا إلى جسر قصير.

قال رينو: انعطفي إلى اليمين عند أعلى التلّة.

كانت الطريق وعرة تلتفّ بين الأشجار على حافة تلة صخرية. كانت القيادة سريعة إذ وصلت إلى عشرة أميال في الساعة. بعد حوالى خمس دقائق من التقدم البطيء أمر رينو بالتوقف. لم نسمع شيئاً، ولم نر شيئاً، وخلال نصف ساعة جلسنا في العتمة. ثم قال رينو:

ـ يوجد كوخ مهجور على بعد ميل من هنا. سننزل فيه، ما رأيكما؟ لا فائدة من محاولة الرجوع إلى المدينة الليلة.

قالت دينا انها تفضل أي شيء على ان يطلق أحدهم النار عليها ثانية. وقلت انني لا أجد مانعاً في ذلك، مع انني كنت أفضل ان نحاول ايجاد طريق إلى المدينة.

تابعنا الطريق الوعرة بحذر حتى أضاءت لنا المصابيح كوخاً خشبياً صغيراً يحتاج إلى طلاء ولا يبدو انه كان مطلياً في يوم من الأيام.

سألت دينا رينو: هذا هو الكوخ؟

ـ أجل. توقفي هنا حتى ألقي نظرة على المكان.

توجه إلى هناك ورأيناه على ضوء المصابيح عند باب الكوخ.
حاول ان يفتح القفل بمجموعة من المفاتيح التي كان يحملها، وتمكن من ذلك، ودخل. بعد قليل خرج ونادانا قائلاً:

- كل شيء على ما يرام. تعاليا، واعتبرا انه بيتكما.

أوقفت دينا المحرّك، ونزلت من السيارة.

سألتها: هل يوجد في السيارة مصباح على البطارية؟

قالت: أجل وأعطتني إياه، ثم تنهّدت قائلة:

- يا إلهي. أنا متعبة. أرجو ان نعثر على شراب في هذا الكوخ.

قلت لها انني أحمل قارورة من الويسكي. فرحت حين سمعت ذلك.

كان الكوخ عبارة عن غرفة واحدة فيها سرير نقّال عليه عدة بطانيات بنية اللون، وطاولة عليها كومة من أوراق اللعب ومجموعة من فيش البوكر، وفي الغرفة أيضاً موقف وأربعة كراسي وسراج وعدة أطباق وأوعية ومقلاة ودلو وثلاثة رفوف عليها علب من الأطعمة المختلفة، وحزمة من الحطب وعربة يد بدولاب واحد.

كان رينو يشعل السراج حين دخلنا. قال: الوضع ليس سيئاً. سأحاول ان أخبيء السيارة، وسنمضي هنا ليلة هادئة حتى الصباح.

توجهت دينا إلى السرير ونزعت عنه الأغطية وقالت:

- قد تكون فيه بعض الحشرات، لكنها على أية حال لا تبدو بوضوح فيه. والآن نريد ان تشرب. فتحت القارورة وقدمتها

لها فيما خرج رينو ليحاول تخبئة السيارة. ارتشفت القليل من الويسكي وأعادت إليّ القارورة كي أرتشف منها بدوري.

أخذ صوت محرك السيارة يبتعد تدريجياً. فتحت الباب لألقي نظرة. عبر الأشجار والشجيرات إلى أسفل التلة رأيت وميض الضوء الأبيض يبتعد. وعندما لم أعد أتمكن من رؤيته عدت إلى الداخل وقلت للفتاة:

- هل سبق لك ان مشيت مسافة طويلة حتى وصلت إلى بيتك؟

- ماذا؟

- رينو أخذ السيارة.

- هذا الوغد الحقير! الحمد لله انه تركنا على الأقل في مكان فيه سرير.

- لا فائدة من ذلك.

- لماذا؟

- لأن رينو معه مفتاح لهذا الكوخ. ومن المؤكد ان الذين يطاردونه يعرفون ذلك. ولهذا السبب أحضرنا إلى هنا. من المفروض ان نتحدث معهم وهذا يعطيه المزيد من الوقت كي يبتعد بالسيارة.

نهضت بإجهاد عن السرير وهي تلعن رينو وتلعنني وتلعن جميع الرجال منذ أيام آدم وحتى اليوم، وقالت باستياء شديد:

- أنت تعرف كل شيء. ماذا نفعل الآن؟

- نجد لنا فسحة مريحة بين الأشجار، لا تكون بعيدة عن هنا، وننتظر هناك لنرى ماذا سيحدث.

ـ سآخذ البطانيات.

ـ إذا أخذت واحدة قد لا يفتقدها أحد، لكنك ستثيرين التساؤل إذا أخذت أكثر.

قالت متذمرة: اللعنة على تساؤلاتك ولم تأخذ سوى بطانية واحدة.

أطفأت السراج، وأقفلت القفل وبواسطة المصباح تمكنا من العثور على درب ملتو بين الأشجار.

عثرنا في أعلى التلة على فسحة صغيرة، نستطيع ان نرى منها الكوخ والطريق ونختبىء في الوقت نفسه عن الأنظار خلف الشجيرات الكثيفة.

فرشت البطانية وجلسنا.

اقتربت مني الفتاة وتذمرت قائلة ان الأرض رطبة، وانها تشعر بالبرد حتى وهي ترتدي معطف الفرو، وانها تشعر بألم في رجلها وتريد سيجارة.

ناولتها القارورة لتتناول المزيد من الويسكي. واستمتعت بالهدوء عشر دقائق. ثم قالت:

ـ سأصاب بالزكام. عندما يأتي هؤلاء الذين ننتظرهم، هذا إذا جاء أحد، سأكون في مرحلة التعطيس والسعال بصوت عالٍ يصل حتى المدينة.

قلت لها: يكفي ان تعطسي مرة واحدة، وستكون نهايتك.

ـ يوجد فأر أو حيوان صغير يمشي تحت البطانية.

ـ ربما لا يكون سوى ثعبان.

ـ هل أنت متزوج؟

ـ لا تبدئي حديثاً كهذا.

ـ أنت متزوج إذاً؟

ـ لا.

ـ أراهن ان زوجتك سعيدة لذلك.

كنت أحاول ان أجد ردّاً مناسباً على ملاحظتها الذكية، حين رأيت ضوءاً بعيداً يلتمع على الطريق التي تصعد إلى الكوخ. ثم اختفى فيما كنت أطلب من الفتاة ان تسكت.

سألتني: ماذا هناك؟

ـ رأيت ضوءاً. اختفى الآن. يبدو ان زائرينا تركوا سيارتهم ويحاولون اجتياز المسافة مشياً على الأقدام.

مضى مزيد من الوقت. أخذت الفتاة ترتجف وهي تضع خدّها الدافيء على خدّي. سمعنا وقع أقدام ورأينا ظلالاً سوداء تتحرك على الطريق وقرب الكوخ، ولم نكن متأكدين فعلاً اننا نراها أو لا نراها.

وانتهت شكوكنا حين ظهرت لنا دائرة من الضوء على باب الكوخ أضاءها مصباح يحمله أحد الأشخاص. سمعنا صوتاً خشناً يقول:

ـ سنترك الفتاة تخرج.

ساد الصمت قليلاً فيما كانوا ينتظرون رداً من داخل الكوخ. ثم قال الصوت نفسه:

ـ هل تريدين الخروج؟ وساد الصمت ثانية.

كسر الصمت دوي طلقات نارية. صوت مألوف في هذه الليلة. وتعالى صوت الضرب على الألواح الخشبية.

قلت للفتاة هامساً: هيا بنا. سنحاول الوصول إلى سيارتهم، فيما هم منشغلون باقتحام الكوخ.

ـ دعهم وشأنهم، قالت لي وهي تشدّ ذراعي إلى الأسفل وأنا أحاول الوقوف، وتابعت تقول: قد رأيت ما يكفي لليلة واحدة. نحن مرتاحان هنا.

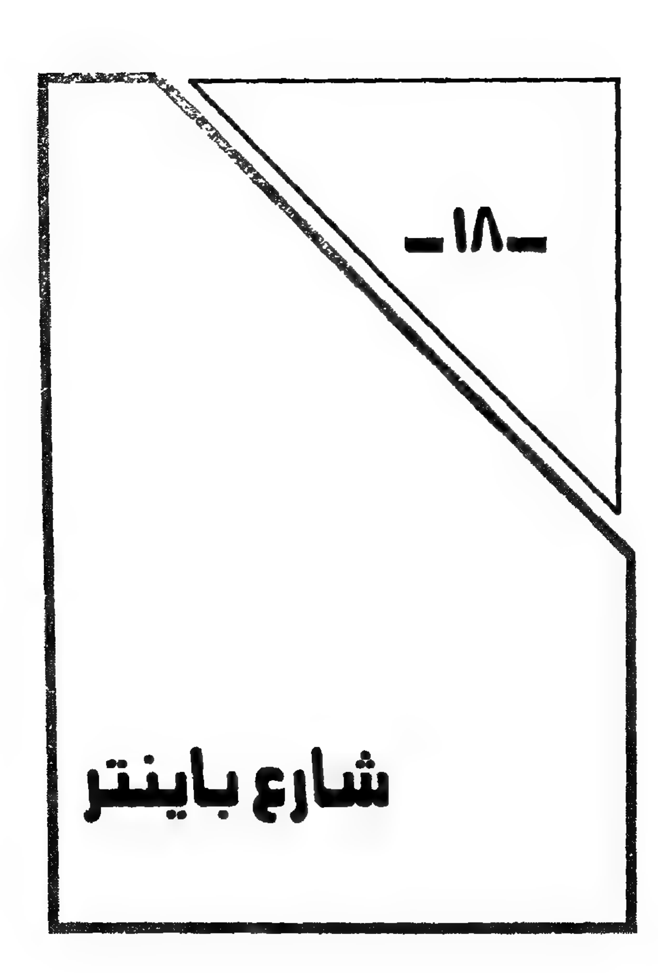
قلت بإصرار: هيا بنا.

قالت: لن أذهب معك، ورفضت التحرك من مكانها، وفيما كنا نتجادل كان الوقت قد ضاع. تمكن الرجال من الدخول إلى الكوخ وحين وجدوه فارغاً توجهوا إلى سيارتهم. وصلت السيارة إلى الكوخ وحملت ثمانية رجال وانطلقت في أثر رينو.

قلت لها: نستطيع الآن الرجوع إلى الكوخ، من غير المحتمل ان يحاولوا العودة إليه ثانية هذه الليلة.

قالت وأنا أساعدها على الوقوف:

ـ أتمنى ان يكون في القارورة بعض الويسكي.


-١٨-
شارع باينتر

لم يكن بين الأطعمة المعلّبة في الكوخ ما يغري بتناول الفطور. حضرنا القهوة بمياه وجدناها في دلو مطليّ بالزنك، ودلّ مذاق المياه على انها موجودة في الدلو منذ مدة طويلة.

مشينا مسافة ميل تقريباً حتى وصلنا إلى مزرعة، حيث التقينا بصبي لم يجد مانعاً من اصطحابنا إلى المدينة في سيارة الفورد التي تمتلكها عائلته مقابل بضعة دولارات. طرح علينا العديد من الأسئلة، وأعطيناه بالمقابل أجوبة كاذبة أو تجاهلنا الإجابة. أوقف السيارة أمام مطعم صغير في أول شارع كينغ، وتناولنا في المطعم كميات من فطائر الحنطة السوداء وشرائح اللحم.

أوصلتنا سيارة تاكسي إلى بيت دينا حوالى الساعة التاسعة. فتشت أرجاء البيت بناء لرغبتها، من السطح حتى القبو، ولم أعثر على شيء يدلّ ان أحداً دخل البيت أثناء غيابها.

سألتني وهي تمشي ورائي إلى الباب: متى تعود؟

- سأحاول ان أعود ولو لبضع دقائق، في أي وقت حتى منتصف الليل. ما هو عنوان بيت ليو يارد؟

- ١٦٢٢ شارع باينتر. وشارع باينتر على بعد ثلاث

مجموعات من الأبنية من هنا. ورقم ١٦٢٢ على بعد أربع مجموعات من الأبنية. ماذا تريد ان تفعل هناك؟

وقبل ان أتمكن من الإجابة وضعت يديها على ذراعي وتوسّلت إليّ قائلة:

- اقبض على ماكس، أرجوك، أنا خائفة منه.

- قد أدلّ نونان على مكانه بعد فترة. هذا يتعلّق بتطور الأمور.

قالت انني مخادع لعين أو شيء من هذا القبيل، وانني لا أهتم بما يحدث لها طالما انني أنفّذ تلك المهمة القذرة.

توجهت إلى شارع باينتر. وكان رقم ١٦٢٢ بيتاً من الآجر الأحمر له مرآب خاص. وعلى مسافة غير بعيدة وجدت ديك فولي جالساً في سيارة بويك استأجرها. صعدت بجانبه وسألته:

- كيف الحال عندك؟

- نقطة البداية الثانية. خرج في الثالثة والنصف، من المكتب إلى بيت ويلسون. ميكي. الخامسة. البيت. مشغول. مواصلة المراقبة. توقف، الثالثة، السابعة. لا شيء حتى الآن.

كان يريد ان يقول لي انه بدأ بمراقبة ليو يارد منذ الثانية بعد ظهر البارحة، وانه تبعه حتى بيت ويلسون عند الثالثة والنصف، وانه التقى هناك بميكي الذي كان يتبع بيتر؛ وانه تبع يارد عند خروجه الساعة الخامسة، وحتى وصوله إلى بيته. رأى مجموعة من الأشخاص يدخلون ويخرجون لكنه لم يتبع أي واحد منهم؛ ظلّ يراقب البيت حتى الثالثة صباحاً، ثم عاد

لمتابعة مهمته عند السابعة؛ ومنذ ذلك الحين لم ير أحداً يدخل إلى البيت أو يخرج منه.

قلت له: أريدك ان تترك هذا المكان الآن وتراقب منزل ويلسون. وصلني ان تايلر يختبىء هناك وأريد ان أعرف جميع تحركاته إلى ان أقرر ما إذا كنت أسلمه إلى نونان أم لا.

أحنى ديك رأسه وأدار محرك السيارة. نزلت من السيارة وعدت إلى الفندق.

وجدت برقية من الرجل الكبير، تقول: أرسل في أسرع وقت تفسيراً كافياً للمهمة الحالية والظروف التي رافقت قبولك القيام بها مع تقارير يومية بدءاً من تاريخه.

وضعت البرقية في جيبي وتمنيت ان تواصل الأمور تطوّرها السريع. وان أرسل إليه المعلومات التي يطلبها في هذا الوقت، يعني ان أرفقها باستقالتي.

ارتديت قميصاً نظيفاً وتوجهت إلى مبنى السراي.

حيّاني نونان قائلاً: مرحباً. كنت أتمنى حضورك، حاولت الاتصال بك في الفندق، وعلمت انك لم تمض ليلتك هناك.

لم يكن في حالة جيدة هذا الصباح، لكنه بدا بالرغم من محاولته، سعيداً بالفعل لرؤيتي.

حين جلست رن جرس أحد أجهزة التلفون أمامه. رفع السماعة وقال: نعم؟ استمع قليلاً وقال: من الأفضل انِ تذهب إلى هناك بنفسك يا ماك. وبعد محاولتين فاشلتين تمكن أخيراً من وضع السماعة في مكانها. برزت التجاعيد في وجهه، لكن صوته كان طبيعياً إلى حد ما وهو يقول لي:

ـ قتل ليو يارد منذ قليل... أصيب بطلق ناريّ وهو ينزل سلّم بيته.

ـ هل هناك تفاصيل أخرى؟ سألته وأنا ألعن نفسي لأنني طلبت من ديك فولي ان يبتعد عن شارعٍ باينتر قبل ساعة من الحادثة. تلك كانت مصادفة مزعجة فعلاً.

هزّ نونان رأسه وهو يحدّق إلى حضنه.

اقترحت عليه وأنا أقف: هل تريد ان نخرج ونلقي نظرة على ما تبقى منه؟

لم يقف ولم ينظر إليّ.

قال: لا. دون ان يرفع نظرته عن حضنه وأضاف: بصراحة لا أريد ذلك. لا أعرف ما إذا كنت سأتحمل الموقف. لقد تعبت من عملية القتل المستمرة هذه. إنها تصيبني... أعني في أعصابي.

جلست ثانية مقدّراً حالة الفتور التي تنتابه وسألته: من هو القاتل برأيك؟

قال متمتماً: اللّه وحده يعلم. كل انسان في هذه المدينة يشارك في قتل الآخرين. أين سينتهي بنا المطاف؟

ـ أتعتقد ان رينو قتله؟

أجفل ورفع بصره نحوي، ثم غيّر رأيه وقال: اللّه وحده يعلم.

حاولت إثارة اهتمامه من زاوية مختلفة:

ـ هل قتل أحد في معركة نزل «الرمح الفضّي» ليلة البارحة؟

ـ ثلاثة قتلى فقط.

ـ من هم؟

ـ إثنان من عائلة جونسون، اخوان، لقب الأول بلاكي وايلن والثاني بوت كولينغز، كان قد أطلق سراحهما عند الخامسة من بعد ظهر البارحة بكفالة، والثالث يدعى جاك واهل الهولندي وهو عضو في إحدى العصابات.

ـ وما الذي تسبب في نشوب المعركة؟

ـ مجرّد شجار، على ما أظن. يبدو ان بوت وبلاكي والذين خرجوا من السجن البارحة كانوا يحتفلون بهذه المناسبة مع مجموعة من الأصدقاء، وانتهت الحفلة بالنزاع الدامي.

ـ جميعهم من رجال ليو يارد؟

قال لي: لا أعرف شيئاً بهذا الخصوص.

وقفت وقلت له: آه، لا بأس. وتوجهت نحو الباب.

قال لي: انتظر. لا تذهب الآن. أعتقد انهم رجال ليو يارد.

عدت إلى مقعدي. نونان كان يراقب طاولته. كان وجهه رمادياً ومترهلاً وكئيباً كالمعجون الطري.

قلت له: «الهامس» يقيم حالياً في بيت ويلسون.

رفع رأسه واسودّت عيناه، واهتزت شفتاه. ثم ترك رأسه يتدلّى ثانية، وعاد الذبول إلى عينيه.

قال متمتماً: لم أعد أقوى على متابعة ما يحدث. سئمت من هذه المجزرة. لم أعد أحتمل أكثر من هذا.

سألته: أنت متضايق لدرجة انك مستعد للتخلي عن القبض على قاتل تيم إذا كان هذا يعيد الأمن إلى البلدة؟

ـ أنا مستعد لذلك.

ذكرته قائلاً: هكذا بدأت الأوضاع تتدهور. إذا كنت مستعداً للتخلي عن ملاحقة القاتل، يجب ان يكون موقفك هذا كافياً لوضع حدّ لما يحدث.

رفع وجهه ونظر إليّ بعينين كأنهما عينا كلب ينظر إلى عظمة.

أضفت قائلاً: يجب ان يكون الآخرون متضايقين مما يحدث بالقدر نفسه. صارحهم بحقيقة مشاعرك. اعقدوا اجتماعاً واتخذوا قراراً بأن يستتبّ السلام.

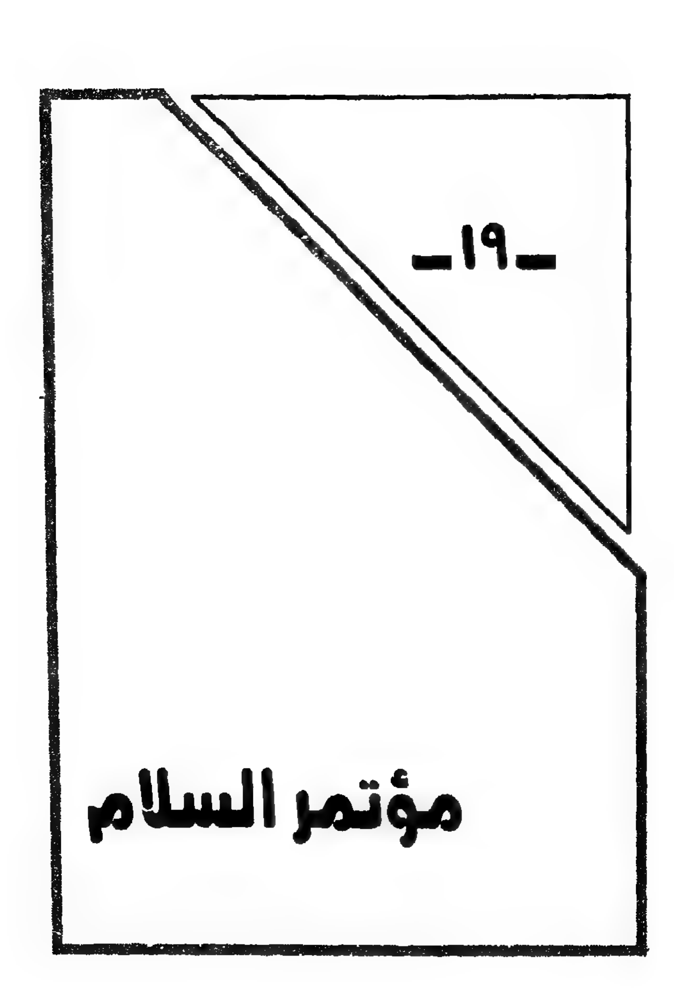
قال لي بحزن: سوف يعتقدون انني أعدّ لهم خدعة.

ـ فليكن الاجتماع في منزل ويلسون. «الهامس» مقيم هناك. ستكون أنت الذي يخاطر بالذهاب إلى هناك. هل أنت خائف من ذلك؟

عبس وقال: هل تأتي معي؟

ـ إذا كانت هذه رغبتك.

ـ أشكرك. سوف أحاول إقناعهم.


-١٩-
مؤتمر السلام

كان جميع المنتدبين إلى مؤتمر السلام حاضرين عندما وصلت مع نونان إلى منزل ويلسون في الوقت المحدد، التاسعة من تلك الليلة. أحنى الجميع رؤوسهم لنا، لكن الترحيب لم يتعدّ ذلك.

كان بيتر الفنلندي الوحيد الذي لم أقابله بعد. بائع الشراب المهرب كان رجلاً كبير الجسم في الخمسين من عمره وهو أصلع الرأس تماماً. كان جبينه صغيراً، وخداه كبيرين واسعين ومكتنزين بالعضلات.

جلس الجميع إلى طاولة غرفة المكتبة في منزل ويلسون. وجلس العجوز أليهو عند رأس الطاولة. كان شعره القصير على رأسه الوردي كخيوط الفضة تحت ضوء المصباح. عيناه الزرقاوان ثاقبتا النظر، وحادتان، وبرز فوقهما حاجباه بشعرهما الأبيض الكثيف. كان فمه وذقنه خطيْن أفقييْن.

إلى يمينه جلس بيتر الفنلندي يراقب الحضور بعينين سوداوين صغيرتين لم تكونا تتحركان أبداً. وجلس بجانبه رينو ستاركي. كان وجه رينو الشاحب فاتراً مثل عينيه.

كان ماكس تايلر يجلس إلى يسار ويلسون. وكان المقامر

يضع رجلاً فوق رجل ويرتدي بنطلوناً مكوياً بعناية. وتدلت من طرف فمه المشدود سيجارة.

جلست بجانب تايلر. ونونان جلس بجانبي.

افتتح أليهو ويلسون الاجتماع.

قال ان الأمور لن تستمر على النحو الذي تسير عليه. واننا جميعاً رجال عقلاء، وحساسون وكبار، وقد جربنا الحياة ونعرف ان الواحد منا لا يستطيع ان يجعل الأمور تسير حسب رغبته هو، مهما كان مركزه. وعلى الجميع ان يتوصلوا في بعض الأحيان إلى تقديم بعض التنازلات. لكي يحصل الانسان على ما يريد، يجب عليه ان يعطي الآخرين ما يريدون. وقال انه متأكد اننا جميعاً نريد الآن وضع حدّ لهذا الاقتتال المجنون. وقال انه متأكد اننا نستطيع مناقشة جميع التفاصيل بصراحة والتوصّل إلى الحلول المناسبة في خلال ساعة كي لا تتحوّل بيرسون فيل إلى مسلخ.

لم يكن الخطاب رديئاً.

حين انتهى ساد الصمت فترة. نظر تايلر إلى نونان، كأنه ينتظر منه شيئاً. وحذا الجميع حذوه ونظروا إلى قائد الشرطة.

تورّد وجه نونان وقال بصوت أجشّ:

ـ أيها «الهامس»، سوف أنسى انك قتلت «تيم» ووقف يرفع يده المكتنزة، مضيفاً: وأنا أرفع يدي تأكيداً على ذلك!

ارتسمت على شفتي تايلر النحيلتين ابتسامة خبيثة. وقال بصوت هامس وبارد: أخوك الوغد كان يستحق ان يقتل، لكنني لم أقتله.

تحوّل اللون الوردي إلى لون قرمزي في وجه نونان.

قلت بصوت عال:

- انتظر يا نونان. أنت مخطىء، ولن نتوصّل إلى نتيجة إلاّ إذا اعترف كل واحد بغلطه، وإلاّ فإننا سنجد أنفسنا في وضع أسوأ مما كنّا عليه. ماك سوين هو الذي قتل تيم، وأنت تعرف ذلك.

حدّق فيّ بعينين مشدوهتين وهو فاغر الفم لأنه لم يعد يفهم ماذا أفعل به.

نظرت إلى الآخرين محاولاً ان أبدو فاضلاً إلى أقصى حدّ، وسألتهم:

- انتهينا من هذه المسألة الآن، أليس كذلك؟ فلنحاول ان نوضح المسائل الأخرى.

ثم وجهت الحديث إلى بيتر الفنلندي:

- ما هو شعورك حول حادثة البارحة وما تعرّض له مخزنك ومقتل أربعة من رجالك؟

قال بانزعاج: إنه حادث لعين.

شرحت له الوضع قائلاً:

- لم يكن نونان يعرف انك تتخذ الفندق مخزناً. قصدنا المكان معتقدين انه فارغ، فقط من أجل إخلاء المدينة لكي يتم تنفيذ مهمة أخرى فيها. رجالك بدأوا بإطلاق النار، وعندها اعتقد نونان بالفعل انه عثر على مخبأ تايلر. حين أدرك انه يتعرض لك تضايق كثيراً وترك المكان بعد ان صار خراباً.

كان تايلر يراقبني وفي عينيه نظرة حادة وعلى شفتيه ابتسامة

حادة أيضاً. أليهو ويلسون انحنى وهو يحدق فيّ بعينيه الثاقبتين والمجهدتين. لا أعرف ماذا كان نونان يفعل. لم أكن أودّ النظر إليه. كنت في موقع جيد إذا عرفت كيف ألعب دوري، وفي موقع سيىء إذا ارتكبت خطأ.

قال بيتر الفنلندي: بالنسبة للرجال، نحن ندفع لهم أجوراً مرتفعة لأنهم يخاطرون بحياتهم؛ أما بالنسبة للخسارة في الشراب يكفي مبلغ خمسة وعشرين ألف دولار كتعويض.

قال نونان بسرعة وبحماسة:

ـ حسناً يا بيتر، أنا أدفعها لك.

ضغطت على شفتي كي لا أنفجر بالضحك حين سمعت نبرة الذعر في صوته.

أستطيع ان أنظر إليه دون خوف الآن. كان مسحوقاً ومهزوماً ومستعدًا للقيام بأي عمل كي ينقذ رقبته السمينة. نظرت إليه.

لم ينظر اليّ. لم يكن ينظر إلى أحد. كان يريد ان يبدو كأنه لم يكن يتوقع ان يتقطع إلى شرائح قبل ان يحاول النجاة من قبضة هؤلاء الذئاب الذين سلمتهم إياه.

تابعت كلامي، ملتفتاً إلى أليهو ويلسون:

ـ هل تريد ان ترفع احتجاجاً على سرقة مصرفك، أم انك لست متضايقاً مما حدث؟

لمس ماكس تايلر ذراعي وقال:

ـ نستطيع ان نعرف على نحو أفضل من منّا يريد ان يحتج إذا عرفنا ماذا لديك أولاً.

كنت سعيداً بأن أتابع كلامي وقلت له:

ـ نونان أراد أن يثبت التهمة عليك. لكن يبدو انه حصل على تنبيه، أو توقع الحصول على هذا التنبيه من قبل يارد وويلسون بأن يتركك وشأنك. ففكر انه إذا دبّر سرقة للمصرف واتهمك أنت بالقيام بها، قد يتخلّى عنك الشخص الذي يساندك، ويسمح له بأن يلقي القبض عليك. وكما فهمت فإنه من المفروض ان يوافق يارد على كل خطة يتم تنفيذها في المدينة. أنت بالتالي تكون قد تعدّيت على مجال عمل يارد وخدعت ويلسون. هكذا سيبدو الموقف. ومن المفروض انهما سيكونان غاضبين وسيساعدان نونان في الوصول إليك. إنه لم يكن يعرف انك تقيم هنا.

ـ رينو وجماعته كانوا في السجن.

ورينو كان من رجال يارد، لكنه لم يجد مانعاً في تجاوز رئيسه. كان قد سمع ان هناك خطة لتجهيزه لأخذ زمام الأمر في المدينة من ليو.

التفتّ نحو رينو وسألته: أليس هذا صحيحاً؟

نظر إليّ بدون حيوية وقال: كما تقول.

وتابعت قائلاً:

ـ ابتكر نونان معلومات انك موجود في فندق سيدر هيل، وأخذ جميع رجال الشرطة الذين لا يثق بهم معه، حتى انه ترك الشوارع بدون شرطة السير حتى يستطيع رينو ان يجد الشوارع مفتوحة أمامه. ماك غرو ومعه الرجال الذين شاركوا في اللعبة ساعدوا رينو وجماعته على الهرب من السجن، والقيام بالمهمة، ثم الرجوع إلى السجن. والجميع عندهم إثبات قاطع بالبراءة. ثم يطلق سراحهم بعد حوالى ساعتين بكفالة.

- يبدو ان ليو يارد انتبه لما يحدث. أرسل جاك واهل الهولندي ومعه رجال آخرون إلى نزل «الرمح الفضيّ» في الليلة الماضية لكي يعلم رينو ورفاقه ان لا يأخذوا المبادرة في القيام بأعمال معينة بهذه الطريقة. لكن رينو تمكن من الإفلات من قبضتهم ورجع إلى المدينة. وصل التحدي بينه وبين ليو إلى حده الأقصى. تربص بليو أمام بيته هذا الصباح، وكان يحمل مسدساً. يبدو ان رينو حصل على معلومات موثوقة، لأنني لاحظت انه يجلس الآن على مقعد كان مخصّصاً لليو، لو ان ليو لم يقتل.

كان الجميع يجلسون في هدوء، كما لو انهم يريدون ان يلفتوا الانتباه إلى هدوئهم هذا. لا أحد يفكر في الاتكال على ان له صديقاً بين الحضور. لم يكن الوقت مناسباً للقيام بأية خطوة غير محسوبة من قبل أي واحد منهم.

إذا كان ما قلت له وقعه عند رينو بطريقة أو بأخرى، فإنه لم يظهر عليه ذلك.

قال تايلر هامساً بصوت رقيق: ألم تترك بعض التفاصيل؟

- تعني دور جيري؟ كنت لا أزال العنصر الحيوي في الاجتماع: كنت سأعود إلى هذه النقطة. لا أعرف ما إذا كان قد تمكن من الهرب عندما خرجتم، وتم القبض عليه فيما بعد، أم انه لم يهرب، أو لماذا هرب؟ ولا أعرف إلى أي حدّ كان يريد ان يشارك في سرقة المصرف. لكنه شارك فيها بالفعل، وقد أصيب وترك ممدداً أمام المصرف لأنه ذراعك الأيمن، وكونه قتل هناك فهذا يعني انك أنت مدبّر عملية السرقة. تركوه في السيارة حتى انتهت عملية السطو، ثم دفعوا به إلى

الخارج وتلقى الرصاصة في ظهره. كان يدير وجهه إلى المصرف وظهره إلى السيارة حين تلقى الرصاصة.

نظر تايلر إلى رينو وقال له: حسناً؟

رينو نظر بعينين فاترتين إلى تايلر وسأله بهدوء: وماذا في ذلك؟

وقف تايلر وقال: اعتبروني خارج الاتفاق. ومشى نحو الباب.

وقف بيتر الفنلندي وانحنى فوق الطاولة وقد وضع عليها يديه الضخمتين اللتين برزت فيهما العظام وقال بصوت عميق كأنه صادر عن صدره:

ـ أيها «الهامس».

وحين وقف «الهامس» والتفت يواجهه، تابع يقول: اسمع ما أقول. أنت، أيها «الهامس»، وجميع الموجودين. تبادل اطلاق النار انتهى. يجب ان تفهموا جميعاً ذلك. أنتم لا تعرفون مصلحتكم. لذلك أنا مضطر لأن أدلكم عليها. هذه الأزمة التي تتعرّض لها المدينة تعيق العمل. لن أقبل بها بعد اليوم. كونوا رجالاً متفهّمين وإلاّ انني سأجبركم على ذلك.

ـ عندي جيش من الشبان الذين يجيدون استخدام السلاح. أنا بحاجة إليهم في عملي. إذا وجدت ضرورة في استخدامهم ضدكم لن أجد مانعاً في ذلك. تريدون ان تلعبوا بالبارود والديناميت؟ سوف ترون اللعب على أصوله. تحبون القتال؟ سأعطيكم قتالاً. انتبهوا جيداً لهذا الكلام. هذا كل ما عندي.

وجلس بيتر الفنلندي.

فكر تايلر في الأمر، ثم ذهب دون ان يقول شيئاً أو يظهر بماذا كان يفكر.

حين خرج بدأ الآخرون يتململون: لم يعد أحد منهم يرغب في البقاء كي لا يتسنّى لأي واحد الوقت الكافي ليجمع عدداً من المسلحين في الجوار.

بعد بضع دقائق كنت مع أليهو ويلسون وحدنا في غرفة المكتبة.

قال لي بعد قليل:

- ما رأيك في ان تتولى منصب قائد الشرطة؟

- لا. أنا لا أصلح لذلك.

- لم أكن أقصد مع هذه المجموعة وإنما بعد التخلص منهم.

- ونأتي بمجموعة أخرى مشابهة.

- اللعنة عليك. حاول ان تكون ألطف مع رجل كبير بعمر والدك.

- رجل يسبني ويتجنب المسؤولية ملتمساً العذر في كبره بالسن.

برز شريان أزرق في جبهته من شدة الغضب. ثم ضحك وقال:

- أنت صبي رديء التعبير، لكنني لا أستطيع ان أقول انك لم تنفذ ما دفعت لك ثمنه.

- وقد حصلت منك على مساعدة هائلة.

- وهل كنت تريد عناية خاصة؟ أنا أعطيتك المال وحرية التصرف. هذا ما طلبت. ماذا كنت تريد أكثر من ذلك؟

قلت له: أنت قرصان عجوز. أنا أجبرتك على القبول بهذا الوضع، وأنت تلعب ضدي منذ البداية وحتى الآن، مع انك تستطيع ان ترى أن كل واحد منهم مصمم على القضاء على الآخر. الآن قل لي انك حاولت مساعدتي.

قال: قرصان عجوز، اسمع يا بني، لو لم أكن قرصاناً لكنت لا أزال حتى اليوم أعمل أجيراً في أناكوندا، ولم تكن لتنشأ هيئة التعدين في بيرسون فيل.

أنت أيضاً وديع، كما أعتقد. واجهت مشكلة في غاية الصعوبة يا بني. رأيت أموراً لم تعجبني، والأسوأ من ذلك ان أموراً كثيرة لم أكن أعرف عنها شيئاً عرفتها الليلة. كنت في ورطة وانتظرت الفرصة الملائمة. منذ وصول تايلر إلى منزلي وأنا أعيش هنا كالسجين، كرهينة ملعونة!

ـ وضع صعب. وما هو موقفك الآن؟ هل أنت معي؟

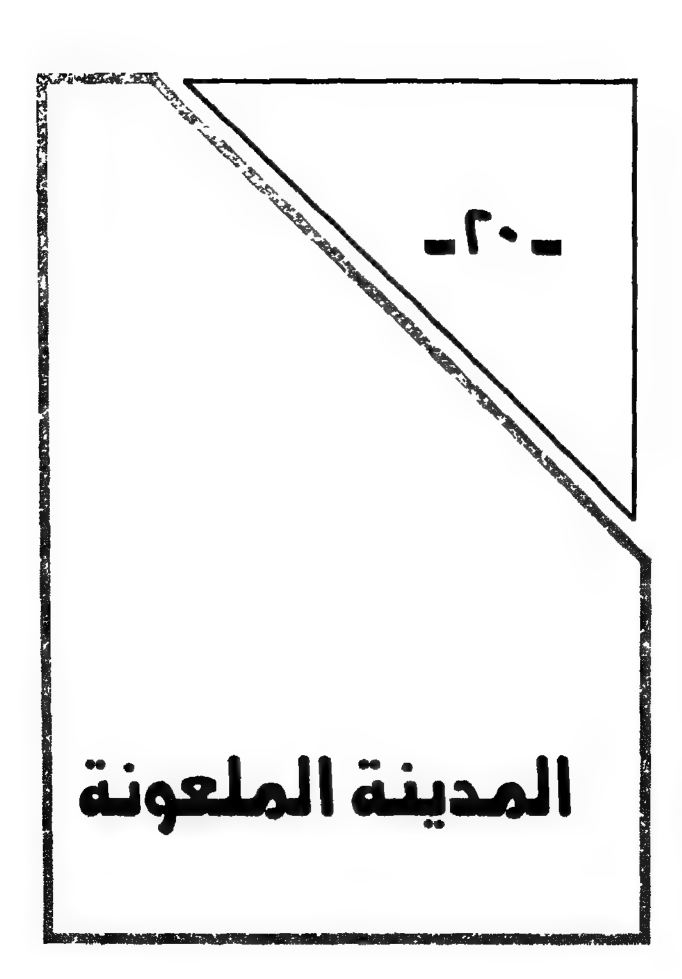
ـ إذا تمكنت من الفوز.

وقفت وقلت: أتمنى من كل قلبي ان يُلقى القبض عليك معهم.

قال: أعتقد انك تتمنى ذلك فعلاً، لكن هذا لن يحدث.

نظر إليّ بعينين نصف مغمضتين وقال بمرح. أنا أدفع لك أجرك. هذا يدل على حسن نواياي، أليس كذلك؟ لا تكن قاسياً عليّ يا بني، أنا مجرد...

قلت له: اذهب إلى الجحيم وخرجت.


- ٢٠ -
المدينة الملعونة

كان ديك فولي ينتظر في السيارة التي استأجرها عند المنعطف الثاني. فطلبت منه أن يوصلني إلى مسافة قريبة من بيت دينا براند، ونزلت من السيارة وتوجهت إلى البيت مشياً على القدمين.

قالت لي وأنا أتبعها للدخول إلى غرفة الجلوس:

ـ تبدو متعباً. ماذا كنت تفعل؟

ـ كنت أحضر مؤتمر سلام سينتج عنه مقتل اثني عشر شخصاً على الأقل.

رنّ جرس التلفون. ردّت ونادتني. سمعت صوت رينو ستاركي.

ـ أعتقد انك تودّ ان تعرف ان نونان تلقى عدة رصاصات وفارق الحياة، فيما كان ينزل من سيارته أمام بيته. مات مباشرة. أصابته حوالى ثلاثين رصاصة.

ـ شكراً.

نظرت إليّ دينا بعينيها الزرقاوين الواسعتين المليئتين

بالتساؤلات. فقلت لها: أولى ثمرات مؤتمر السلام، قطفها تايلر. أين زجاجة الجين؟

ـ انه رينو، أليس كذلك؟

ـ أجل، اعتقد انني أريد ان أسمع ان بويزون فيل صارت بدون قائد للشرطة.

ـ تعني...؟

ـ نونان قتل الليلة، حسب رواية رينو. أليس عندك جين؟ أم انك تحبين ان تسمعيني وأنا أطلبه مرات عديدة؟

ـ أنت تعرف أين تجد الزجاجة. هل كنت تعدّ خطة من خططك البارعة؟

توجهت إلى المطبخ، وفتحت القسم الأعلى من البراد، وكسرت الثلج بمعول صغير للثلج له نصل حادّ مخرزيّ الشكل، طوله حوالى ستة انشات، ومقبض مستدير أبيض وأزرق. وقفت الفتاة في الباب تطرح عليّ المزيد من الأسئلة. لم أردّ عليها ووضعت قطع الثلج والجين وعصير الليمون والمياه المعدنية الفوّارة في كأسين.

سألتني وكل منا يحمل كأسه إلى غرفة الطعام:

ـ ماذا كنت تفعل؟ تبدو شاحباً.

وضعت كأسي على الطاولة وجلست أتأمله، وقلت متذمراً:

ـ هذه المدينة الملعونة تثير قلقي. إذا لم أخرج منها في وقت قريب سأصبح مثل سكانها معتاداً على مشهد الدماء. دزينة ونصف من جرائم القتل منذ وصولي. دونالد ويلسون؛ آيك بوش؛ العمال الأربعة والشرطي في فندق سيدر هيل؟ جيري؛

ليو يارد؛ جاك الهولندي؛ بلاكي وايلن وبوت كولينغز في نزل الرمح الفضي؛ نيكولاس، الشرطي الذي أطلقت عليه النار؛ والشاب الأشقر الذي أرداه تايلر هنا؛ ياكيما شورتي، الذي هجم على العجوز أليهو؛ والآن نونان. ستة عشر قتيلاً في أقل من أسبوع، وهذه ليست النهاية.

عبست وقالت بحدة: هذا الوضع لا يعجبني.

ضحكت وتابعت أقول:

ـ تورّطت في السابق في عملية قتل أو في عمليتين، حين كانت الضرورة تستدعي ذلك. لكن هذه المرة الأولى التي أعيش فيها حمّى الموت. هذه المدينة ملعونة. لا أحد يستطيع ان يعيش باستقامة هنا. تركت نفسي أدخل في شباكها في البداية. حين تخلّى عني العجوز أليهو لم أجد أمامي سوى ان أترك بذور الخلاف تدبّ بينهم. كنت مضطراً لدفع الأمور بهذا الاتجاه. كيف أتحاشى ذلك إذا كانت أفضل طريقة ستؤدي حتماً إلى الاقتتال؟ لم يكن أمامي مجال لتنفيذ المهمة دون أي دعم من العجوز أليهو إلاّ بهذا الاسلوب.

ـ إذا لم يكن عندك مجال لتفادي ما حدث، ما الفائدة من الكلام الآن؟ اشرب.

شربت نصف الكأس، وشعرت بالحاجة لأن أتكلم أكثر.

ـ إذا كان القتل من ضمن اللعبة التي تلعبينها، ستجدين نفسك أمام حالتين: إما أن تكرهي القتل، أو ان تحبيه.

نونان شعر بكراهية القتل. كان متضايقاً جداً بعد مقتل يارد، ومستعداً لتقديم أي شيء مقابل توطيد السلام. اقترحت عليه

ان يجتمع مع الذين لا يزالون على قيد الحياة ويحاولوا تسوية خلافاتهم.

ـ عقدنا الاجتماع في بيت ويلسون هذه الليلة. كانت الحفلة جميلة. ادعيت انني أحاول التعرّض لسوء التفاهم السائد بين الجميع بالمصارحة التامة، عرّيت نونان ودفعت به إليهم... هو ورينو. انفضّ الاجتماع. وأعلن «الهامس» انه خارج أي اتفاق. بيتر أوضح لكل واحد من بين الحضور أين موضعه. قال ان الاقتتال يسيء إلى تجارته، وان أي واحد يحاول أن يثير المزيد من الشغب يجب ان يعرف انه سيتلقى الردّ من رجاله الخصوصيين. لم يبد على «الهامس» انه تأثر كثيراً بهذا التهديد، ولا رينو أيضاً.

قالت الفتاة: أتوقع ردّة الفعل هذه منهما. ماذا فعلت بالنسبة لنونان؟ كيف عرّيته وفضحت رينو؟

ـ قلت للحضور انه كان يعرف منذ البداية ان ماك سوين هو قاتل تيم. تلك كانت الكذبة الوحيدة. ثم أخبرتهم بحيلة سرقة المصرف التي دبّرها القائد مع رينو، والتي تقتضي اصطحاب جيري وتركه في مكان الحادثة كي يتهم «الهامس» بالسرقة. استطعت تكوين فكرة عن حقيقة ما حدث لأنك قلت لي ان جيري نزل من السيارة وتوجه إلى المصرف وسقط بعد اصابته برصاصة. الإصابة كانت في ظهره، وانسجاماً مع هذا ما قاله ماك غرو ان سيارة المهاجمين شوهدت وهي تنعطف في شارع كينغ، أي أن الرجال كانوا في طريقهم إلى مبنى السراي يريدون العودة إلى السجن، كدليل على براءتهم.

ـ لكن حارس المصرف قال انه أطلق النار على جيري. هذا ما قرأت في الصحيفة.

ـ هو قال ذلك، لكنه مستعد ان يقول أي شيء ويصدقه. إنه على الأرجح أفرغ مسدسه وهو مغمض العينين، وأي شيء يسقط يعتقد انه هو الذي أسقطه. ألم تقولي ان جيري سقط؟

ـ بالفعل، وكان يواجه المصرف، ولم أعد أعرف من الذي أطلق عليه النار، كان العديد من الرجال يشاركون في اطلاق النار...

ـ بالفعل. هذا كان مقصوداً. وأثرت أيضاً خبراً أنا واثق من صحته، هو ان رينو أطلق النار على ليو يارد. رينو شخص قاسٍ، أليس كذلك؟ نونان شعر انه ضعيف، ولم يعلق رينو على كلامي إلاّ بقوله: وما الفائدة من ذلك؟ الحديث بشكل عام كان لطيفاً ومهذباً. كان الحضور منقسمين إلى جماعتين: بيتر و «الهامس» ضد نونان ورينو. لكن أي واحد منهم لم يكن يستطيع الاعتماد على شريكه لمساندته إذا اتخذ خطوة ما، وحين انفضّ الاجتماع كان الشركاء قد انفضوا أيضاً. نونان خارج المسألة، و «الهامس» ورينو مختلفان، وبيتر ضدهم معاً.

جلس الجميع حول الطاولة بهدوء، وكل واحد منهم يراقب الآخر فيما كنت أحتال عليهم بالموت والدمار.

ـ أول واحد ترك الاجتماع كان «الهامس» ويبدو انه وجد وقتاً كافياً ليجمع عدداً من المسلحين أمام بيت نونان. حين وصل نونان أطلقوا عليه النار. إذا كان بيتر الفنلندي يقصد ما قاله ـ وأعتقد انه لا يقول شيئاً لا يعنيه ـ فإنه الآن يلاحق

«الهامس». كان رينو مسؤولاً عن موت جيري مثل نونان، لذلك فإن «الهامس» يريد ان يتخلص منه أيضاً. وبما ان رينو يتوقع ذلك، فإنه سيحاول الوصول إلى «الهامس» أولاً. وإلى جانب هذا سيكون رينو على الأرجح منشغلاً بحل الخلاف مع أزلام ليو يارد الذين لا يقبلون برينو رئيساً لهم. الوضع بشكل عام خطير ومعقد.

مدّت دينا براند يدها وربتت على يدي، وقالت وهي تنظر إليّ بعدم ارتياح:

- هذه ليست غلطتك يا حبيبي. أنت قلت انه لم يكن أمامك طريقة أخرى. اشرب الكأس لأملأ لك غيرها.

قلت مبدياً عدم موافقتي: كان بوسعي ان أفعل الكثير. العجوز أليهو تخلّى عني في البداية لأن هؤلاء الرجال يضعون أيديهم في مجالات عديدة ولا يستطيع ان يخاطر بالانفصال عنهم إلاّ إذا كان متأكداً انهم سينهزمون. لم يكن مقتنعاً بأنني قادر على مواجهتهم، لذلك تابع لعبه معهم. إنه ليس قاتلاً مثلهم، وهو في الوقت نفسه يعتبر المدينة ملكاً شخصياً له، وهو لا يحب الطريقة التي استخدمها هؤلاء لكي يأخذوها منه.

- كان بوسعي ان أزوره بعد ظهر اليوم وأثبت له انني قد قضيت على نفوذهم. كان سيقتنع، وسينضم إليّ، وسيعطيني الدعم الذي احتاجه لكي أنهي اللعبة بطريقة قانونية. كان بإمكاني أن أفعل ذلك. لكن، من الأسهل ان أدعهم يتقاتلون، هذه الطريقة أسهل وأضمن وأفضل، وأنا الآن غير راضٍ عما جرى. لا أعرف كيف سأشرح الوضع للمسؤول في الوكالة.

سوف يلقي بي الرجل الكبير في الزيت الساخن. إذا عرف حقيقة ما أقوم به.

هذه المدينة ملعونة. اسمها بويزون فيل، وقد سمّمتني.

- إفهميني. كنت الليلة جالساً إلى طاولة ويلسون أحرّكهم كما تحركين سمك السلمون المرقّط، وكنت ألهو بهم كما تفعلين بالسمك. نظرت إلى نونان وأدركت انه ليست لديه فرصة واحدة في الألف ليعيش يوماً آخر بعد الذي قلته عنه، وضحكت وشعرت بالدفء والسعادة. لم أعد أعرف نفسي. ما تبقى من روحي صار محاطاً بجلد قاس، وبعد عشرين سنة من التعاطي بالجريمة أستطيع ان أنظر إلى أيّة جريمة دون ان أرى فيها سوى انها عمل لي، عمل يومي لكي أعيش. لكن التخطيط للقتل ليس من طبيعتي. إنه من تأثير هذه المدينة.

ابتسمت لي برقّة وقالت تحاول التخفيف عني:

- أنت تبالغ كثيراً يا حبيبي. انهم يستحقون ما جرى لهم. لا أريد ان أراك بهذه الحالة. أنت تثير مخاوفي.

ابتسمت، وحملت الكأسين إلى المطبخ لتملأهما. عندما رجعت نظرت إليّ عابسة والقلق بادٍ في عينيها وسألتني:

- ما الذي جعلك تحضر معك معول الثلج؟

- لكي أظهر لك طريقة تفكيري. منذ يومين كنت أنظر إلى هذا المعول وأقول انه أداة جيدة لتقطيع الثلج. ومررت اصبعي على النصل الحاد حتى نهايته الدقيقة وقلت: لا بأس به ليشبك ملابس شخص ما إلى جسمه. هذه النظرة تخيفني. لم أعد أرى ولاّعة دون ان أفكر في تعبئة ولاعة بالنترو غلسرين وأرسلها لشخص لا أحبه.

أمام بيتك توجد قطعة من السلك النحاسي مرمية في القناة إلى جانب الطريق... سلك رفيع وناعم يكفي لكي يلتف حول عنق شخص ما ويخنقه عند شدّ طرفيه. إنني أمنع نفسي بصعوبة من حمله ووضعه في جيبي، إذ ربما أحتاج...

ـ أنت مجنون.

ـ أعرف ذلك، وأنا أحاول أن أشرح لكِ حالتي. صار مشهد الدماء عادياً بالنسبة لي.

ـ حالتك لا تعجبني. ضع معول الثلج مكانه وحاول ان تكون أكثر وعياً.

نفذت جزءاً من أمرها.

وبّختني قائلة: مشكلتك ان أعصابك متعبة. يبدو ان أحداث الأيام الأخيرة تركت تأثيراً كبيراً عليك. إذا استمرت هذه الحالة ستؤدي بالتأكيد إلى الانهيار العصبي.

رفعت يدي وقد أبعدت ما بين أصابعي، فرأيت انها لا تهتز.

نظرت إلى يدي وقالت: هذا لا معنى له. التوتر في داخلك. لماذا لا تأخذ يومين من الراحة، الأمور هنا تسير كما خططت لها؛ لماذا لا تذهب إلى بحيرة سالت، سوف تشعر بالراحة هناك.

ـ لا أستطيع يا عزيزتي. يجب ان أكون هنا لأعدّ الموتى. وبالاضافة إلى ذلك فإن البرنامج الذي وضعته يعتمد على الأشخاص الموجودين حالياً وعلى الأحداث التي تدور بينهم، إذا غادرنا المدينة سيطرأ تعديل على هذا الوضع وقد نحتاج لإعادة دراسة البرنامج مرة ثانية.

ـ ليس من الضروري ان يعرف أحد بغيابنا، وأنا لا علاقة لي بهذا البرنامج.

ـ منذ متى؟

انحنت إلى الأمام وحدّقت فيّ تسألني:

ـ ماذا تقصد؟

ـ لا شيء. كنت أتساءل حول قرارك المفاجيء بأن تصبحي متفرّجة لامبالية. هل نسيت ان دونالد ويلسون قُتل بسببك؟ هل نسيت ان المعلومات التي أعطيتها لي عن «الهامس» هي التي ساعدتني على مواصلة مهمتي؟

قالت ساخطة: أنت تعرف جيداً انني لست مسؤولة عما حدث. وعلى كل حالٍ الماضي مضى بأحداثه. أنت تثير الماضي لأن مزاجك متعكر وتريد ان تتجادل معي.

ـ كنت البارحة مذعورة لاعتقادك ان «الهامس» يريد ان يقتلك.

ـ هلاّ تكف عن التحدث عن القتل!

ـ قال لي آلبري مرة ان بيل كوينت هدّدك بالقتل.

ـ أسكت.

ـ يبدو ان عندك موهبة لاستثارة رغبة القتل عند اصدقائك من الرجال. آلبري ينتظر محاكمته بتهمة قتل ويلسون. و «الهامس» يخيفك. حتى أنا لم أستطع الإفلات من تأثيرك، وهذا يتجلى في المشاعر الجديدة التي تنتابني. كما انني أعتقد ان دان رولف سوف يحاول التخلص منك في يوم من الأيام.

ـ دان! أنت مجنون. أنا...

ـ صحيح؛ هو مسلول وضعيف وأنت آويته. أعطيته بيتاً والكمية التي يطلبها من «اللودنوم». تعتبرينه ساعياً عندك، وتصفعينه أمامي وأمام الآخرين. انه يحبك. سوف تستيقظين ذات يوم وتكتشفين انه جزّ رقبتك بالسكين.

ارتعشت ووقفت وهي تضحك.

ـ أنا سعيدة لأنك أنت على الأقل تفهم ماذا تقول!

وحملت الكأسين الفارغين إلى المطبخ.

أشعلت سيجارة وأنا مستغرب من طريقة تفكيري، وأخذت أتساءل ما إذا كنت مصاباً بمرض نفسي، وما إذا كان مردّ ذلك إلى نوع العمل الذي أقوم به أم ان أعصابي متلفة.

رجعت الفتاة تحمل كأسين ملأتهما بالشراب وقالت تنصحني: أفضل شيء تفعله إذا قررت انك لا تريد مغادرة المدينة، ان تسكر وتنسى كل همومك لبضع ساعات. وضعت لك في الكأس كمية كبيرة من الجين. أنت بحاجة لها.

ـ لست أنا الذي أحتاج ان أسكر. قلت لها ذلك وأنا مستغرب مما أقول، لكنني مع ذلك وجدت متعة في متابعة الحديث: أنت بحاجة لذلك. في كل مرة أذكر فيها القتل، تثورين، لأنك امرأة وتعتقدين اننا إذا لم نتكلم في هذا الموضوع فإن الرجال في هذه المدينة الذين يريدون التخلص منك، والله وحده يعرف عددهم، قد يغيرون رأيهم. هذا تفكير سخيف. مهما قلنا أو لم نقل فإن «الهامس» مثلاً لن...

ـ أرجوك، أرجوك، أسكت! أنا غبية. أنا أخاف من الكلمات. أنا أخاف منه. أنا، آه، لماذا لم تلق القبض عليه عندما طلبت منك ان تفعل؟

ـ آسف وكنت أعني ذلك.

ـ هل تعتقد انه...؟

قلت لها: لا أعرف. أعتقد ان الحق معك. لا داعي لمواصلة هذا الحديث. من الأفضل ان نشرب، مع ان هذا الجين يبدو خفيفاً.

ـ المشكلة فيك وليس في المشروب. هل ترغب في شيء مسكر فعلاً؟

ـ أنا مستعد ان أشرب النيترو غليسرين هذه الليلة.

ـ وسوف تتناول شيئاً شبيهاً به.

أصدرت جلبة وهي تحرك بعض الزجاجات في المطبخ، وحملت إليّ بعد قليل كأساً فيه مشروب يشبه الجين. شممت الكأسين وقلت:

ـ هذا من «اللودنوم» الذي يتناوله دان، أليس كذلك؟ ألا يزال في المستشفى؟

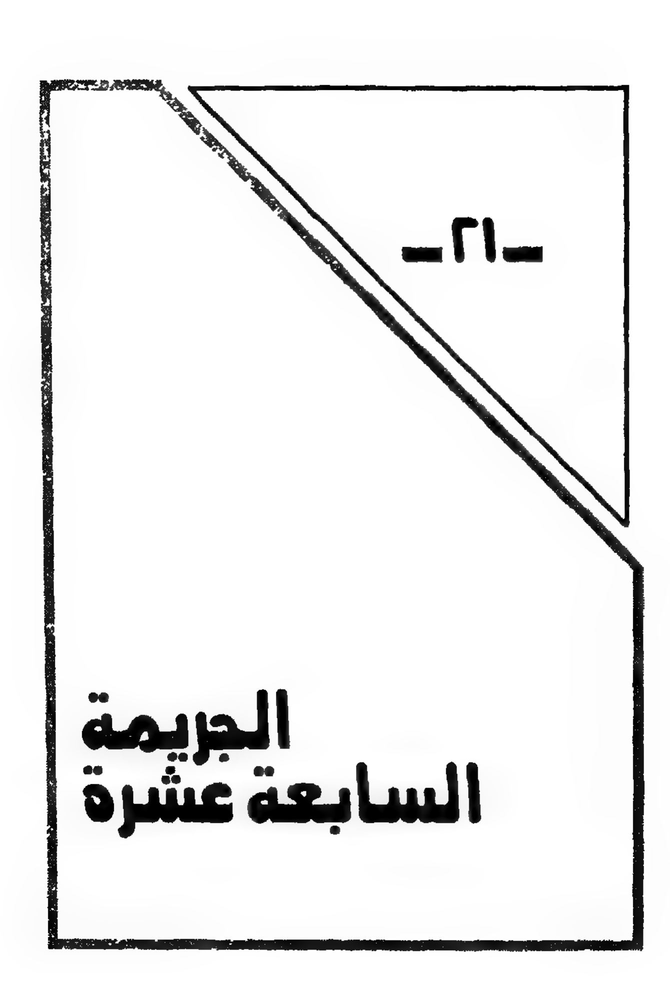
ـ أجل، أعتقد انه مصاب بكسور في الجمجمة. تفضل واشرب يا استاذ، هذا ما طلبت.

شربت كأس الجين «باللودنوم»، وبعد قليل شعرت بالارتياح. ومرّ الوقت ونحن نشرب ونتبادل أطراف الحديث في عالم صار وردياً ومرحاً ومليئاً بالحب والسلام.

كانت دينا تشرب الجين فقط. وأنا شربت كأساً من الجين أيضاً، ثم كأساً آخر من الجين و«اللودنوم».

بعد فترة بدأت ألعب لعبة، كنت أحاول ان أفتح عينيّ كما لو انني مستيقظ مع انني لم أكن أرى شيئاً بهما. وعندما

شعرت ان خداعي لا ينطلي عليها، استسلمت للنوم. آخر شيء أذكره انها ساعدتني في التمدّد على الكنبة في غرفة الجلوس.


-٢١-
الجريمة
السابعة عشرة

حلمت أنني جالس على مقعد في بالتيمور، أمام نافورة المياه في حديقة هارليم، وتجلس بجانبي امرأة تضع حجاباً . كنت قد أتيت إلى الحديقة بصحبتها، وأعرفها جيداً. لكنني نسيت فجأة من تكون. ولم أتمكن من رؤية وجهها لأنها كانت تغطيه بالحجاب الأسود الطويل.

فكرت انني لو تحدثت إليها فإنني سأتعرف عليها من صوتها حين تردّ عليّ. لكنني شعرت بارتباك شديد وأنا أبحث عن شيء أقوله دون جدوى. أخيراً سألتها إذا كانت تعرف رجلاً يدعى كارول ت .هاريس.

ردّت عليّ، إلاّ ان صوت اندفاع المياه في النافورة غطّى على صوتها ولم أسمع شيئاً مما قالت.

مرت سيارات إطفاء في شارع إدموندسون. وقفت المرأة وأخذت تركض خلفها وهي تصرخ: «حريق! حريق!» عرفت صوتها عندئذٍ وعرفتها، وعرفت أيضاً انها كانت مهمّة بالنسبة لي. ركضت وراءها، لكن بعد فوات الأوان، اختفت هي وسيارات الإطفاء.

مشيت في الشوارع أبحث عنها؛ شوارع عديدة توزعت في مدن مختلفة في الولايات المتحدة، شارع غاي، وشارع مونت رويال في بالتيمور، وشارع كولفاكس في دنفر، وطريق إيتنا وشارع سانت كلير في كليفلاند، وشارع ماك كيني في دالاس، وشوارع لومارتين وكورنيل وأموري في بوسطن، وجادة بيري في لويزفيل، وشارع لكسينغتون في نيويورك، ووصلت أخيراً إلى شارع فيكتوريا في جاكسون فيل حيث سمعت صوتها ثانية، لكنني لم أستطع رؤيتها.

تابعت المسير وأنا أسمع صوتها. كانت تنادي اسماً، لم يكن اسمي؛ اسم غريب بالنسبة لي؛ وبالرغم من تسارع خطواتي ومتابعتي للبحث عنها في كل اتجاه، إلاّ انني لم أكن أستطيع الاقتراب منها أكثر. كانت تفصلني عنها دائماً مسافة لم أشعر انها تغيرت لا في شارع يمر بالقرب من فيديرال بيلدينغ في أل باسو، ولا في الحديقة العامة في ديترويت. ثم توقف الصوت.

كنت متعباً ومثبط الهمّة، قررت ان أرتاح بعض الوقت في فندق يقع في مواجهة محطة السكة الحديدية في روكي ماونتن، في كارولينا الشمالية. كنت أجلس في قاعة الاستقبال، حين توقف قطار في المحطة. رأيتها تنزل منه وتدخل إلى القاعة، وتقترب مني وتبدأ في تقبيلي. كنت منزعجاً لأن روّاد الفندق كانوا ينظرون إلينا ويضحكون.

إنتهى الحلم.

حلمت انني في مدينة غريبة أطارد رجلاً أكرهه. كنت أحمل سكيناً في جيبي وكنت أنوي أن أقتله بهذا السكين حين

أعثر عليه. كان الأحد صباحاً، وأجراس الكنائس تقرع، وأناس كثيرون في الشارع، في طريقهم إلى الكنيسة أو انهم راجعون منها. مشيت كثيراً، كما مشيت في الحلم الأول، لكنني لم أغادر تلك المدينة الغريبة.

ثم ناداني الرجل الذي كنت أبحث عنه، ورأيته أمامي. كان رجلاً أسمر قصير القامة، يضع على رأسه صمبريرة(*) كبيرة جدا. كان يقف على سلم مبنى عال في الطرف البعيد من ساحة واسعة، وكان يضحك. كانت الساحة تعجّ بالناس.

وضعت يدي في جيبي وتركتها على السكين، ثم أخذت أركض نحو الرجل القصير، أركض على رؤوس الناس المحتشدين وعلى أكتافهم. كانت الرؤوس والأكتاف على ارتفاعات غير متساوية والمسافات بينها لم تكن متساوية أيضاً. كنت أنزلق وأتقدم متعثراً.

وقف الرجل القصير على السلم وهو يضحك حتى كدت أصل إليه. ركض ودخل إلى المبنى. لحقت به وصعدت مسافة طويلة على السلالم اللولبية، وكنت دائماً على مسافة قريبة منه. وصلنا إلى سطح المبنى ركض حتى الحافة وقفز بعد ان تمكنت من لمسه بيدي.

انزلق كتفه من بين أصابع يدي. ضربت قبعته الصمبريرة بيدي وأمسكت برأسه. كان رأسه قاسياً ومستديراً وبدون شعر، وحجمه ليس أكبر من حجم بيضة كبيرة. التفّت

(*) الصمبريرة: قبعة عريضة الحافة مألوفة في المكسيك والأجزاء الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة الأميركية.

أصابعي حوله. شددت على رأسه بيد واحدة، وحاولت ان أتناول السكين من جيبي - وأدركت انني قفزت معه عن حافة السطح - هبطنا بسرعة مذهلة نحو الملايين الذين كانوا في الساحة يدفعون برؤوسهم لينظروا إلينا، وتفصلنا عنهم أميال عديدة.

فتحت عينيّ على أشعة شمس الصباح التي كانت تتسلّل بهدوء عبر الستائر المسدلة.

كنت ممدّدا على بطني، على أرض غرفة الطعام ورأسي يرتاح على ذراعي الأيسر. ذراعي الأيمن ممدود، ويدي اليمنى كانت تضغط على مقبض معول الثلج، الذي كان نصله منغرساً في ثدي دينا براند الأيسر.

كانت مستلقية على ظهرها. إنها ميتة، ورجلاها ممدودتان باتجاه المطبخ. انسلّ خيط من جوربها على رجلها اليمنى.

ببطء وهدوء تركت مقبض معول الثلج، وكأنني كنت أخاف إيقاظها ونهضت عن الأرض.

شعرت بألم في عينيّ، وبحرارة في فمي وفي حنجرتي، دخلت المطبخ وجدت زجاجة جين، رفعتها إلى فمي وأخذت أشرب منها حتى شعرت بحاجة لأن أتنفس فأبعدتها قليلاً. ساعة المطبخ كانت السابعة وواحدة وأربعين دقيقة.

عدت إلى غرفة الطعام بعد تناول الجين، أضأت النور وأخذت أتأمل الفتاة الميتة.

لا توجد دماء كثيرة: بقعة بحجم دولار فضي حول التجويف الذي حفره معول الثلج في ثوبها الحريري الأزرق. على خدّها الأيمن كدمة، تحت عظم الخدّ مباشرة. وهناك

كدمة أخرى على معصمها الأيمن. يداها خاليتان من الحلي. حركتها قليلاً لأرى ما إذا كان يوجد شيء تحتها.

تفحّصت الغرفة. لم يبد لي ان أي تغيير طرأ عليها. عدت إلى المطبخ ولم أتبين أي تغيير هناك أيضاً.

لا يزال القفل موجوداً على الباب الخلفي، وليست عليه أية علامات تدلّ ان أحداً حاول فتحه بالقوة. توجهت إلى الباب الرئيسي ولم أجد عليه أية علامات أيضاً. تجولت في البيت من الأعلى إلى الأسفل، ولم أجد شيئاً. النوافذ حالتها جيدة. مجوهرات الفتاة في علبتها على طاولة الزينة(ما عدا خاتمين من الماس كانت تضعهما)، وأربعمئة دولار في حقيبتها، على مقعد في غرفة نومها.

عدت إلى غرفة الطعام وانحنيت بجانب القتيلة واستخدمت محرمتي لأمسح بصمات أصابعي عن مقبض معول الثلج. ومسحت الكؤوس التي استعملتها والزجاجات والأبواب وأزرار الكهرباء، والمقاعد التي لمستها، أو التي خُيل إليّ انني لمستها.

ثم غسلت يديّ، وتفحصت ثيابي كي لا تكون ملوّثة بالدم، وتأكدت انني لم أنس شيئاً من أغراضي، وتوجهت إلى الباب. فتحته ومسحت المسكة من الداخل ثم أغلقته ورائي، ومسحت المسكة من الخارج.

اتصلت بديك فولي في متجر في شارع برودواي وطلبت منه الحضور إلى الفندق. وصل بعدي ببضع دقائق.

قلت له أروي ما حدث: دينا براند قُتلت في منزلها ليلة البارحة، أو في صباح اليوم الباكر. طعنت بمعول الثلج. رجال

الشرطة لا يعرفون بالحادثة بعد. أخبرتك الكثير عنها وأنت الآن تتوقع ان هناك عدداً من الأشخاص يودّون موتها. من بين هؤلاء أريدك ان تتقصّى لي أخبار ثلاثة في المرحلة الأولى: «الهامس» ودان رولف وبيل كوينت. معك أوصافهم. رالف موجود في المستشفى وهو مصاب بكسور في الجمجمة. لا أعرف في أي مستشفى. إبحث عنه في مستشفى سيتي أولاً. اتصل بميكي لينهان - انه لا يزال يراقب بيتر الفنلندي - قل له ان يدع بيتر وشأنه حالياً وأن يساعدك في تنفيذ مهمتك. أريدك ان تعرف أين كان كل واحد من هؤلاء الثلاثة ليلة البارحة. والوقت له قيمة كبيرة.

كان التحري الكندي يراقبني بفضول وأنا أتكلم. أراد ان يقول لي شيئاً، ثم غيّر رأيه واكتفى بـ «كما تريد» وخرج من الغرفة.

بدأت البحث عن رينو ستاركي. بعد ساعة استطعت الحصول على رقم هاتف المنزل الذي يقيم فيه في شارع روني.

قلت له: انني أريد مقابلته فسألني: وحدك؟

- أجل!

قال انني أستطيع المجيء إلى غرفته ودلّني على طريقة الوصول إليه. أوقفت سيارة تاكسي وأوصلني السائق إلى مبنى عتيق من طابقين يقع في ضاحية المدينة.

رأيت رجلين يتسكعان قرب محل البقالة عند زاوية الشارع، واثنين آخرين يجلسان على الدرجات الخشبية الأولى لسلم البيت الذي يقع عند الزاوية الثانية. لا يدل مظهر أي واحد من هؤلاء على انه رجل مهذب.

قرعت جرس الباب ففتح لي رجلان. لم يكن شكلهما أفضل من شكل الآخرين. رافقاني إلى غرفة رينو. كان رينو يرتدي قميصاً بدون قبة، وسترة، ويجلس على كرسي يدفعه قليلاً إلى الوراء، ويرفع رجليه على حافة النافذة.

أحنى رأسه الشاحب والضخم وقال:

- أحضر كرسياً واجلس بجانبي.

الرجلان اللذان رافقاني خرجا وأغلقا الباب وراءهما. جلست وقلت له:

- أريد إثباتاً على براءتي. قتلت دينا براند ليلة البارحة بعدما تركتها. لا مجال ان تدور الشبهة حولي، لكن بعد وفاة نونان لم أعد واثقاً من موقفي في مركز الشرطة. لا أريد ان أتيح لهم أدنى فرصة للتفكير في توجيه التهمة إليّ. إذا كنت مضطراً أستطيع ان أبرهن أين كنت ليلة البارحة، لكن أنت توفّر عليّ جهداً كبيراً إذا ساعدتني على تقديم هذا الإثبات.

نظر إليّ رينو بعينين فاترتين وسألني:

- ولماذا أخترتني أنا؟

- أنت اتصلت بي حين كنت هناك، وأنت الشخص الوحيد الذي تعرف انني كنت عند دينا في بداية السهرة؛ إذاً يجب ان أتدبّر الأمر معك أولاً حتى لو كنت أستطيع إثبات براءتي بوسيلة أخرى، أليس كذلك؟

سألني: هل قتلتها؟

أجبته ببرود: لا.

أخذ يتأمل المشهد خلف النافذة، وبعد قليل سألني:

ـ ما الذي يجعلك تظن انني سأقبل مساعدتك؟ هل أنا مدين لك بشيء بعد الذي قلته عني في بيت ويلسون ليلة البارحة؟

قلت: حديثي عنك لم يلحق بك الأذى. كانت الأخبار بدأت تنتشر على كل حال. كان تايلر يعرف جزءاً كبيراً من الحقيقة ويستطيع ان يخمن الباقي. أنا كشفت جميع الأوراق. لماذا أنت متضايق؟ أنت قادر على حماية نفسك.

وافق معي قائلاً: سأحاول ذلك. حسناً. أنت كنت في نزل تانر في بلدة تانر. إنها بلدة صغيرة تقع على مرتفع يبعد ثلاثة وعشرين ميلاً عن مدينتنا. أنت قصدت هذه البلدة بعد مغادرتك لمنزل ويلسون وقضيت ليلتك هناك. والذي أوصلك إلى تانر سائق يدعى ريكر يعمل على سيارة أجرة ويتوقف عادة قرب صالة البليارد التي يمتلكها موري. يجب ان تفكر فيما فعلته هناك. أعطني اسمك بالكامل كي أسجّل هذه المعلومات عندي.

شكرته وأنا أنزع غطاء قلم الحبر.

ـ لا تشكرني. أنا أخدمك لأنني بحاجة إلى أكبر عدد ممكن من الأصدقاء. عندما يحين الوقت ونجتمع أنا وأنت و«الهامس» وبيتر، لا أريد ان تكون نهاية الاجتماع سيئة.

وعدته قائلاً: لن تكون سيئة. من سيتولى منصب قائد الشرطة؟

ـ ماك غرو يتصرف على انه القائد حالياً. أعتقد انه واثق من تعيينه في هذا المنصب.

ـ وكيف يدير اللعبة؟

ـ انه متفق مع الفنلندي؛ اللعب بخشونة يلحق الأذى

بمؤسسته كما يلحق الأذى بتجارة بيتر. لكن لا بد من بعض الخشونة في البداية. من الأفضل لي ان أبتعد قليلاً طالما ان «الهامس» لا يزال حراً طليقاً. إما ان أكون أنا في هذه المدينة أو يكون هو. هل تعتقد انه هو الذي قتل الفتاة؟

قلت له وأنا أعطيه الورقة التي دوّنت عليها اسمي: عنده أسباب كافية لذلك. لقد خانته وباعت معلومات عنه، بالإضافة إلى أسباب أخرى.

سألني: كانت تربطك بها علاقة متينة، أليس كذلك؟

لم أجبه؛ أشعلت سيجارة، وانتظر رينو قليلاً ثم قال:

ـ من الأفضل ان تقابل ريكر وتتركه يتأمل ملامحك جيداً كي يتمكن من وصفك إذا سئل.

دخل إلى الغرفة شاب طويل الساقين، في الثانية والعشرين؛ وجهه يغطيه النمش وفي عينيه نظرة متهورة. عرّفني عليه رينو وقال انه يدعى هانك أومارا. وقفت وسلمت عليه، ثم سألت رينو:

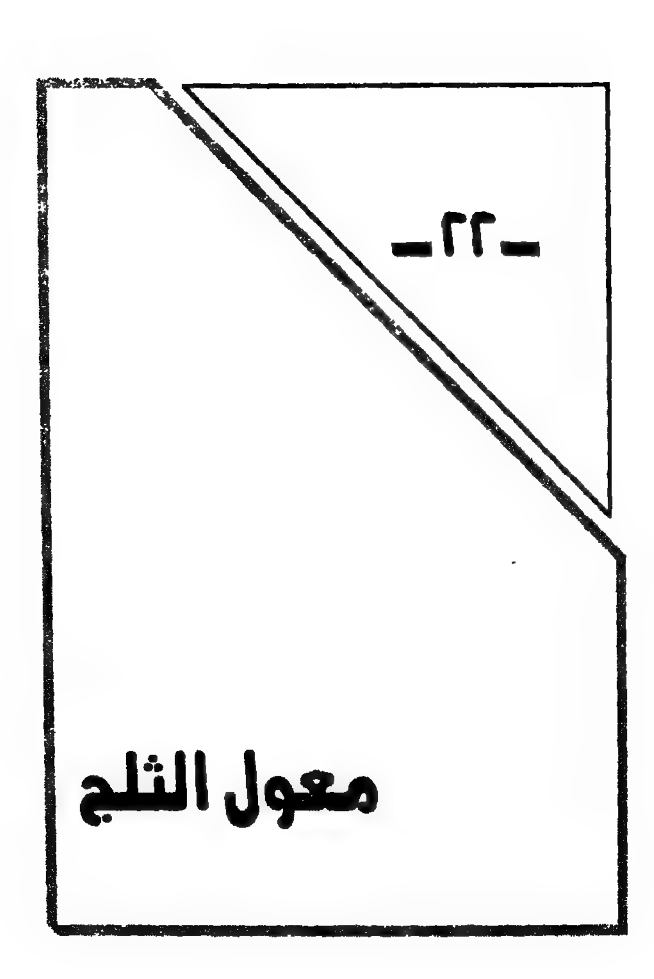
ـ هل أستطيع الاتصال بك هنا إذا احتجت إليك.

ـ هل تعرف بيك موري؟

ـ لقد التقيت به، وأعرف صالة البليارد التي يمتلكها.

ـ هو ينقل إليّ ما تريد مني. يجب ان نغادر هذا المكان، لأنه ليس مناسباً لنا. مسألة وجودك في بلدة تانر صارت مدوّنة عندي.

ـ حسناً. شكراً لك. وغادرت المنزل.


-٢٢-
معول الثلج

عدت إلى وسط المدينة وتوجهت أولاً إلى مركز قيادة الشرطة. كان ماك غرو جالساً إلى مكتب القائد. نظر إليّ بارتياب بعينيه اللتين تحيط بهما أهداب شقراء، وبدت الخطوط في وجهه أعمق وأكثر حدّة من المعتاد.

سألني بدون أي تمهيد، بدون سلام ولا حتى إيماءة بسيطة برأسه:

- متى رأيت براند آخر مرة؟ وكان صوته خشناً ومنفراً.

- حوالى الساعة العاشرة وأربعين دقيقة من مساء البارحة. ثم سألته: لماذا؟

- أين؟

- في بيتها.

- كم مكثت هناك؟

- حوالى عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة.

- لماذا؟

- ولماذا تسألني: لماذا؟

- لماذا لم تمكث عندها فترة أطول؟

ـ ماذا؟ وجلست مع انه لم يدعني إلى الجلوس، وتابعت أقول: وهل لهذا علاقة بك؟

حدّق فيّ وهو يملأ رئتيه بالهواء حتى يتمكن من الصراخ في وجهي ويقول: جريمة قتل!

ضحكت وقلت: أنت لا تعتقد ان دينا لها علاقة بمقتل نونان؟

كنت أرغب في تدخين سيجارة، لكن من المعروف ان السيجارة هي أول ما يلجأ إليه الانسان إذا كان في حالة عصبية، لذلك فضلت عدم التدخين.

كان ماك غرو يحاول ان يصل إلى أفكاري من خلال تحديقه في عينيّ. تركته يحدق كما يشاء، لأنني كنت واثقاً أنني مثل سائر الناس، أبدو صادقاً للغاية عندما ألفّق الأكاذيب. وبعد قليل أقلع عن مراقبته لي وسألني:

ـ ولـمَ لا؟

كان سؤاله دليلاً على ضعف. قلت له بلا مبالاة:

ـ معك حق، ولم لا؟ وقدمت له سيجارة وأشعلت واحدة لي. ثم أضفت: أظن ان تايلر هو الذي قتله.

ـ هل كان هناك؟ ولأول مرة ترك ماك غرو الكلمات تتسرب عبر أسنانه لا عبر أنفه.

ـ ماذا تقصد؟

ـ عند دينا براند؟

قلت وأنا أفكر في الأمر: لا. ولماذا يكون عندها ـ إذا كنّا نعتقد انه كان منشغلاً بقتل نونان؟

ـ اللعنة على نونان! قال ذلك بعصبية وأضاف: ما الذي يجعلك تذكره باستمرار؟

حاولت أن أنظر إليه كما لو انني أعتبره مجنوناً.

قال لي: دينا براند قتلت ليلة البارحة.

قلت له: حقا؟

ـ والآن هل أنت مستعد للإجابة على أسئلتي؟

ـ بالطبع. كنت في منزل ويلسون مع نونان والآخرين. غادرت المنزل حوالى العاشرة والنصف. قصدت بيتها لأقول لها انني ذاهب إلى بلدة تانر. كنت على موعد معها. مكثت عندها حوالى عشر دقائق، الوقت الكافي لتناول كأس. لم ألاحظ وجود أحد عندها، إلا إذا كان مختبئاً. متى قتلت؟ وكيف؟

أخبرني ماك غرو انه أرسل اثنين من رجاله: شيب وفانامان، لمقابلة الفتاة هذا الصباح، لمعرفة مدى قدرتها على مساعدة الشرطة في القبض على «الهامس» بتهمة قتل نونان. وصل الشرطيان إلى منزلها حوالى التاسعة والنصف. كان الباب الرئيسي مفتوحاً بشكل جزئي. لم يردّ أحد على رنين الجرس. دخلا ووجدا الفتاة ممددة على ظهرها على أرض غرفة الطعام، كانت ميتة وفي ثديها الأيسر جرح عميق.

قال الطبيب الذي فحص الجثة انها ماتت إثر ضربها بآلة ذات نصل حاد ودقيق ومستدير؛ طوله حوالى ستة إنشات، وان الجريمة ارتكبت حوالى الثالثة صباحاً. ويبدو ان المكاتب والخزائن والصناديق فُتشت بعناية وببراعة. لم يتم العثور على أية قطعة نقدية لا في حقيبة الفتاة ولا في أي ركن من أركان

البيت. كما ان علبة المجوهرات على طاولة الزينة في غرفة نومها كانت فارغة. لكن السرقة لم تطل خاتمي الماس اللذين كانت تضعهما.

لم يجد رجال الشرطة السلاح الذي اخترق صدرها. ولم يتمكن خبراء رفع البصمات من العثور على أي أثر يمكن استخدامه في التحقيق. وتدل حالة المطبخ على ان الفتاة كانت تتناول الشراب مع ضيف واحد أو مع عدة ضيوف.

قلت أردّد وصف السلاح: ستة إنشات، مستدير، حادّ ودقيق. يبدو لي ان هذا الوصف ينطبق على معول الثلج عندها.

رفع ماك غرو سماعة الهاتف وطلب من الموظف ان يرسل له في الحال الشرطيين شيب وفانامان. كان شيب طويل القامة، منحني الكتفين، يساعده فمه العريض على ان يبدو رجلاً نزيهاً، وربما يكون مردّ ذلك إلى تشويه في أسنانه. والشرطي الآخر كان قصيراً وممتلئاً، تظهر على أنفه عروق أرجوانية، وهو ذو رقبة قصيرة جداً.

عرّفني ماك غرو عليهما وسألهما عن معول الثلج. قالا إنهما لم يريا معول ثلج، وكانا متأكدين انه لم يكن موجوداً هناك، وانه من غير الممكن ان يغفلا عن أداة كهذه.

سألني ماك غرو: هل رأيت معول الثلج ليلة البارحة؟

- كنت واقفاً بجانبها وهي تقطع به الثلج.

وصفته له. طلب ماك غرو من الشرطيين أن يفتشا البيت مرة أخرى، وان يفتشا أيضاً حول البيت.

سألني بعد خروجهما: أنت كنت تعرفها. من هو القاتل برأيك؟

ـ لا أستطيع ان أكوّن رأياً بهذه السرعة. أعطني مهلة ساعة أو ساعتين حتى أفكر في الأمر. من هو القاتل برأيك أنت؟

عاد إلى تجهّمه، وقال متذمراً: ومن أين لي أن أعرف؟

لكنه حين سمح لي بالخروج دون ان يطرح عليّ المزيد من الأسئلة تأكدت أنه يشك في ان «الهامس» هو قاتل الفتاة.

تساءلت ما إذا كان «الهامس» قد قتلها بالفعل، أم ان الأمر لا يتعدى كونه تهمة أخرى ملفّقة يريد المسؤولون عن شرطة بويزون فيل توجيهها إلى المقامر. ولم يعد الأمر مهماً بالنسبة له، ضرب ضربته ـ إما بيده مباشرة أو أوكل الأمر إلى أحد رجاله ـ وتخلص من نونان، وهم على أي حال لن يشنقوه إلاّ مرة واحدة.

رأيت حشداً من الرجال في الممر حين خرجت من غرفة ماك غرو، بعضهم من الشبان الصغار في السن، وهناك مجموعة من الأجانب، وعدد من الرجال الأشداء.

التقيت دونر عند المدخل الرئيسي أحد رجال الشرطة الذين شاركوا في الحملة على سيدر هيل.

حييته وسألته: ما هذا الحشد؟ هل تقومون بتفريغ السجن لإفساح المجال أمام نزلاء جدد؟

ـ هؤلاء هم قوتنا الخاصة الجديدة. قال لي ذلك وكأنه لم يكن واثقاً من حسن اختيارهم، وأضاف: نحن في صدد تكوين قوة تدخّل جديدة.

هنأته على تلك الخطوة ومضيت في سبيلي.

وجدت بيك موري في صالة البليارد، وكان يجلس إلى طاولة خلف منضدة بيع السجائر، وكان يتحدث مع ثلاثة رجال. جلست في الجهة المقابلة، وأخذت أراقب شابين يلعبان البليارد. بعد دقائق معدودة أقبل نحوي صاحب الصالة الطويل والنحيل.

قلت له: إذا رأيت رينو قل له ان رجال بيتر الفنلندي يقسمون اليمين في مركز الشرطة لتأليف قوة تدخل خاصة.

قال لي موري: قد ألتقي به قريباً.

كان ميكي لينهان ينتظرني في قاعة الفندق. اصطحبته إلى غرفتي، وبدأ يقدم لي تقريره:

ـ صاحبك دان رولف هرب من المستشفى عند منتصف الليلة الماضية تقريباً. كان المسؤولون عن المستشفى متضايقين كثيراً لأنه كان من المفروض ان تجرى له عملية جراحية هذا الصباح لانتشال كمية من العظام الصغيرة التي تفتّتت من جمجمته. لم نتمكن من اكتشاف مخبأ «الهامس» بعد. ديك يحاول الآن العثور على بيل كوينت. ما هذه القضية حول مقتل الفتاة؟ قال لي ديك انك عرفت الحادثة قبل رجال الشرطة.

ـ إن ...

رنّ جرس الهاتف.

سمعت صوت رجل ينطق باسمي بلهجة خطابية متأنقة، ويرفق الاسم بعلامة استفهام.

قلت له: نعم.

قال: أنا تشارلز بروكتر دون. أعتقد انه من المفيد لك ان تزورني في مكتبي في أقرب فرصة ممكنة.

ـ حقاً؟ ومن أنت؟

ـ تشارلز بروكتر دون، محام. يقع مكتبي في مبنى راتليدج، شارع غرين، رقم ٣١٠. أعتقد أنك ستجده...

ـ هل عندك مانع ان تعطيني فكرة عما تريد؟

ـ توجد أمور من الأفضل عدم مناقشتها على التلفون. أعتقد انك ستجد...

قاطعته مرة ثانية وقلت: حسناً. سأحاول الحضور بعد ظهر اليوم، إذا سمحت الظروف.

قال يحاول إقناعي: سيكون هذا مفيداً جداً بالنسبة لك.

وضعت السماعة مكانها.

قال ميكي: كنت تشرح لي ملابسات حادثة مقتل دينا براند.

قلت له: لم أكن أنوي ذلك. كنت بدأت أقول انه ليس من الصعب العثور على رولف ـ لأنه مصاب بكسور في رأسه وهو على الأرجح يلفّ رأسه بالضمادات. حاول ان تجده. إبدأ بالبحث عنه في شارع هاريكاين أولاً.

رسم ميكي ابتسامة عريضة عن وجهه المتورد وقال لي: لا داعي لأن تخبرني بما يدور هنا... أنا أعمل عندك فقط، وتناول قبعته وخرج.

تمدّدت على السرير، وأخذت أدخّن السيجارة تلو الأخرى،

وأفكّر في ليلة البارحة، تذكرت حالة الاضطراب التي كنت أعاني منها، واستسلامي للنوم، وأحلامي والوضع الذي وجدت نفسي فيه عندما استيقظت. لم أكن مرتاحاً وأنا أفكر في هذه الأمور، وشعرت بسعادة عندما سمعت صوتاً في الخارج.

صوت أصابع تخربش على الباب. فتحت الباب.

رأيت رجلاً لم أكن أعرفه. كان شاباً نحيلاً ويرتدي بدلة رمادية يتباهى بها. له حاجبان كثيفان وشارب نحيل، وشعره ذو لون أسود فاحم، ووجهه شاحب وملامحه تعكس اضطرابه، لكنه لم يكن يبدو خجولاً.

قال لي: اسمي تيد رايت، ومدّ يده يصافحني كما لو انني كنت سعيداً للقائه. وأضاف: أعتقد انك سمعت «الهامس» يتحدث عني.

مدّدت له يدي وأفسحت له المجال ليدخل، ثم أغلقت الباب وسألته.

ـ أنت صديق «الهامس»؟

ـ أجل، ورفع يده وهو يلصق اصبعين نحيلين من أصابعه، وقال: أنا وهو، كهذين الاصبعين.

لم أقل شيئاً. أخذ ينظر حوله وابتسم بعصبية، ومشى نحو باب الحمام، ألقى نظرة إلى الداخل ثم عاد ومرّر بلسانه على شفتيه وقال يقدم لي عرضاً:

ـ أنا مستعد ان أقتله لك مقابل خمسمائة دولار.

ـ تقتل «الهامس»؟

ـ أجل، مقابل أجر زهيد.
سألته: ولماذا تعتقد أنني أريد قتله؟
ـ لقد حرمك من فتاتك، أليس كذلك؟
ـ حقاً؟
ـ أنت لست مغفلاً!

خطرت فكرة في بالي، ولكي أعطي لنفسي مجالاً أكبر لتصبح أكثر وضوحاً قلت له: اجلس هذا الأمر يتطلب المزيد من الكلام.

ـ انه لا يتطلب شيئاً، قال لي ذلك وهو ينظر إليّ بحدة دون ان يتحرك نحو أي من الكرسيين الموجودين في الغرفة. وتابع يقول: إما انك تريد قتله أو لا تريد.

ـ إذاً أنا لا أريد قتله.

تمتم بكلمات لم أفهمها، واتجه نحو الباب. وقفت بينه وبين الباب قبل وصوله إليه، فتريث وهو يتململ بعصبية.

قلت له: «الهامس» مات إذاً؟

خطا خطوة إلى الوراء وأرجع يده إلى الخلف. ضربته على فكّه، ووضعت وزني كله، مئة وتسعين باونداً، في هذه الضربة.

تقاطعت رجلاه وهوى على الأرض.

رفعته من معصميه وقرّبت وجهه من وجهي وصرخت فيه قائلاً:

ـ قل الحقيقة. ما هي لعبتك؟
ـ أنا لم أفعل شيئاً لك.

ـ سوف ألعب معك. من قتل «الهامس»؟

ـ أنا لا أعرف شيئاً...

تركت أحد معصميه وصفعته على وجهه بقوة، ثم أمسكت بمعصمه، ثم حاولت ان أسحق معصميه، وسألته ثانية:

ـ من قتل «الهامس»؟

قال وهو يئن: دان رولف. تقدم منه وغرس في جسمه السيخ نفسه الذي استخدمه «الهامس» لقتل الفتاة. أؤكد لك ذلك.

ـ وكيف عرفت انه السيخ الذي قتل به «الهامس» الفتاة؟

ـ دان قال ذلك.

ـ وماذا قال له «الهامس»؟

ـ لا شيء. بدا شكله مضحكاً وهو واقف والطرف الآخر من السيخ خارج من جنبه. وفجأة رفع مسدسه وأطلق رصاصتين على دان، وهوى كلاهما على الأرض، وارتطم رأس كل منهما برأس الآخر، وغطت الدماء الضمادات التي تلفّ رأس دان.

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟

ـ لا شيء. حركتهما، ووجدت انهما قد فارقا الحياة. كل كلمة أقولها لك هي الصدق بعينه.

ـ من كان هناك أيضاً؟

ـ لا أحد سواي. كان «الهامس» يتوارى عن الأنظار، وأنا كنت الوسيط بينه وبين رجاله. هو الذي قتل نونان بنفسه، ولم يكن يريد ان يثق بأحد لبضعة أيام، حتى يتبين له ما يدور في الخارج، ولم يضع ثقته إلاّ فيّ.

ـ وهكذا، ولأنك شاب ذكي، اعتقدت انك تستطيع ان تقوم بجولة على أعدائه وتجمع منهم مبلغاً من أجل قتله وهو ميت؟

قال وهو ينتحب: أنا صديق لـ «الهامس»، ولن تكون هذه المدينة مكاناً أميناً بالنسبة لأصدقاء «الهامس» حين ينتشر خبر مقتله. لذلك أنا مضطر لأن أجمع مبلغاً يساعدني على الهرب.

ـ وكم جمعت حتى الآن؟

ـ حصلت على مئة دولار من بيتر وعلى مئة ونصف من بيك موري ـ دفعها بدلاً عن رينو ـ وقد وعداني بمبلغ آخر عند تنفيذ المهمة. وتغير أنينه تدريجياً إلى نبرة متبجحة وهو يضيف: كنت أنوي إقناع ماك غرو بالمساهمة أيضاً، واعتقدت انني سأحصل على مبلغ منك.

ـ يبدو انهم أضاعوا عقولهم كي يدفعوا مالاً على خدعة غبية كهذه.

قال بتعالٍ: لا أعتقد انها فكرة سيئة. ثم استعاد تواضعه وقال: أرجوك يا سيدي، اعطني فرصة. لا تفضح أمري. سأعطيك خمسين دولاراً الآن ونصف ما يعطيني ماك غرو إذا وافقت على التزام الصمت حتى أتمكن من جمع مبلغ مقبول.

ـ هل يعرف أحد غيرك مكان «الهامس»؟

ـ كان دان يعرفه، لكن دان مات.

ـ وأين يوجد «الهامس» ودان؟

ـ في مخزن ريدمان القديم نزولاً في شارع بورتر. في الجهة

الخلفية للمبنى سلم يصعد إلى الطابق الثاني حيث كان لـ «الهامس» غرفة مجهزة بسرير وموقد وبعض المؤن. أعطني فرصة! خمسون دولاراً الآن، وحصة مما أحصل عليه بعد ذلك.

تركت له يده وقلت:

ـ لا أريد المال، لكنني مع ذلك سأتركك تتابع حملتك. سأترك لك ساعتين مجالاً. أعتقد ان هذا الوقت يكفيك.

ـ شكراً، يا سيدي. شكراً، شكراً.

وأسرع يخرج من الغرفة.

ارتديت معطفي واعتمرت قبعتي وخرجت أقصد شارع غرين ومبنى راتلدج. كان المبنى الخشبي بعيداً عن أي رونق كان يتميز به في يوم من الأيام. وكان مكتب السيد تشارلز بروكتر دون في الطابق الثاني. ولا يوجد مصعد في المبنى. فصعدت على درجات السلم الخشبي المتآكلة والمتخلعة.

مكتب المحامي يتألف من غرفتين قذرتين، تفوح منهما روائح منفّرة ولا يدخلهما سوى قدر قليل من الضوء. انتظرت في الغرفة الخارجية فيما حمل اسمي إلى المحامي موظف يتناسب مع هاتين الغرفتين. بعد نصف دقيقة فتح لي الموظف باب غرفة المحامي وأفسح لي المجال بالدخول.

كان السيد تشارلز بروكتر دون رجلاً قصيراً وممتلئاً في الخمسين من عمره تقريباً. له عينان تحدّقان بفضول، لهما شكل مثلث ولونهما باهت، وأنفه قصير وسمين، وفمه مكتنز أيضاً ويغطي جشعه بشكل جزئي شارب رمادي خشن ولحية

قصيرة رمادية وخشنة ولها طرف مستدقّ. كانت ثيابه داكنة وبدت غير نظيفة بدون ان تكون متسخة بالفعل.

لم ينهض عن مقعده، وطوال زيارتي كان يضع يده اليمنى على حافة درج المكتب الذي كان مفتوحاً حوالى ستة انشات.

قال: أهلاً بك يا سيدي العزيز، أنا مسرور جداً لأنك أحسنت التمييز وأدركت أهمية نصيحتي.

كانت نبرة صوته أكثر خطابية مما كانت عليه عبر أسلاك التلفون.

لم أقل شيئاً.

أحنى شاربيه قليلاً. كأن عدم الرد من جانبي كان دليلاً آخر على حسن التمييز عندي، وتابع يقول:

ـ اسمح لي ان أقول لك، وبمنتهى الصدق، انك سوف تجد في التزامك ما تمليه عليك مشورتي قراراً حكيماً لا لُبس فيه. أقول لك هذا، يا سيدي العزيز، بدون تواضع مزيف، لأنني واثق من قدرتي على النهوض بمسؤولياتي، وواثق من تفوّقي في الوقت نفسه، وأقدّر كفاءتي بالقدر المناسب من التواضع بإيمان عميق بالقيم الحقة والثابتة ـ ولماذا أتنازل إلى مستوى أدنى وأحاول إخفاء نزعة حقيقية بالانضمام إلى أولئك الذين يعتبرون ان لهم حقاً في اختيار المراتب المرموقة ويرفضون ان يكونوا عاديين؟ ـ وأنا الرئيس المعترف به بالاجماع لجماعة المحامين في هذه الولاية المزدهرة؟

كان يعرف تعابير كثيرة من هذا النوع، ولم يجد مانعاً من التباهي بها أمامي. وأخيراً وصل إلى ما يلي:

ـ وهكذا، فإن هذا السلوك الذي قد يبدو عند محام يحتل مكانة مرموقة في مجتمعه ـ وأستطيع ان أقول، ليس فقط في المجتمع الصغير الذي يعيش في وسطه ـ يمكنه هذا السلوك إذاً ان يتبوأ مركزاً لا يطاله أي لوم، ويجعله يهتدي بمبادىء مهنته الأخلاقية التي ترفض الاجراءات المبتذلة والتافهة عندما تتسنى لها الفرصة لخدمة الانسانية ككل وذلك من خلال ايجاد حل لمشكلة فرد من الأفراد. لذلك، يا سيدي العزيز، لم أتردد في إزاحة جميع الاعتبارات السخيفة للنظر في أمور أسبق من حيث الزمان والترتيب، واستدعيتك لأقول لك بصراحة وبوضوح، يا سيدي العزيز، انني سأكون أفضل من يستطيع تولي مصالحك إذا اتخذتني وكيلاً قانونياً لك.

سألته: وكم يكلفني ذلك؟

قال بتعالٍ: هذا الأمر ثانوي من حيث الأهمية. وعلى كل حال، هذا التفصيل له مكانته التي يستحق في علاقتنا، ويجب عدم التغاضي عنه أو إهماله. فلنقل اننا نبدأ بألف دولار الآن. وفيما بعد، بدون شك...

وأخذ يعبث بشاربيه ولم ينه جملته.

قلت له انني بالطبع لا أحمل مبلغاً كهذا.

ـ بالطبع، يا سيدي العزيز، بالطبع. لكن ليس لهذا الأمر أدنى أهمية. لا أهمية له على الاطلاق. تستطيع تسديد هذا المبلغ في أي وقت من الآن وحتى العاشرة صباح الغد.

وافقت قائلاً: في العاشرة من صباح الغد.

ـ والآن أريد أن أعرف لماذا أنا محتاج لوكيل قانوني؟

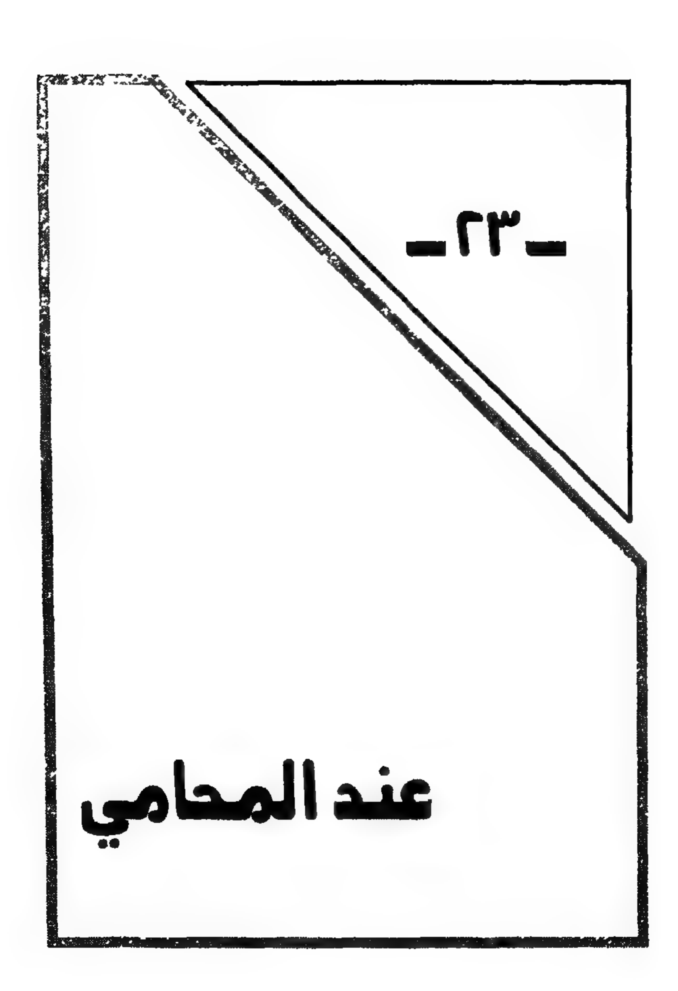
نظر إليّ باستياء وقال: يا سيدي العزيز، أؤكد لك ان هذا الموضوع لا يحتمل المزاح.

شرحت له انني لم أكن أمزح وانني كنت حائراً بالفعل.

بلع ريقه ليجلو صوته، وعبس قليلاً دلالة على أهمية ما يريد قوله، وقال:

ـ من المحتمل، يا سيدي العزيز، انك لا تستوعب تماماً أهمية الخطر الذي يحيط بك، لكن من غير المعقول ان تتوقع مني ان أفترض بأنه ليست لديك حتى فكرة غامضة عن المصاعب القانونية يا سيدي العزيز ـ التي ستجد نفسك مضطراً لمواجهتها، وقد نشأت من الأحداث غير المتوقعة، والتي فرضت نفسها من فترة لا تزيد عن ليلة البارحة، يا سيدي العزيز، ليلة البارحة. على كل حال، ليس لدينا وقت لنخوض في هذا الآن. عندي موعد هام مع القاضي ليغينر. غداً أكون مستعداً للخوض في أبسط التفاصيل معك ـ وأنا أؤكد لك انها عديدة. سأنتظرك في العاشرة من صباح الغد.

وعدته بالمجيء، وخرجت. أمضيت السهرة في غرفتي، وأنا أشرب الويسكي الرديء، وأفكر في أمور مزعجة، وأنتظر تقارير لم تصلني من ميكي أو من ديك. استسلمت للنوم عند منتصف الليل.


-٢٣-
عند المحامي

لم أكن قد انتهيت من ارتداء ملابسي صباح اليوم التالي عندما دخل ديك فولي. وقدم لي تقريراً، باختصاره المعهود للكلمات، مفاده ان بيل كوينت ترك فندق «ماينرز» عند ظهر الأمس ولم يترك أي عنوان.

هناك قطار يتوجه من بيرسون فيل إلى أوغدن عند الثانية عشرة وخمس وثلاثين دقيقة؛ أرسل ديك برقية إلى فرع الوكالة في «سالت لايك» يطالب فيها ارسال رجل إلى أوغدن للبحث عن كوينت.

قلت له: صحيح اننا لا نستطيع ان نتجاهل أي دور في هذه القضية، لكنني لا أعتقد ان كوينت هو الرجل الذي نبحث عنه. دينا براند تخلّت عنه منذ فترة طويلة. لو كان ينوي إيذاءها كان سيحاول ذلك منذ مدة. أعتقد انه حين عرف بمقتلها قرّر ان يبتعد عن الأنظار لأنه عاشق منبوذ وسبق له ان هدّدها.

أحنى ديك رأسه وقال: كان هناك إطلاق نار على الطريق ليلة البارحة. عملية تخريبية. أوقفت أربع شاحنات (محملة بخمرة يتم توزيعها بطريقة غير مشروعة) وأحرقت.

هذا على الأرجح رد رينو ستاركي على الأخبار التي وصلته بأن رجال المهرب الكبير قد أقسموا اليمين لتأليف قوة خاصة من رجال الشرطة.

وصل ميكي لينهان في الوقت الذي كنت فيه قد انتهيت من ارتداء ملابسي. وقال:

ـ كان دان رولف في البيت فعلاً. شاهده اليوناني صاحب محل البقالة عند زاوية الشارع، وهو خارج من البيت حوالى التاسعة من صباح الأمس. كان يمشي في الشارع نزولاً وهو يتمايل ويكلّم نفسه. ظن البقال اليوناني انه سكران.

ـ ولماذا لم يتصل البقال اليوناني بالشرطة؟ أم انه فعل ذلك؟

ـ لم يسأله أحد. هذه المدينة عندها مركز شرطة هائل. ماذا علينا ان نفعل: نجده ونسلمه لهم ونقوم عنهم بواجباتهم؟

قلت له: ماك غرو قرّر ان «الهامس» هو الذي قتلها، وهو لا يريد ازعاج نفسه بأية أدلة لا تقود في الاتجاه الذي حدده. لا يبدو ان رولف هو القاتل، إلاّ إذا كان رجع فيما بعد ليأخذ معول الثلج. وقعت الجريمة عند الثالثة صباحاً، ورولف لم يدخل البيت عند الثامنة والنصف، ومعول الثلج كان لا يزال منغرساً في ثديها. كان...

تقدم نحوي ديك فولي ووقف أمامي مباشرة وسألني:

ـ وكيف عرفت ذلك؟

لم تعجبني نظرته ولم يعجبني أسلوبه في طرح السؤال. فقلت له:

ـ أنت تعرف ذلك الآن لأنني أقوله لك.

لم يعلّق ديك على كلامي، فيما ابتسم ميكي ابتسامته البلهاء وسألني:

ـ إلى أين نتوجه الآن؟ نريد ان ننتهي من هذه القضية.

قلت لهما: عندي موعد في العاشرة. انتظراني في الفندق ريثما أعود. «الهامس» ورولف فارقا الحياة على الأرجح إنتهينا من مطاردتهما. ثم عبست في ديك وقلت له: هذا الخبر وصلني، وأنا لم أقتل أي واحد منهما.

أحنى الكندي القصير رأسه دون ان يخفض عينيه.

تناولت الفطور وحدي، وانطلقت إلى مكتب المحامي.

فيما كنت انعطف تاركاً شارع كينغ، رأيت وجه هانك أومارا المليء بالنمش، وكان هانك يقود سيارة تتجه صعوداً في شارع غرين. كان يجلس بجواره رجل لا أعرفه. لوّح لي الشاب ذو الساقين الطويلتين وأوقف السيارة. اقتربت منه.

قال: رينو يريد مقابلتك.

ـ أين أجده؟

ـ تعال معنا الآن.

ـ لا أستطيع ان أذهب الآن. ولن أتمكن من مقابلته إلاّ بعد الظهر في أغلب الظن.

ـ إذهب إلى بيك حين تقرّر.

قلت له انني سأفعل ذلك، وانطلقت السيارة صعوداً في شارع غرين. مشيت قليلاً إلى الجنوب من مبنى راتليدج.

وضعت قدمي على أول درجة في السلم القديم الذي يقود إلى مكتب المحامي، ثم توقفت لأنظر إلى حذاء لفت انتباهي.

كان الحذاء في ركن معتم من الطابق الأرضي، وكان وضعه يدل على انه ليس فارغاً.

أنزلت قدمي عن السلم وتوجهت نحو الحذاء. صار بإمكاني ان أرى كاحل قدم وثنية بنطلون أسود فوق الحذاء.

بدأت أتهيأ لرؤيته ما وجدت.

وجدت السيد تشارلز بروكتر دون جاثماً بين مكنستين وممسحة ودلو، في فجوة صغيرة بين السلم وزاوية في الجدار. كانت لحيته المستدقة الطرف حمراء من الدماء التي سالت من جرح يقطع جبينه بشكل منحرف. كان رأسه يميل إلى جنبه وإلى الوراء بطريقة لا يمكن تنفيذها إلاّ بواسطة رقبة مكسورة.

ردّدت في سري قول نونان: ما يجب ان نفعله يجب ان نفعله، وبحذر شديد حاولت إبعاد جنب معطف القتيل عن الجثة، ثم أفرغت محتويات جيبه الداخلي. ووضعت في جيبي دفتراً أسود ومجموعة من الأوراق. في جيبين آخرين في معطفه لم أجد شيئاً يهمّني. لم أكن أستطيع الوصول إلى سائر الجيوب دون تحريك الجثة، وأنا لم أكن أرغب في ذلك.

بعد حوالى خمس دقائق رجعت إلى الفندق، ودخلت من باب جانبي لأتحاشى لقاء ديك وميكي في القاعة. صعدت إلى شرفة ومنها طلبت المصعد.

جلست في غرفتي لأتفحص ما غنمته.

تناولت الدفتر أولاً، وكان دفتر ملاحظات صغيراً له غلاف من الجلد غير الطبيعي، وهو من النوع الذي يسهل العثور عليه في أية مكتبة بسعر زهيد. قرأت فيه بعض الملاحظات التي لم أجد لها معنى، وكان يضم أيضاً لائحة من حوالى ثلاثين اسماً

مع العناوين، ولم أجد ما يلفت الانتباه أيضاً، ما عدا الاسم التالي:

هيلين آلبري.

١٢٢٩ أ. شارع هاريكاين.

يبدو هذا مهماً، أولاً لأن شاباً يدعى روبرت آلبري كان مسجوناً بعد اعترافه بأنه أطلق النار على دونالد ويلسون وأرداه قتيلاً وهو في نوبة غيرة أثارها شعوره بأن ويلسون كان على علاقة طيبة وناجحة بدينا براند؛ وثانياً لأن بيت دينا براند، حيث كانت تعيش وحيث قتلت، رقمه ١٢٣٢ شارع هاريكاين أي في الجهة المقابلة من الرقم ١٢٢٩ أ.

لم أجد اسمي مدوّنا في الدفتر.

وضعت الدفتر جانباً وبدأت أتصفّح واقرأ الأوراق التي وجدتها معه. وبالنسبة لهذه الأوراق أيضاً لم أجد ما يعنيني إلّا بعد اطلاعي على معظمها.

وجدت مجموعة من أربع رسائل يحيط بها رباط من المطاط. كل رسالة كانت في مغلف له شق طولي، وعلى كل مغلّف ختم البريد الذي يدل على ان اسبوعاً يفصل بين الرسالة والأخرى، وكانت جميعها مرسلة إلى دينا براند.

الرسالة الأولى - أو بالأحرى الأقدم بين هذه المجموعة - كانت رسالة غرامية معقولة. الثانية تدل على شيء من البلاهة. والثالثة والرابعة يمكن اعتبارهما نموذجيتين عن درجة الغباء التي يصل إليها العاشق الولهان والفاشل في حبه، خاصة إذا كان متقدماً في السن. والرسائل الأربع كانت تحمل توقيع أليهو ويلسون.

لم أعترض على شيء يوضح لي لماذا فكّر السيد تشارلز بروكتر دون انه يستطيع ان يبتزني ويتقاضى مني مبلغ ألف دولار، لكنني وجدت ما يشغل تفكيري في ناحية أخرى.

تناولت كأسين حتى أنشّط دماغي، ونزلت إلى قاعة الانتظار.

قلت لميكي: أريدك ان تجمع لي قدراً من المعلومات حول محام يدعى تشارلز بروكتر دون. مكتبه في شارع غرين. لا تقترب من مكتبه. لا تضيّع وقتاً طويلاً في التحري عنه. أريد خطوطاً عريضة وسريعة.

وطلبت من ديك ان يلحق بي بعد مغادرتي للفندق بخمس دقائق إلى شارع هاريكاين. في جوار الرقم ١٢٢٩ أ في الطابق الثاني من مبنى يتألف من طبقتين ويكاد يكون مقابل بيت دينا تماماً. كان الطابق مقسوماً إلى شقتين ولكل منهما مدخل خاص. قرعت جرس الشقة التي أريد.

فتحت لي الباب فتاة نحيلة في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ولها عينان سوداوان متقاربتان، وبشرة وجهها تميل إلى الاصفرار اللماع، وشعرها بني وقصير وبدا مبلّلاً.

حين فتحت الباب خافت وأصدرت صوتاً كأنها اختنقت بشيء عالق في حنجرتها، وابتعدت مباشرة عني واضعة يديها على فمها.

سألتها: الآنسة هيلين آلبري؟

هزّت رأسها بعنف من جانب إلى آخر. لم تكن صادقة في ذلك. عيناها كشفتا عن شدة اضطرابها.

قلت لها: أود ان أدخل لأتحدث معك لبضع دقائق ودخلت فيما كنت أقول ذلك، وأغلقت الباب خلفي.

لم تقل شيئاً. صعدت السلم أمامي وهي تلتفت إلى الوراء قليلاً بحيث تستطيع مراقبتي بعينيها الخائفتين.

وصلنا إلى غرفة جلوس فيها القليل من الأثاث. من الممكن رؤية بيت دينا من النوافذ.

وقفت الفتاة وسط الغرفة ويداها على فمها.

أضعت الكثير من الوقت والكلام محاولاً إقناعها انني لا أريد إيذاءها. لم يجد ذلك نفعاً. كل كلمة قلتها كانت تزيد في ذعرها. كان الوضع مزعجاً للغاية. أقلعت عن المحاولة وبدأت الكلام الجدي.

سألتها: هل أنت أخت روبرت آلبري؟

لم تردّ، ولم تتحرك ملامح وجهها التي حافظت على استسلامها للخوف الأبله.

قلت: بعد القبض عليه بتهمة قتل دونالد ويلسون، جئت إلى شقته لكي تراقبيها. لماذا؟

لم تقل شيئاً. وجدت نفسي مضطراً للاجابة بنفسي:

ـ من أجل الانتقام منها. كنت تضعين اللوم على دينا براند وتحملينها مسؤولية وقوع أخيك في المشاكل. بدأت تراقبينها حتى تسنح الفرصة المناسبة. وأتت الفرصة المناسبة ليلة البارحة. أنت دخلت إلى بيتها خلسة وطعنتها بمعول الثلج الذي وجدته هناك.

لم تقل شيئاً. لم أنجح في محو الدهشة عن وجهها المذعور. قلت:

ـ دون ساعدك وخطط لك. كان يريد رسائل أليهو ويلسون. من هو الرجل الذي كلفه العجوز بإحضار الرسائل والذي قتل دينا؟ من هو؟

لم أحصل على أي رد، ولم يطرأ تغيير على ملامحها ولا على تعابير وجهها. لا شيء. استحوذت عليّ الرغبة بصفعها.

قلت لها: إنني أعطيك الفرصة كي تتكلمي. أنا أرغب في الاستماع إلى وجهة نظرك في هذه القضية لكن، افعلي ما يحلو لك..

واختارت ان تلزم جانب الصمت. أقلعت عن متابعة محاولاتي. بدأت أخاف منها؛ خفت ان تحاول الكلام بعمل أكثر جنوناً من الصمت إذا مارست عليها المزيد من الضغط. خرجت من الشقة وأنا غير متأكد انها فهمت كلمة واحدة مما قلت.

عند زاوية الشارع التقيت بديك فولي وقلت له:

ـ في هذه الشقة فتاة في الثامنة عشرة تدعى هيلين آلبري، وهي طويلة ونحيلة، ووزنها ليس أكثر من مئة باوند، هذا إذا كانت تزن هذا القدر. عيناها متقاربتان وبنيتان، وبشرتها تميل إلي الاصفرار، ولها شعر بني قصير وأملس وترتدي بدلة رمادية الآن. اتبعها حيث تذهب. إذا حاولت ان تتهجم عليك اسجنها. كن حذراً ـ انها مجنونة مثل بقّة الفراش.

توجهت إلى صالة بيك موري، كي أعرف منه مكان رينو وماذا يريد مني. أبطأت الخطى على مسافة قريبة من هدفي

وتوقفت في مدخل أحد المباني لألقي نظرة متفحصة على الشارع من حولي.

رأيت سيارة كبيرة ومقفلة للشرطة متوقفة أمام صالة موري. وكان رجال الشرطة منهمكين في نقل الرجال من الصالة إلى السيارة، وكانوا يكتفون بقيادة البعض أو يلجأون إلى جرّ أو حمل البعض الآخر.

ولم يكن يبدو على الرجال الذين ينفذون العملية بالاقتياد أو بالجرّ أو بالحمل، انهم من رجال الشرطة الشرعيين. أغلب الظن انهم من جماعة بيتر الفنلندي، الذين يشكلون الآن فرقة خاصة من رجال الشرطة. يبدو ان بيتر، بمساعدة ماك غرو، كان ينفذ تهديده بشن حرب على «الهامس» وعلى رينو.

وبعد قليل وصلت سيارة اسعاف، وبعد ان امتلأت بالموقوفين انطلقت في طريقها. كنت على مسافة لم تمكنني من التعرّف إلى أحد. وحين لاحظت ان الهدوء بدأ يعم الشارع ثانية عدت إلى الفندق.

وجدت ميكي لينهان ينتظرني ومعه معلومات عن السيد تشارلز بروكتر دون.

ـ إنه الرجل الذي تقال عنه الدعابة: هل هو محام في الاجرام؟... أجل، إلى حد كبير. بعض أفراد عائلة الشاب آلبري وكّلوا المحامي دون للدفاع عنه. رفض آلبري التعاون معه حين جاء لمقابلته. هذا المحامي الثلاثي الاسم والذي يلجأ إلى أساليب ملتوية ومشبوهة تورّط في السنة الماضية في قضية ابتزاز، مشكلة لها علاقة بكاهن يدعى هيل، لكنه تمكن من

انقاذ نفسه بصعوبة. عنده ملكية في شارع ليبرت، ولا أعرف أين هو بالتحديد. هل تريدني أن أتابع تحرياتي؟

ـ هذا يكفي. سوف نبقى هنا حتى يصل ديك.

تثاءب ميكي وقال انه لا يمانع في ذلك، وهو لا يحب كثرة الحركة من أجل تنشيط الحركة الدموية في جسمه، وسألني ما إذا كنت أعرف اننا بدأنا نصبح مشهورين على صعيد الوطن كله.

سألته ماذا يعني بقوله هذا.

قال: التقيت منذ قليل بتومي روبينز، لقد أرسلته وكالة الصحافة الموحدة لتغطية الأحداث في البلدة. وقال لي ان وكالات أنباء غيرها بالاضافة إلى صحيفتين كبيرتين سوف تكلف مراسلين لها بنقل تفاصيل المشكلات التي نعاني منها.

أردت ان أعلّق على هذا الأمر تعليقاً محبباً إليّ هو: «ان الصحافة لا تجيد سوى تشويش الأمور وخلطها بحيث لا يعود بإمكان أحد ان يفهمها» لكنني سمعت صبياً ينادي اسمي بصوت مرتفع. أعطيته عشرة سنتات فقال لي انني مطلوب على التلفون.

قال ديك فولي: خرجت بعدك بقليل. توجهت إلى شارع غرين رقم ٣١٠. المنطقة تعجّ برجال الشرطة. قتل المحامي الجنائي دون. اصطحبها رجال الشرطة إلى المركز.

ـ هل هي موجودة هناك الآن؟

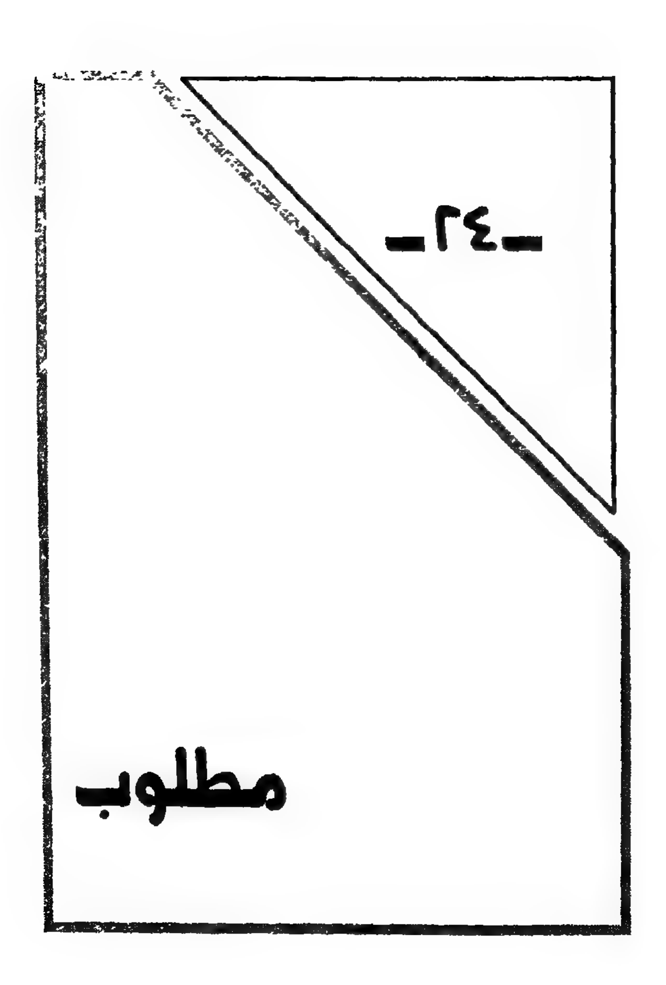
ـ أجل، في مكتب القائد.

ـ إلزم مكانك وعند حصولك على أية معلومات اتصل بي مباشرة.

عدت إلى ميكي لينهان وأعطيته مفتاح غرفتي وتعليماتي:

ـ لا تغادر غرفتي؛ عليك ان تتلقى كافة المعلومات التي تصلني وتحاول اطلاعي عليها. سأنزل في فندق شانون الذي يقع عند ناصية الشارع، باسم ج .و . كلارك. تستطيع ان تقول ذلك لديك فقط.

سألني ميكي: ما الأمر؟ لكنني لم أجب فتوجّه نحو المصعد وكان يمشي وكأن مفاصله مخلّعة.


-٢٤-
مطلوب

قصدت فندق شانون وسجلت اسمي المزوّر، ودفعت إيجار اليوم وأخذني الحاجب إلى غرفة رقم ٣٢١.

مضت ساعة قبل ان يرنّ جرس الهاتف.

قال ديك فولي انه سيحضر بعد قليل.

وصل بعد خمس دقائق. لم يكن وجهه النحيل والمهموم ودياً. ولم يكن صوته ودّياً أيضاً. قال:

ـ صدرت مذكرة توقيف بحقك. بتهمة القتل. جريمتان ـ براند ودون. اتصلت بميكي فقال لي انه لن يغادر الغرفة. وأخبرني عن وجودك هنا. ألقى رجال الشرطة القبض عليه انهم يستجوبونه الآن.

ـ كنت أتوقع ذلك.

قال بحدة: وأنا أيضاً.

قلت له وأنا أتشدّق بالكلمات:

ـ أنت تعتقد انني قتلتهما فعلاً، أليس كذلك يا ديك؟

ـ إذا كنت لم تفعل، فهذا هو الوقت المناسب لتعلن ذلك.

سألته: هل ستوجه الاتهام إليّ؟

شدّ شفتيه يزمّهما وتحول لونه من الأسمر إلى الأصفر البرتقالي.

قلت له: عُد إلى سان فرنسيسكو يا ديك. عندي ما يكفيني من المتاعب ولا وقت عندي كي أتفرّغ لمراقبتك.

وضع قبعته على رأسه بتأن شديد، وبتأنٍّ شديد أيضاً أغلق الباب خلفه وخرج.

في الرابعة بعد الظهر طلبت من غرفتي غداء وعلبة سجائر وصحيفة «الهيرالد» المسائية.

تقاسم الصفحة الأولى من «الهيرالد» خبران، مقتل دينا براند، ومقتل تشارلز بروكتر دون، وصلة الوصل بينهما كانت هيلين آلبري.

قرأت ان هيلين آلبري هي أخت روبرت آلبري، وانها كانت بالرغم من اعترافه مقتنعة تماماً ان أخاها ليس مذنباً، بل هو ضحية لمؤامرة. اتصلت بالمحامي تشارلز بروكتر دون ليدافع عنه. (أعتقد ان المرحوم تشارلز بروكتر هو الذي اتصل بها والعكس ليس صحيحاً). رفض الأخ توكيل دون أو أي محام آخر، لكن الفتاة (وكانت تتلقى التشجيع الكافي من دون بلا ريب) لم تتخل عن المعركة.

وجدت شقة للايجار مقابل بيت دينا براند، فاستأجرتها وزوّدت نفسها بمنظار ميدان، وكانت تستحوذ على تفكيرها فكرة واحدة: ان تثبت ان دينا وشركاءها لهم علاقة بحادثة قتل دونالد ويلسون.

يبدو انني كنت واحداً من هؤلاء الشركاء. وصفتني الصحيفة بأنني: رجل يدّعي انه مفتش خصوصي من سان

فرنسيسكو، مضى على وجوده في المدينة بضعة أيام، ويبدو على علاقة طيبة بـ ماكس (الهامس) تايلر، ودانيال رولف، وأوليفر (رينو) ستاركي، ودينا براند. ونحن الذين خططنا لإلصاق تهمة القتل بروبرت آلبري.

في الليلة التي قتلت فيها دينا، رأت هيلين آلبري وهي تقوم بالمراقبة من نافذتها أموراً تعتبرها الصحيفة في غاية الأهمية عند النظر إليها على انها مرتبطة بالعثور على دينا براند جثة هامدة. حين عرفت الفتاة بالجريمة، حملت ما لديها من معلومات هامة إلى تشارلز بروكتر دون. وهو، كما عرف رجال الشرطة من الموظفين في مكتبه، أرسل في طلبي في الحال، واجتمع بي بعد ظهر ذلك اليوم. وقال لموظفيه فيما بعد انني سأعود صباح الغد عند الساعة العاشرة. في ذلك الصباح لم أحضر إلى المكتب حسب الموعد. وفي الساعة العاشرة وخمس وعشرين دقيقة عثر بوّاب مبنى راتليدج على جثة القتيل تشارلز بروكتر دون في زاوية خلف السلم. ويبدو ان أوراقاً هامة سرقت من جيوب القتيل.

وتدّعي الصحيفة انني كنت في شقة هيلين آلبري في الوقت الذي عثر فيه البواب على جثة المحامي، وتقول انني اقتحمت عليها الشقة وانني هدّدتها. نجحت هيلين في طردي من الشقة وأسرعت إلى مكتب دون ووصلت إلى هناك بعد وصول رجال الشرطة فأخبرتهم بما لديها. أرسل المحقّق بعض الرجال إلى فندقي لكنهم لم يعثروا عليّ هناك، ووجدوا في غرفتي المدعو مايكل لينهان، والذي عرّف عن نفسه أيضاً انه مفتش خصوصي من سان فرنسيسكو. لا يزال مايكل لينهان يخضع

للاستجواب في مركز الشرطة. وأنا و «الهامس» ورينو ورولف مطلوبون بتهمة القتل. ومن المتوقع حدوث تطورات هامة.

في الصفحة الثانية خبر مهم احتل نصف عمود. الشرطيان شيب وفانامان، اللذان عثرا على جثة دينا براند، اختفيا بشكل غامض. وتخشى الصحيفة ان يكون الخلاف بدأ ينشب بيننا نحن «الشركاء».

لم تذكر الصحيفة شيئاً حول عملية السطو التي تمت ليلة البارحة، ولا حول الحملة التي شُنت على صالة بيك موري.

خرجت في الظلام أريد الاتصال برينو، من أحد المتاجر اتصلت بصالة البليارد التي يمتلكها بيك موري.

سألت: هل بيك موجود؟

ـ بيك يتكلم قال لي صوت لم يكن يشبه صوت بيك على الاطلاق، وأضاف: من يريدني؟

قلت له بامتعاض: ليليان غيش ووضعت السماعة، وابتعدت عن المكان.

تخليت عن فكرة لقاء رينو وقررت ان أزور موكّلي، العجوز أليهو، وأحاول ان أرغمه على ان ينتهج معي سلوكاً مقبولاً بواسطة الرسائل الغرامية التي كتبها إلى دينا براند، والتي سرقتها من جيب معطف دون.

مشيت وأنا التزم الجانب الأكثر ظلاماً في الشوارع المعتمة. كانت المسافة طويلة نسبياً بالنسبة لرجل يهزأ بالتمارين الرياضية. حين وصلت إلى بيت ويلسون كان مزاجي سيئاً ولم

أكن في الحالة التي تفرضها مقابلة رجل كهذا. لكن مقابلتي له تأخرت قليلاً.

على مسافة قريبة من البيت سمعت صوتاً يناديني هامساً.

أعتقد انني لم أقفز عشرين قدماً.

قال الصوت: لا تخف.

كان الظلام حالكاً. وجدت نفسي على يدي وعلى ركبتي في حديقة أحد البيوت، أخذت أسترق النظر من بين أغصان الشجيرة التي اختبأت وراءها، رأيت رجلاً جاثماً بالقرب من السور، في الجهة التي كنت فيها.

صار مسدسي في يدي الآن، لم أجد سبباً يجعلني لا أصدقه حين طلب مني ألاّ أخاف.

وقفت ومشيت نحوه. وحين اقتربت منه عرفت انه أحد الرجال الذين ساعدوني على الدخول إلى المنزل في شارع روني البارحة. جلست على الأرض بجانبه وسألته:

ـ أين أجد رينو؟ قال لي هانك اومارا ان رينو يريدني ان أذهب إليه.

ـ إنه يريد ذلك فعلاً. هل تعرف أين يوجد بيت كيد ماكلويد؟

ـ لا.

ـ إنه في شارع مارتن فوق محمل كينغ، عند زاوية الزقاق. اسأل عن كيد. عد إلى الوراء في هذا الاتجاه بعد ان تقطع ثلاثة مبانٍ، ثم تنزل في الشارع. لن تضيع.

قلت له انني سأحاول جاهداً ألاّ أضيع، وتركته مختبئاً خلف

السور يراقب منزل موكلي ينتظر، كما أظن، الفرصة السانحة لكي يطلق النار على بيتر الفنلندي أو «الهامس» أو أي من أعداء رينو الذين قد يزورون العجوز أليهو.

سرت حسب التعليمات ووصلت إلى مؤسسة تجارية للمرطبات والمشروبات الروحية، وكان مبنى المؤسسة مكسواً بطبقة من الطلاء الأحمر والأصفر. سألت في الداخل عن كيد ماكلويد. فأخذت إلى غرفة خلفية حيث وجدت رجلاً سميناً يرتدي قميصاً ذا ياقة متسخة وله العديد من الأسنان الذهبية وأذن واحدة وأقرّ بأنه هو ماكلويد.

قلت له: رينو أرسل في طلبي. أين أستطيع ان أجده؟

سألني: ومن تكون؟

أجبت على سؤاله. خرج دون ان يقول شيئاً انتظرت عشر دقائق. رجع برفقة صبي في الخامسة عشرة من عمره تقريباً، ملامحه خالية من التعبير ووجهه متورّد وبشرته مليئة بالبثور.

قال لي كيد مالكلويد: اذهب برفقة صوني.

تبعت الصبي وخرجت وراءه من باب خلفي قطعنا مسافة في الشارع الخلفي واجتزنا فسحة من الأرض الرملية، ثم دخلنا في بوابة متخلّعة ووصلنا إلى باب خلفي لمبنى خشبي الهيكل.

طرق الصبي الباب فسأله رجل من الداخل من يكون.

أجاب: صوني ومعي رجل أرسله كيد.

فتح لنا الباب أومارا الطويل الساقين. عاد صوني من حيث أتى. دخلت إلى المطبخ حيث وجدت رينو ستاركي ومعه أربعة رجال يجلسون إلى طاولة عليها العديد من زجاجات

البيرة. لاحظت ان مسدسين كانا معلقين فوق باب المطبخ. وجودهما في هذا المكان من باب الاحتياط، قد يفتح أحد الرجال الباب ويفاجأ بعدوّ يصوّب عليه مسدسه ويطلب منه رفع يديه.

ملأ لي رينو كأساً من البيرة واقتادني عبر غرفة الطعام إلى غرفة جلوس في الجهة الأمامية من البيت. كان أحد الرجال مستلقياً على بطنه وعينه على شقّ بين آخر الستارة المسدلة وحافة النافذة، وكان يراقب الشارع أمام البيت.

قال له رينو: إذهب وتناول كأساً من البيرة.

نهض الرجل وترك الغرفة. جلسنا في مقعدين متجاورين.

قال لي رينو: عندما دبّرت لك حجة انك كنت في تانر، قلت لك انني فعلت ذلك لأنني سأحتاج إلى أكبر عدد ممكن من الأصدقاء.

ـ وقد حصلت على صديق.

سألني: هل كشفت هذه الحجة؟

ـ لم أفعل ذلك بعد.

قال واثقاً: إنها حجة متماسكة ومقنعة، إلاّ إذا كانوا متحاملين ضدك. هل تعتقد ذلك؟

كنت أعتقد ذلك فعلاً.

قلت له: لا. يبدو ان ماك غرو عنده ميل للعب في هذه الفترة. وهذا الوضع لن يطول. وكيف حالك أنت؟

أفرغ الكأس في جوفه، ومسح فمه بظاهر يده وقال:

ـ سأنجح في النهاية. لهذا السبب أردت رؤيتك. صارت

الأوضاع كما يلي: بيتر تحالف مع ماك غرو. وهذا يجعل من رجال الشرطة ورجال بيتر فريقاً واحداً ضدي وضد «الهامس». لكن، اللعنة! أنا و «الهامس» منشغلان بخلافاتنا التي لن تؤدي بالطبع إلى تحالفنا. وهذا الأمر خطير، لأن الآخرين سوف يقضون علينا ونحن نتصارع فيما بيننا.

قلت له انني أرى ذلك أيضاً. تابع يقول:

ـ «الهامس» يستمع لك. هل تستطيع ان تتحدث إليه؟ أريدك ان تنقل إليه اقتراحي بأن نتناسى خلافاتنا لبضعة أيام؛ هو يريد التخلص مني انتقاماً لجيري هوبر، وأنا أحاول الوصول إليه أولاً. أنا لا أطلب ان يثق أحدنا بالآخر، و «الهامس» على كل حال لا يضع ثقته في أحد. قل له انه يستطيع ان يرسل رجالاً من عنده، وأنا سأفعل ذلك أيضاً. نحن نريد ان نجمع الرجال للقضاء على التحالف المعادي لنا. نخوض المعركة معاً، ونتخلص من الفنلندي اللعين، وبعد ذلك سيكون أمامنا متسع من الوقت لتبادل إطلاق النار فيما بيننا.

ـ قل له الحقيقة بصراحة لأنني لا أريده ان يفكر انني أعدّ خطة لخوض معركة ضده الآن. انقل له رأيي بأننا إذا تخلصنا من بيتر سنجد المجال مفتوحاً أمامنا لمتابعة نزاعنا.

بيتر متمركز الآن في ويسكي تاون، وليس عندي العدد الكافي من الرجال لكي أشن هجوماً عليه وأخرجه من هناك. ورجال «الهامس» لا يستطيعون القيام بهذه المهمة أيضاً. إذا جمعنا الرجال سوف نتمكن منه. قل له ذلك.

قلت له: «الهامس» مات.

قال رينو: هل هذا صحيح؟ وكأنه ظن الخبر غير صحيح!

ـ قتله دان رولف صباح البارحة، في مخزن ريدمان القديم؛ طعنه بمعول الثلج الذي استخدمه «الهامس» لقتل الفتاة.

سألني رينو: هل أنت واثق مما تقول؟ أم انك تحاول ان تستبق الأمور؟

ـ أنا واثق من ذلك!

ـ لكن لا أحد من رجاله يتصرف على هذا الأساس.

قال ذلك لكنه بدأ يصدق ما قلته.

ـ إنهم لا يعرفون. كان «الهامس» يتوارى عن الأنظار، وكان تيد رايت الوحيد الذي يعرف مكانه. تيد يعرف انه مات وهو يحاول جمع مبلغ من المال من أعدائه. قال لي انه حصل منك على مئة دولار أو على مئة وخمسين دولاراً وذلك عبر بيك موري.

ـ كنت سأعطي هذا المحتال ضعف هذا المبلغ لو انه صارحني بالحقيقة.

قال رينو ذلك متذمّراً، وفرك ذقنه وأضاف: حسناً، يبدو ان خطتنا مع «الهامس» فشلت.

قلت له: لا.

ـ ماذا تقصد بقولك لا؟

ـ إذا كان رجاله لا يعرفون مخبأه، دعنا نقترح عليهم مخبأ آخر. حين كان نونان يسجن «الهامس» قام رجال «الهامس» بتفجير السجن من أجل انقاذه. ألا تعتقد انهم سيحاولون القيام بهذه العملية مرة ثانية إذا نشرنا الخبر ان ماك غرو تمكن من اعتقال «الهامس» بصورة سرية؟

قال رينو: تابع كلامك.

- إذا حاول رجاله اقتحام السجن ثانية لاعتقادهم انه موجود في الداخل، سوف ينشغل رجال الشرطة بالإضافة إلى الفرقة الخاصة من رجال بيتر في محاولة صدّ هذا الهجوم. وفيما يكون الجميع منشغلين هناك تستطيع ان تجرّب حظك في ويسكي تاون.

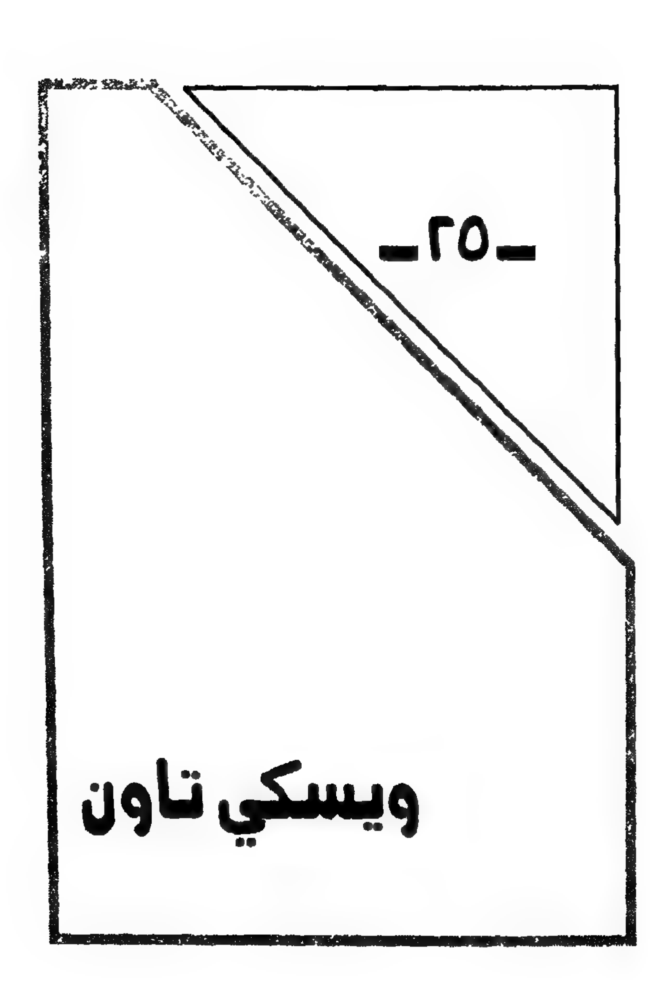
قال بيطء: ربما... ربما نقوم بهذه التجربة.

قلت أحاول تشجيعه وأنا أقف: يجب ان تنجح. أراك فيما بعد...

- إبق معنا. هذا المكان مخبأ جيد إذا كنت مطارداً. ونحن نحتاج لرجل مثلك بيننا.

لم يعجبني اقتراحه، لكنني أعرف انه لا يجدر بي ان أقول له ذلك. جلست ثانية بناء على طلبه.

بدأ رينو مباشرة في تدبير مسألة نشر الإشاعة. أنهك الرجال جهاز التلفون بمخابراتهم المتواصلة. وباب المطبخ كان يفتح ويغلق طوال الوقت، والرجال يدخلون ويخرجون، حتى اجتمع حشد كبير منهم في الداخل وامتلأت الغرفة بالدخان وساد جو من التوتر فيها.


-٢٥-
ويسكي تاون

عند الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، وضع رينو سماعة التلفون بعد ان انتهى من مكالمة وقال: سنقوم بجولة الآن.

صعد إلى الطابق الثاني، وحين نزل كان يحمل في يده حقيبة سوداء. كان معظم الرجال قد خرجوا من باب المطبخ الخلفي.

أعطاني رينو الحقيبة وقال:

ـ لا تحركها كثيراً.

كانت ثقيلة.

خرجت بين مجموعة من سبعة رجال من الباب الرئيسي وصعدنا في سيارة سياحية تتسع لخمسة ركاب نوافذها مغطاة بالستائر، وكان أومارا يقودها. جلس رينو إلى جانب أومارا، فيما صعدت مع الآخرين إلى المقعد الخلفي والحقيبة كانت محشورة بين رجليّ.

خرجت سيارة أخرى من شارع فرعي لتنطلق أمامنا، وكانت سيارة ثالثة تلحق بنا. كانت سرعة السيارات لا تتجاوز

الأربعين ميلاً في الساعة، وهذه سرعة كافية للوصول إلى هدفنا وليست بالسرعة الكبيرة التي تلفت الأنظار.

كنا في المرحلة الأخيرة من رحلتنا ولم نكن قد تعرّضنا لأية مضايقات.

بدأت الأحداث حين وصلنا إلى مجموعة من المباني ذات الطابق الواحد والتي تشبه الأكواخ في شكلها، وتقع في الجهة الجنوبية للمدينة.

مدّ رجل رأسه من أحد الأبواب ووضع أصابعه في فمه وصفّر صفيراً حاداً.

قام أحد الرجال من السيارة التي تتبعنا بإطلاق النار عليه.

عند زاوية الشارع واجهنا سيل من الطلقات النارية.

إلتفت رينو إليّ وقال:

- إذا أصابت الطلقات الحقيبة سنصل جميعاً إلى القمر. إفتحها واستعد لأن علينا ان نتحرك بسرعة حين نصل إليهم.

كنت قد فتحت أقفال الحقيبة حين توقفت السيارة قرب الرصيف أمام مبنى معتم يتألف من ثلاث طبقات وهو مشيد بالآجر.

بدأ الرجال يمدون أيديهم ليفتحوا الحقيبة ويأخذوا منها قنابل مصنّعة بواسطة مقاطع قصيرة من أنابيب قطرها إنشان، وهي موضّبة داخل الحقيبة على طبقة من نشارة الخشب.

اخترق الرصاص النوافذ واقتطع نتفاً من الستائر.

مد رينو يده يتناول قنبلة وقفز إلى الرصيف دون ان يهتم

بخيط الدم الذي ظهر فجأة وسط خدّه الأيسر، ورمى بقطعة الأنبوب المحشوة إلى باب المبنى.

بعد الانفجار المدوّي تعالت ألسنة النيران. وانهمرت علينا بقايا كثيرة فيما كنا نحاول جاهدين ان نحمي أنفسنا كي لا نصاب بأذى من الارتجاج العنيف. وبعد قليل رأينا ان الباب لم يعد موجوداً.

تقدم أحد الرجال بسرعة وألقى بقنبلة إلى الداخل. تساقطت نوافذ الطابق السفلي ثم اشتعلت النيران وتطاير الزجاج في كل اتجاه.

كانت السيارة التي تتبعنا قد توقفت في أعلى الشارع ويتبادل ركابها إطلاق النار مع الجوار. والسيارة التي تتقدمنا توقفت في شارع فرعي. وحين سمعنا طلقات نارية من الجهة الخلفية للمبنى، بين الانفجار والآخر، عرفنا ان السيارة كانت تسيطر على الباب الخلفي.

كان أومارا واقفاً وسط الشارع، انحنى إلى الوراء قليلاً وألقى قنبلة على سطح المبنى. لم تنفجر. رفع أومارا رجله عالياً في الهواء، ثم أمسك برقبته وهوى بقوة على الأرض.

سقط رجل آخر من المجموعة من الطلقات التي كانت تنهمر علينا من مبنى خشبي إلى جانب مبنى الآجر.

أخذ رينو يسبّ ويلعن وقال: احرقهم يا فات.

بصق فات على قنبلة وركض وراء السيارة ولوّح بيده.

وجدنا أنفسنا على الرصيف والشظايا تتطاير فوقنا ورأينا ان

البيت تلقى ضربة مباشرة وبدأت ألسنة النيران تعلو عند أطرافه المتصدعة.

ـ هل عندنا المزيد من القنابل؟ سأل رينو فيما أخذنا نتلفت حولنا ونستمتع بأننا لم نعد هدفاً لاطلاق النار.

قال فات وهو يحمل قنبلة: هذه آخر واحدة.

كانت النار مشتعلة في نوافذ الطابق الثاني. نظر إليها رينو وأخذ القنبلة من فات وقال: فلنبتعد قليلاً، سوف يخرجون الآن.

ابتعدنا عن الرصيف. سمعنا صوتاً في الداخل يصرخ: رينو!

احتمى رينو بالسيارة قبل ان يرد عليه:

ـ ماذا تريد؟

قال الرجل بصوت أجش: لقد انتهينا. نريد ان نخرج. لا تطلقوا النار.

سأله رينو: ومن أنتم؟

قال الرجل بصوته الأجش: أنا بيتر، ومعي ثلاثة رجال لا يزالون أحياء.

أمره رينو قائلاً: أنت تخرج أولاً، وتضع يديك على رأسك. ثم يخرج كل رجل بمفرده، في الوضع نفسه، وبين الرجل والآخر نصف دقيقة. هيّا.

انتظرنا قليلاً ثم رأينا بيتر الفنلندي يخرج من الباب الذي فجّره الديناميت وهو يرفع يديه إلى أعلى رأسه الأصلع. وفي وهج النيران المشتعلة في البيت المجاور رأينا انه مصاب بجروح في وجهه وان ثيابه كانت ممزقة.

مشى المهرب فوق الحطام بخطى بطيئة وتقدم باتجاه الرصيف.

نعته رينو بالمحتال الحقير وأطلق عليه أربع رصاصات أصابته في وجهه وفي جسمه.

سقط بيتر وضحك أحد الرجال بجانبي.

ألقى رينو القنبلة المتبقية إلى داخل البيت.

صعدنا إلى السيارة، ورينو جلس وراء المقود. لم يستطع ان يدير المحرك لأنه أصيب بعدة طلقات.

بدأت السيارة التي كانت متوقفة عند الزاوية تتراجع نحونا. ألقيت نظرة على الشارع الذي كان مضاء بوهج النيران المشتعلة في المبنيين. بدت وجوه خائفة تطل من نوافذ البيوت المجاورة، لكن الشارع كان خالياً. وبدأنا نسمع صوت صفارات سيارات الأطفاء.

توقفت السيارة لنصعد فيها. كانت مليئة بالرجال. جلسنا فوق بعضنا البعض ووقف عدد من الرجال على عتبة السيارة من الجانبين.

ارتطمت السيارة بقدمي هانك أومارا، ثم انطلقت بنا إلى البيت. اجتزنا بعض المسافة بأمان لكن بدون ارتياح. وبعد ذلك فقدنا الأمان والارتياح معاً.

خرجت سيارة ليموزين كبيرة من شارع فرعي وانعطفت في الشارع أمامنا. تقدمت نحونا وتوقفت وسط الشارع بشكل جانبي. ومن جانب السيارة انهمر الرصاص علينا.

جاءت سيارة أخرى توقفت بجانب الليموزين وشنت علينا هجوماً مماثلاً.

حاولنا جهدنا لكننا كنا مكدسين في الداخل وهذا لا يفسح المجال للقيام بالرد المناسب. لا تستطيع ان تصيب هدفاً وأنت تمسك رجلاً يجلس على ركبتيك، وآخر يمسك بكتفيك، فيما يطلق النار رجل ثالث ومسدسه لا يبعد أكثر من إنش واحد عن أذنك.

جاءت السيارة الأخرى تلك التي كانت متوقفة في الجهة الخلفية من المبنى لنجدتنا لكن عندما وصلت، كانت سيارتان إضافيتان قد انضمتا إلى الجهة المهاجمة. يبدو ان هجوم رجال تايلر على السجن قد انتهى، بطريقة أو بأخرى، وان الرجال الذين أرسلهم بيتر للمشاركة في صدّ الهجوم كانوا في طريق العودة إلى مقرهم وهم الذين يمنعوننا من التقدم الآن. يا له من خليط رائع.

انحنيت قليلاً بجانب مسدس يطلق منه الرصاص وصرخت في أذن رينو:

ـ هذا الوضع غير مريح. دعنا ننزل إلى الشارع ونردّ عليهم من هناك.

اعتبر الفكرة جيدة، وأعطى أوامره:

ـ فلينزل بعضكم إلى الشارع ويطلق النار عليهم من الرصيفين.

كنت أول النازلين، وكانت عيني على مدخل زقاق معتم.

لحق بي فات إلى هناك. كنت في مخبئي فالتفت نحوه وقلت متذمراً:

- لا تلتصق بي. جرّب ان تجد لنفسك زاوية أخرى. هناك مدخل قبو يبدو مناسباً.

مشى نحوه مباشرة، وسقط في خطوته الثالثة.

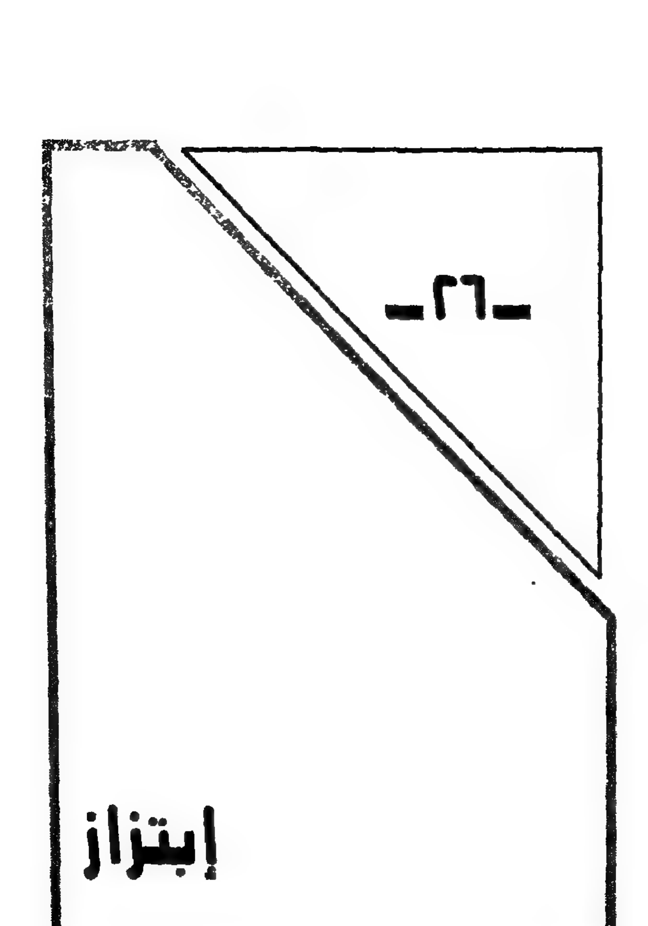
تفحصت الزقاق. كان طوله لا يزيد على عشرين قدماً، وفي آخره سياج عال وبوابة مقفلة.

وقفت على صفيحة زبالة وتسلّقت البوابة ونزلت إلى فناء أرضه مرصوفة بالآجر. قفزت عن حاجز في أحد جوانبه لأجد نفسي في فناء آخر وأخذ كلب صيد صغير من نوع «التّرير» يعوي بشكل مزعج.

أبعدت الكلب عن طريقي وقفزت عن السور في الجهة المقابلة، خلصت نفسي من حبال الغسيل التي وقعت بينها، واجتزت باحتين متتاليتين، تعالى صراخ أحدهم وألقى آخر بقنينة عليّ، إلى ان وصلت إلى شارع مرصوف بالحصى.

كان اطلاق النيران يدور في شارع خلفي، لكن المسافة لم تكن بعيدة. بذلت جهدي كي أبتعد قدر الامكان. أعتقد انني اجتزت عدداً من الشوارع يوازي عدد الشوارع التي اجتزتها في الحلم الذي رأيته ليلة مقتل دينا.

كانت ساعتي تشير إلى الثالثة والنصف صباحاً حين ألقيت عليها نظرة وأنا واقف أمام مدخل بيت أليهو ويلسون.


-٢٦-
إبتزاز

ضغطت على جرس باب موكلي عدة مرات قبل ان يردّ عليّ أحد من الداخل.

أخيراً فتح الباب سائق السيارة الطويل الأسمر البشرة. كان يرتدي قميصاً داخلياً وسروالاً قصيراً، ويحمل في يده عصا للبليارد.

سألني: ماذا تريد؟

وبعد ان ألقى نظرة ثانية عليّ قال: هذا أنت، حسناً، ماذا تريد؟

ـ أريد رؤية السيد ويلسون!

ـ في الرابعة صباحاً؟ هيّا إذهب من هنا وبدأ يغلق الباب.

وضعت قدمي أمام الباب. نظر إلى قدمي ثم رفع بصره إلى وجهي ورفع عصا البليارد وقال:

ـ هل تريدني أن أحطم لك ركبتك؟

قلت له بإصرار: أنا لا أمزح، أنا مضطر لمقابلة العجوز. قل له ذلك.

- لست بحاجة لأن أقول له. لقد قال لي بنفسه بعد ظهر البارحة انه لا يريد مقابلتك حين تأتي.

- حقاً؟ وتناولت رسائل الحب الأربع من جيبي وأعطيت السائق الرسالة الأولى من بينها وهي الأقل بلاهة وقلت له: أعطِه هذه الرسالة وقل له انني أنتظر على السلم مع سائر الرسائل. قل له انني سأجلس هنا خمس دقائق فقط وبعد ذلك سأحمل الرسائل إلى تومي روبنز من الوكالة المتحدة للأنباء.

عبس السائق وهو يتأمل الرسالة وقال: اللعنة على تومي روبنز وعلى عمته العمياء! وأغلق الباب.

بعد أربع دقائق فتح الباب وقال:

- أنت، أدخل.

تبعته إلى الطابق الثاني، وإلى غرفة نوم العجوز أليهو.

كان موكلي جالساً في سريره والرسالة الغرامية مكوّمة في يده والمغلف في اليد الأخرى.

كانت أطراف شعره الأبيض القصير منتصبة بخشونة. وعيناه برز فيهما اللونان الأحمر والأزرق. كاد الخطّان المتوازيان لفمه وذقنه ان يتلاقيا. كان مزاجه رائعاً.

حين وقع نظره عليّ صرخ:

- بعد كل تباهيك وادعاءاتك ها أنت ترجع إلى القرصان العجوز كي ينقذك، أليس كذلك؟

قلت له انني لا أريد شيئاً من هذا القبيل؛ وانه إذا كان سيتكلم كشخص أحمق يجب عليه ان يخفض صوته كي لا يعرف سكان لوس انجلوس مدى حماقته.

زاد العجوز حدة صراخه وانفجر قائلاً:

ـ لا تفكر انك إذا سرقت رسالة أو رسالتين لا علاقة لك بهما انني...

وضعت أصابعي في أذنيّ. لم أنجح في منع الصوت من اختراقهما لكنني جعلته يشعر بالإهانة وكفّ عن الصراخ.

رفعت أصابعي وقلت له: قل لهذا الرجل ان يتركنا كي نستطيع ان نتكلم. لن تحتاج إليه، أنا لا أريد إيذاءك.

قال للسائق: اخرج من هنا.

نظر إليّ السائق نظرة لا مودّة فيها وخرج وأغلق الباب وراءه.

بدأ العجوز أليهو هجومه عليّ بسرعة وطالبني بتسليم سائر الرسائل في الحال، وسألني بصوته العالي ومن خلاله مجموعة من الشتائم، من أين حصلت على الرسائل، وماذا أنوي أن أفعل بها وهدّدني بكذا وكذا وكان طوال الوقت يلعنني.

لم أعطه الرسائل وقلت له:

ـ أخذتها من الرجل الذي دفعت له أجراً لكي يحصل عليها. من المؤسف انه فاجأك وقتل الفتاة.

زال بعض الاحمرار عن وجه العجوز واستعاد لونه الوردي العادي. ضغط بأسنانه على شفتيه وحدّق فيّ قائلاً:

ـ هل تنوي اللعب بهذه الطريقة؟

كان صوته هادئاً نسبياً وهو يتصاعد مع أنفاسه من صدره. إنه يستعد لخوض المعركة.

قرّبت كرسياً من السرير وجلست وابتسمت بأقصى قدر من المرح وقلت له:

ـ هذه إحدى الطرق.

راقبني وهو لا يزال يضغط على شفتيه بأسنانه ولم يقل شيئاً.

قلت: أنت أسوأ موكّل تعاملت معه. أتريد ان تعرف ماذا فعلت؟ أنت كلفتني بتنظيف المدينة، ثم غيّرت رأيك، وتخليت عني، وبدأت تعمل ضدي حتى تطورت الأمور وبدا لك انني أربح، ثم ترددت ثانية، وأنت الآن تعتقد انني مهزوم وترفض ان تسمح لي بدخول بيتك. من حسن حظي انني وجدت هذه الرسائل بالصدفة.

قال: ابتزاز.

ضحكت وقلت: أنت تقول ذلك. حسناً، قل ما تشاء.

ونقرت على طرف السرير باصبعي وقلت: لم أنهزم بعد أيها العجوز، لقد ربحت. وأنت توسلت إليّ أيها العجوز كي أساعدك لأن بعض الرجال الأشرار أخذوا منك مدينتك الصغيرة. بيتر الفنلندي وليو يارد و «الهامس» تايلر ونونان، أين هم الآن؟

ـ يارد مات صباح الثلاثاء ونونان في الليلة نفسها، و« الهامس» مات صباح الأربعاء والفنلندي مات منذ قليل. أنا أردّ لك مدينتك إذا كنت تريدها أم لا. وإذا كت تسمي هذا ابتزازاً فليكن. والآن اسمع ما أريده منك. يجب ان تتصل بعمدة المدينة، من المفروض ان يكون هناك عمدة لهذه المدينة القذرة، وأنت والعمدة يجب ان تتصلا بحاكم الولاية... إلزم الهدوء حتى انتهي من كلامي.

ـ يجب ان تقولا للحاكم ان رجال شرطة المدينة ليسوا موضع ثقة بعد انضمام مجموعة من المهربين إليهم، وأمور

أخرى من هذا القبيل. اطلب منه المساعدة بإرسال رجال الحرس الوطني إلى المدينة. لا أعرف عدد الرجال الذين قتلوا، لكنني أعرف ان الزعماء، أولئك الذين كنت تخافهم، ماتوا جميعاً. أولئك الذين كان عندهم الكثير ضدك بحيث لم تكن تستطيع ان تقف في وجههم. هناك عدد من الشبان الذين يعملون جاهدين الآن ليحلّوا محلّ زعمائهم. من الأفضل ان ينخرط في الصراع أكبر عدد منهم. هذا يسهل مهمة الجند ذوي الياقات البيضاء ويساعدهم على السيطرة على المدينة التي تعم فيها حالة الفوضى. ولا يوجد بين هؤلاء الزعماء الجدد من عنده أي ممسك عليك يستطيع ان يؤذيك بسببه.

ـ ستطلب من العمدة، أو من الحاكم، لا فرق، ان يصار إلى حل فرقة الشرطة في منطقة بيرسون فيل، وسيتولى رجال الحرس الوطني توطيد الأمن إلى ان يتم تشكيل فرقة أخرى. وصلني ان العمدة والحاكم يكنّان لك الولاء. وهما مستعدان لتنفيذ جميع طلباتك. وأنت ستطلب منهما ما قلته لك الآن. تنفيذ ذلك ممكن، ويجب ان ينفّذ.

ـ بعد ذلك تستردّ مدينتك جميلة ونظيفة وجاهزة لأن تسلمها إلى الكلاب مرة ثانية. إذا لم تنفّذ ما طلبته منك سوف أعطي هذه الرسائل الغرامية إلى رجال الصحافة، ولا أقصد بذلك العاملين في صحيفتي «الهيرالد» عندك ـ بل أقصد مندوبي وكالات الأنباء. حصلت على الرسائل من دون. وستجد متعة كبيرة وأنت تحاول ان تثبت انك لم تكلفه استعادة الرسائل، وانه لم يقتل الفتاة وهو يحاول اقناعها بتسليمه إياها. لكن المتعة التي ستشعر بها لا توازي في شيء

متعة الذين سوف يقرأون الرسائل على صفحات الجرائد. إنها رسائل مثيرة. لم يسبق لي ان ضحكت بهذه الطريقة منذ التهمت الخنازير أخي الأصغر.

سكتُّ.

كان العجوز يرتجف، لكنه لم يكن يرتجف من الخوف. صار لون وجهه أرجوانياً.

فتح فمه وزمجر قائلاً:

ـ تستطيع ان تنشرها واللعنة عليك!

أخرجت الرسائل من جيبي وألقيت بها على سريره، ثم نهضت عن الكرسي ووضعت القبعة على رأسي وقلت:

ـ انني مستعد ان أضحي بأي شيء مقابل أن أعرف ان الشخص الذي كلفته بإحضار الرسائل هو الذي قتل الفتاة. أريد ان أنهي هذه المهمة بوضع حبل المشنقة حول عنقك!

لم يمد يده إلى الرسائل. وقال لي:

ـ هل ما قلته لي عن تايلر وبيتر صحيح؟

ـ أجل، لكن ما الفرق؟ سوف تترك المجال لأشخاص آخرين ان يسيطروا عليك.

أزاح الغطاء جانباً وحرك رجليه وأنزل قدميه الورديتين عن حافة السرير وصرخ قائلاً:

ـ هل عندك الجرأة لتتولى المنصب الذي عرضته عليك في السابق ـ منصب قائد الشرطة؟

ـ لا. لقد أضعت شجاعتي في خوض المعارك بدلاً عنك

وأنت تتوارى في سريرك وتفكر بأساليب جديدة لتتنكّر لي. ابحث لنفسك عن مرضعة أخرى.

أحنى رأسه وقال:

ـ أنت تخاف من هذا المنصب. أنت الذي قتلت الفتاة؟

خرجت من غرفته كما خرجت من عنده في المرة الأخيرة وأنا أقول له: اذهب إلى الجحيم!

إلتقيت بالسائق في الطابق الأرضي، وكان لا يزال يحمل عصا البليارد وينظر إليّ بدون مودّة وبدا كأنه ينتظرني كي أبدأ معه بالشجار. لم أفعلْ ذلك. أغلق الباب بعنف ورائي.

بدا الشارع رمادياً مع إطلالة النهار. وفي أعلى الشارع رأيت سيارة «كوبيه» سوداء متوقفة تحت الأشجار. لم أتبيّن ما إذا كان هناك أحد في داخلها. مشيت في الجهة المقابلة من باب الحرص. فتحركت السيارة تتبعني.

لا مجال للركض في الشوارع هرباً من سيارة تلاحقك. لذلك توقفت وانتظرت. وصلت إلى محاذاتي. رفعت يدي عن جنبي حين رأيت وجه ميكي لينهان المتورد من خلال زجاج النافذة.

فتح لي الباب لأصعد.

قال لي وأنا أجلس بجانبه: فكرت انك قد تأتي إلى هنا. تأخرت عنك بضع ثوانٍ، شاهدتك وأنت تدخل لكنني لم أتمكن من اللحاق بك.

سألته: ماذا جرى معك أثناء التحقيق؟ من الأفضل ان تنطلق بالسيارة لنواصل حديثنا على الطريق.

ـ قلت انني لا أعرف شيئاً ولا أستطيع ان أقدم أي تصوّر وليس عندي أدنى فكرة عن العمل الذي تقوم به، وانني جئت إلى هذه البلدة منذ فترة قصيرة والتقيت بك بالصدفة. ونحن صديقان قديمان... وأمور من هذا القبيل. كانوا لا يزالون يحاولون استدراجي في الكلام حين بدأ الهجوم على السجن. وضعوني في مكتب صغير قرب قاعة الاجتماعات. وحين انفض السيرك خرجت من النافذة الخلفية.

سألته: وكيف انفضّ السيرك؟

ـ وجه لهم رجال الشرطة ضربة قوية. وصلتهم معلومات عن الهجوم قبل بدئه بنصف ساعة، فاستعدوا للأمر وكانت المنطقة تعجّ برجال الفرقة الخاصة. يبدو ان القتال كان عنيفاً ـ لم تكن مهمة رجال الشرطة يسيرة. إنهم رجال «الهامس»، كما سمعت.

ـ صحيح. جرت معركة بين رينو وبيتر الفنلندي هذه الليلة. هل سمعت شيئاً عنها؟

ـ لم أسمع سوى انها حصلت.

ـ رينو قتل بيتر ووقع في كمين عند محاولته الفرار. لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك. هل رأيت ديك؟

ـ ذهبت إلى الفندق فقيل لي انه غادر الفندق وانه سيغادر الليلة في قطار المساء.

شرحت له الأمر قائلاً: طلبت منه الرجوع إلى بيته. إنه يتهمني بمقتل دينا براند. بدأ يثير أعصابي.

ـ حسناً؟

ـ تعني هل قتلتها؟ لا أعرف يا ميكي. أنا أحاول ان أصل إلى الحقيقة. هل تريد ان تتابع الأمر معي أم انك تريد اللحاق بـ ديك إلى سان فرنسيسكو؟

قال ميكي: لا تنزعج إلى هذه الدرجة من جريمة أنت لم ترتكبها على الأرجح. لكن ما الذي حدث؟ أنت متأكد انك لم تأخذ مجوهراتها ونقودها.

ـ ولا القاتل أخذها. كانت لا تزال موجودة بعد الثامنة صباحاً حين غادرت البيت. دان رولف دخل إلى البيت وخرج منه ما بين ذلك الوقت والساعة التاسعة. وهو لم يأخذها. إن... وجدتها! إن الشرطيين اللذين عثرا على الجثة ـ شيب وفانامان ـ وصلا إلى البيت في التاسعة والنصف. وإلى جانب المجوهرات والنقود يبدو انهما أخذا مجموعة من الرسائل كان العجوز ويلسون قد كتبها إلى الفتاة. وجدت تلك الرسائل فيما بعد في جيب المحامي دون. اختفى الشرطيان بعد الحادثة. هل فهمت؟

ـ حين وجد شيب وفانامان الفتاة ميتة فتشا البيت وسرقا ما وجداه قبل ان ينقلا خبر الجريمة إلى المركز. وبما ان العجوز ويلسون هو ثري كبير بدت لهما رسائله ذات قيمة فأخذاها مع الأغراض الثمينة، وأعطيا الرسائل إلى المحامي المحتال لكي يبيعها إلى أليهو. لكن دون قُتل قبل ان يتمكن من تنفيذ ذلك وأنا أخذت الرسائل منه. خاف شيب وفانامان من مقتل المحامي دون ان يعرفا ما إذا كانت الرسائل لا تزال بحوزته أم لا. خافا لأن الرسائل قد تكون بداية الخيط الذي يوصل إليهما. كان معهما المال والمجوهرات فقرّرا الهرب.

وافق ميكي على كلامي وقال: يبدو هذا التحليل مقنعاً. لكننا لم نتوصل إلى المجرم بعد.

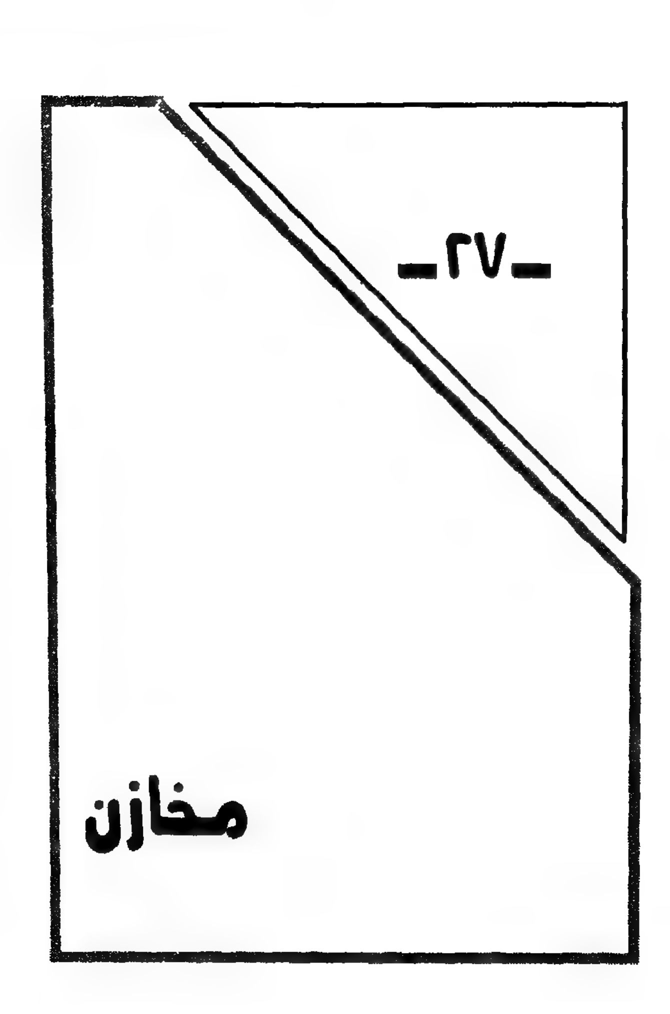
ـ صارت الأمور أكثر وضوحاً. وسنحاول ان نزيد هذا الوضوح. جرّب ان تصل إلى شارع «بورتر» وإلى مخزن قديم يدعى ريدمان. وصلتني معلومات أن رولف قتل «الهامس» هناك، مشى إليه وغرس في صدره معول الثلج الذي وجده في ثدي الفتاة. إذا كان هذا ما حدث فعلاً فإن «الهامس» لم يقتلها، وإلاّ فإنه كان سيتوقّع ردّة فعل مماثلة من جانب رولف ولم يكن ليترك المسلول يقترب منه إلى هذا الحد. أريد ان ألقي نظرة عليهما الآن وأتفحص المكان.

قال ميكي: شارع «بورتر» يقع خلف شارع «كينغ»، سنجرب الطرف الجنوبي أولاً. إنه أقرب إلينا وسنجد المخازن هناك على الأرجح. ما رأيك بـ رولف؟

ـ لا علاقة له بالجريمة.. إذا كان قتل «الهامس» لأنه قتل الفتاة، هذا دليل براءته. بالإضافة إلى ذلك كانت هناك كدمات على معصم الفتاة وخدّها وهو لم يكن قوياً لدرجة ان يتعامل معها بهذه الخشونة. تصوّري انه غادر المستشفى وقضى ليلته في مكان ما، ثم توجه إلى بيت الفتاة بعد مغادرتي له في الصباح، ودخل بعد ان فتح الباب بمفتاحه ووجدها، فاعتقد ان «الهامس» هو القاتل وانتزع معول الثلج من صدرها وخرج يبحث عنه.

قال ميكي: والآن كيف تبادر إلى ذهنك انك قد تكون أنت القاتل؟

ـ اسكت قلت له وقد غلب عليّ ضيق الخلق وتابعت: دعنا نصل إلى المخزن.


-٢٧-
مخازن

إنطلقنا في الشارع نزولاً ونحن نلتفت يميناً وشمالاً بحثاً عن مبانٍ قد تكون مخازن مهجورة. كان الوقت نهاراً ونستطيع ان نرى كل شيء بوضوح.

بعد قليل لفت انتباهي مبنى كبير مربع الشكل له لون الصدأ وينتصب وسط أرض غمرتها الأعشاب. كان الاهمال واضحاً في المكان وفي المبنى. بدا قريباً مما نبحث عنه.

قلت: توقف عند الزاوية التالية، يبدو اننا وصلنا إلى المخزن. أنت انتظرني في السيارة وأنا أستكشف المكان.

مشيت مسافة أبعد من المبنى حتى أستطيع ان ألتف حوله وأدخل إليه من الخلف. قطعت الباحة بحذر، لم أكن أتسلّل لكنني في الوقت نفسه لم أصدر أصواتاً أستطيع تجنبها.

جربت فتح الباب الخلفي بهدوء. كان مقفلاً بالطبع. مشيت إلى نافذة وحاولت ان ألقي نظرة إلى الداخل، لم أتمكن من رؤية شيء بسبب العتمة والأوساخ المتراكمة، جرّبت أن أفتح النافذة وفشلت.

انتقلت إلى النافذة الثانية وصادفني الحظ نفسه. استدرت

عند زاوية المبنى وبدأت محاولاتي في الجهة الشمالية. أول نافذة أفشلت محاولاتي. النافذة الثانية ارتفعت ببطء حين دفعتها إلى الأعلى، ولم تصدر أصواتاً عالية أثناء العملية. على القسم الداخلي من إطار النافذة وفي الأعلى والأسفل سُمّرت عدة ألواح خشبية، وكانت قوية ومتينة.

لعنت الألواح وتأملت ان لا تكون النافذة قد أصدرت صوتاً عالياً وأنا أرفعها. صعدت إلى حافتها ووضعت يدي على الألواح الخشبية وجربت دفعها برفق.

تحركت الألواح.

جربت دفعها بقوة أكبر. ابتعدت الألواح عن الجهة اليسرى للإطار ورأيت في طرف اللوح الجانبي صفاً من رؤوس المسامير اللّماعة.

دفعت الألواح إلى الوراء أكثر ونظرت إلى الداخل فلم أر سوى الظلام ولم أسمع شيئاً.

رفعت مسدسي بيدي اليمنى ونزلت عن عتبة النافذة إلى داخل المبنى. خطوت خطوة ثانية إلى اليسار وابتعدت عن أشعة الضوء الرمادية التي تتسلل من النافذة.

وضعت المسدس في يدي اليسرى واستعملت اليد اليمنى لأعيد رفع الألواح إلى مكانها.

حبست أنفاسي دقيقة بكاملها ولم أسمع شيئاً. ألصقت يدي التي أحمل بها مسدسي إلى جنبي وبدأت حملة تفتيش في المبنى. لم ترتطم قدماي بشيء وأنا أتقدم خطوة خطوة. ولم تلمس يدي اليسرى شيئاً حتى وصلت إلى جدار خشن. يبدو انني اجتزت غرفة خالية.

تحركت بمحاذاة الحائط أسعى للوصول إلى باب فيه. بعد خطوات معدودة وصلت إلى باب، فانحنيت قليلاً أسترق السمع، لكنني لم أسمع شيئاً.

وجدت المسكة وأدرتها برفق وفتحت الباب بهدوء.

سمعت «هسهسة».

نفذت في الحال أربع حركات في الوقت نفسه: تركت مسكة الباب وقفزت وضغطت على زناد المسدس ولكمت يدي بعنف بشيء قاسٍ وثقيل كأنه بلاطة ضريح.

لم أر شيئاً على ضوء التماعة الرصاصة التي أطلقتها. من الصعب رؤية شيء، على هذا الوهج، مع ان المرء يتخيل انه بدأ يرى بعض الأشياء. لم أجد أمامي مجالاً للقيام بعمل آخر فقررت ان أطلق النار ثانية، وثالثة.

سمعت صوت رجل عجوز يتوسل قائلاً:

ـ لا تطلق النار يا صاحبي. لست مضطراً ان تفعل ذلك.

قلت له: حاول ان تجد ضوءاً.

سمعت صوت عود ثقاب يفرقع على الأرض ورأيته يشتعل ثم يلقي ضوءاً أصفر مرتجفاً على وجه رجل خائف. كان الوجه عقيماً وبلا شخصية وينسجم كثيراً مع المقاعد في الحدائق العامة. كان الرجل جالساً على الأرض وقد باعد ما بين رجليه النحيلتين. لم يكن مصاباً. بجانبه رِجل طاولة.

أمرته قائلا: إنهض لتنير المكان، وستظل تشعل عيدان الكبريت حتى تفعل ذلك.

أشعل عوداً آخر وخبأه بعناية بيده وهو ينهض ومشى إلى

الطرف الآخر من الغرفة وأشعل شمعة على طاولة لها ثلاث أرجل.

مشيت وراءه متنبهاً لحركاته. كانت يدي اليسرى فاقدة الحسّ وإلاّ فإنني كنت أفضل ان أمسك به للمزيد من الأمان.

سألته بعد ان أشعل الشمعة: ماذا تفعل هنا؟

لم أكن بحاجة إلى جوابه. في زاوية الغرفة تكدست ست صناديق كتب عليها: «شراب القيقب الفاخر».

أخذ العجوز يشرح لي ويقسم بأنه لا يعرف شيئاً، وان رجلاً يدعى بايتس استخدمه منذ يومين كحارس ليلي، وانه إذا كانت هناك مشكلة فهو بريء تماماً.

رفعت طرف غطاء أحد الصناديق. كانت القناني في الداخل تحمل ملصقات تدل على انها معبأة في كندا وبدت الكلمات وكأنها طبعت بأحرف من المطاط.

طلبت من الرجل ان يسير أمامي وأنا أحمل الشمعة وبدأت أفتش المبنى. وكما توقعت لم أجد شيئاً يدل على ان هذا هو المخزن الذي أقام فيه «الهامس».

حين عدنا إلى الغرفة التي توجد فيها صناديق الخمرة بدأت ذراعي اليسرى تستردّ قوتها فحملت بها قنينة. وضعتها في جيبي وقدمت للعجوز نصيحة:

ـ من الأفضل لك ان تغادر هذا المكان. أنت مستخدم كي تحل محل بعض الرجال الذين حولّهم بيتر الفنلندي إلى فريق خاص في الشرطة. لكن بيتر مات وانتهت معه تجارته.

حين تسلقت النافذة كان العجوز واقفاً أمام الصناديق يتأملها بعينين شرهتين وهو يعدّها على أصابعه.

سألني ميكي حين عدت إليه: حسناً؟

تناولت الزجاجة من جيبي، ولم تكن زجاجة عصير بالتأكيد، ونزعت الفلينة وقدمتها له، وتناولت القليل منها بدوري.

سألني مرة ثانية: حسناً؟

قلت له: دعنا نبحث عن مخزن ريدمان القديم. قال: سوف تؤذي نفسك ذات يوم لأنك تقول للناس أكثر مما ينبغي وأدار محرك السيارة.

بعد اجتياز ثلاثة مبانٍ صعوداً في الشارع رأينا يافطة باهتة كتب عليها: «ريدمان وشركاه».

كان المبنى الذي ارتفعت فوقه اليافطة طويلاً ومنخفضاً وقليل العرض وعلى حافة سطحه صف من الألواح الحديدية، وكانت تغطي بعض النوافذ أيضاً.

قلت له: فلنترك السيارة عند الزاوية، وأنت ستأتي معي هذه المرة. لم أجد متعة كبيرة لأنني كنت بمفردي في المرة السابقة.

نزلنا من السيارة ورأينا زقاقاً يبدو انه يقود إلى الجهة الخلفية من المخزن. مشينا فيه.

بعض الأشخاص كانوا يتجولون في الشوارع، لكن الوقت ما زال مبكراً كي يبدأ العمل في المصانع التي تملأ هذه الضاحية من ضواحي المدينة.

في الجهة الخلفية للمبنى وجدنا ما يلفت الانتباه. كان الباب

موصداً. عند حافته وعند حافة إطاره، بالقرب من القفل توجد خدوش. من الواضح ان أحدهم حاول فتح الباب بآلة حادة.

دفع ميكي الباب قليلاً ووجده مفتوحاً. أخذ يدفعه مسافة قليلة ثم ينتظر، ويعيد الكرة، حتى صار بإمكاننا ان نحشر أنفسنا وندخل.

حين صرنا في الداخل سمعنا صوتاً. لم نتبين ماذا كان يقول؛ لم نسمع سوى صوت رجل آتٍ من بعيد يوحي بأنه يخوض في نزاع ما.

أشار ميكي إلى الخدوش على الباب وقال:

ـ ليس هذا من فعل رجال الشرطة.

خطوت خطوتين إلى الأمام، وأنا أحاول ان ألقي بثقلي على كعبي حذائي المصنوعين من المطاط. ومشى ميكي خلفي وكانت أنفاسه تلفح رقبتي.

كان تيد رايت قد أخبرني ان مخبأ «الهامس» كان في الطابق الثاني من الجهة الخلفية. قد يكون الصوت البعيد آتياً من هناك.

التفت نحو ميكي وقلت له:

ـ هل تحمل مصباح جيب؟

وضعه في يدي اليسرى، لأنني كنت أحمل المسدس في اليمنى. وتابعنا تقدمنا البطيء.

كان الباب لا يزال مفتوحاً قليلاً وتسرّبت من خلال الفتحة أشعة الضوء لتكشف أمامنا الغرفة التي اجتزناها ووصلنا إلى مدخل لا باب فيه. الجهة الثانية من المدخل كانت مظلمة.

أضأت المصباح باتجاه الجهة المظلمة ورأيت باباً فأطفأت النور

وتقدمنا نحو الباب. فتحت الباب وأضأت المصباح لحظة أخرى فوجدت سلماً.

صعدنا السلم بحذر شديد وكأننا نخاف ان تتحطم الدرجات تحت أرجلنا.

سكت الصوت الذي سمعناه. شعرت ان شيئاً آخر يحدث. لم أعرف ما هو. قد يكون صوتاً آخر ليس عالياً لدرجة اننا نستطيع سماعه، لا أعرف ما إذا كان شعوري هذا له معنى.

كنت قد وصلت إلى الدرجة التاسعة حين سمعت صوت رجل يقول بوضوح: بالتأكيد، أنا قتلت تلك العاهرة. والمسدس شارك بدوره في الحديث، وأعاد الصوت نفسه أربع مرات، وبدا لنا صوته ونحن واقفان تحت السقف الحديدي انه هدير بندقية من عيار ستة عشر إنشاً.

قال الصوت الأول: حسناً.

في تلك الفترة كنت مع ميكي قد صعدنا السلم وفتحنا باباً عند أعلى السلم، وأخذنا نحاول ان نرفع يدي رينو ستاركي عن رقبة «الهامس».

كانت المحاولة صعبة ولا فائدة منها. كان «الهامس» قد فارق الحياة.

حين رآني رينو، رفع يديه.

كانت عيناه فاترتين ووجهه الضخم فاقد الحيوية أكثر من أي وقت مضى.

حمل ميكي المقامر القتيل إلى سرير نقّال كان في إحدى زوايا الغرفة ومدّده فوقه.

تلك الغرفة كانت مكتباً كما يبدو، ولها نافذتان. ومن خلال أشعة الضوء التي تسربت منهما رأيت جثة أخرى تحت السرير، انها جثة دان رولف، وفي وسط الغرفة مسدس ملقى على الأرض.

أحنى رينو كتفيه وهو يترنح، فسألته: هل أنت مصاب؟

قال بهدوء: أصابني بأربع رصاصات وانحنى ليضغط بيديه على الجزء الأسفل من بطنه.

قلت لميكي: أحضر لنا طبيباً.

قال رينو: لا داعي لذلك. لم يعد عندي من بطني أكثر مما كان عند بيتر كولينز.

قربت كرسياً قابلاً للطيّ ووضعته بجانبه وساعدته على الجلوس كي يتمكن من الانحناء إلى الأمام ويحاول ان يظل متماسكاً.

ركض ميكي إلى الخارج ونزل السلم.

سألني رينو: هل كنت تعرف انه لم يمت؟

ـ لا. لقد نقلت لك الخبر كما وصلني من تيد رايت.

قال: تيد غادر البلدة بسرعة. وأنا لا أثق بهذا النوع من الأخبار لذلك جئت بنفسي كي أتأكد. احتال عليّ وتظاهر بأنه ميت حتى صرت في قبضة يده. ثم حدّق بفتور في جثة «الهامس» وتابع:

ـ اللعنة عليه، لقد خدعني. كان مصاباً لكنه تمكن من إنقاذ نفسه ولفّ جرحه بالضمادات وظل هنا ينتظر.

وابتسم، وتلك كانت المرة الأولى التي أراه يبتسم فيها وقال:

لكنه لم يعد سوى كتلة من اللحم وهي ليست كتلة كبيرة أيضاً.

صار صوته أكثر خشونة. تجمعت تحت طرف الكرسي بقعة من الدم. خفت أن ألمسه. لم يكن يحميه من السقوط سوى ضغط يديه ووضعه المنحني إلى الأمام.

حدّق في بقعة الدم وسألني:

ـ كيف تمكّنت من التفكير بأنك لم تقتلها؟

ـ كنت مضطراً للتفكير بذلك متمنياً ان يكون صحيحاً، ولم أتأكد إلاّ منذ قليل. كنت أشك فيك، لكنني لم أتأكد. كنت مخدراً في تلك الليلة وحلمت أحلاماً كثيرة وسمعت رنين أجراس وأصواتاً تناديني، وأموراً كثيرة كهذه. فكرت ان هذه الأحلام لم تكن أحلاماً بالفعل بل تهيؤات أثارتها أحداث تمت في المكان الذي كنت فيه.

ـ حين استفقت كان النور مطفأ. لم أقل في نفسي انني قتلتها ثم أطفأت النور وعدت لأمسك بمعول الثلج. من المؤكد ان الجريمة تمت بطريقة أخرى. كنت تعرف انني أمضي السهرة هناك، ودون تردّد وافقت على إعطائي حجة أثبت بها براءتي. بدأت أفكر في الأمر. دون حاول ابتزازي بعد استماعه لهيلين آلبري. وبعد ان استمع لها رجال الشرطة جمعوا بيني وبينك وبين رولف وبين «الهامس». عثرت على دون مقتولاً بعد لقائي بأومارا على مسافة قريبة منه. يبدو ان المحامي المحتال كان يحاول ابتزازك. وبما ان الشرطة جمعت بيننا جعلني هذا أفكر ان لديهم معلومات ضد المجموعة كلها وليس ضدي أنا فقط. كانوا يعرفون عني ما أخبرتهم إياه هيلين انني دخلت إلى البيت

أو خرجت منه أو انها رأتني وأنا داخل وخارج. افترضت انهم يعرفون عن كل واحد من الآخرين معلومات مماثلة. ولأسباب معينة تركت «الهامس» ورولف جانباً، ولم يبق إلاّ أنت ـ وأنا. لكنني كنت أحتار دائماً حين أفكر بالسبب الذي جعلك تقتلها.

قال لي وهو يتأمل بقعة الدماء التي ازداد حجمها على الأرض: الحق عليها فيما حدث. هي اتصلت بي وقالت ان «الهامس» سيأتي ليراها، وقالت انني إذا وصلت قبله أستطيع ان أتخلص منه. أعجبتني الفكرة. توجهت إلى بيتها وانتظرت، لكنه لم يحضر.

سكت قليلاً مدعياً انه يهتم بحجم بقعة الدماء. عرفت انه سكت من شدة تألمه، وانه سوف يتابع حديثه حين يتمكن من تمالك نفسه. كان ينوي ان يفارق الحياة كما عاش، محاطاً بقوقعته القاسية. الكلام يزيد في عذابه لكنه لا يرضى ان يسكت خاصة في حضور شخص آخر يستمع إليه. إنه رينو ستاركي الذي يستطيع ان يأخذ ما يشاء دون ان تطرف له عين، وهو سوف يتابع اللعب بهذه الطريقة حتى النهاية.

قال بعد قليل: تعبت من الانتظار. سمعت طرقاً على الباب وبعد قليل سألتها ما الذي يحدث. قالت انها لم تجد أحداً في الخارج، لم أصدقها، لكنها أقسمت على ذلك، وعدنا معاً إلى المطبخ. ولأنني كنت أعرفها جيداً بدأت أفكر انني أنا الذي وقعت في الفخّ وليس «الهامس».

عاد ميكي وقال لنا انه اتصل بالمستشفى وطلب سيارة اسعاف.

استغلّ رينو هذه المقاطعة ليرتاح قليلاً، ثم تابع قائلاً:

ـ عرفت فيما بعد ان «الهامس» اتصل بها فعلاً وقال انه سيأتي لزيارتها، وانه وصل قبلي. أنت كنت مخدراً، وهي خافت منه ولم تفتح له الباب فتركها. لم تقل لي ذلك خوفاً من ان أتركها وأذهب. أنت كنت تحت تأثير المخدّر وهي تريد حماية في حال رجوع «الهامس». لم أكن أعرف ذلك في حينه. كنت أشك في تصرفاتها وفي انها استدرجتني إلى بيتها بنية سيئة. فكرت ان أمسك بها وأحاول إرغامها على قول الحقيقة. جربت ذلك فتناولت معول الثلج وأخذت تصرخ. حين تعالى صراخها سمعت صوت قدمين تضربان الأرض، فقلت في نفسي انني وقعت في الفخ.

بدأ يتباطأ بالكلام، ويأخذ وقتاً أطول وجهداً أكبر كي يلفظ كل كلمة بهدوء وبترو. ازداد النطق صعوبة وصار صوته غير واضح، وإذا كان يعرف ذلك فإنه حاول ان يتجاهله.

ـ لم أكن أريد ان أصاب وحدي بالأذى. انتزعت المعول الحادّ من يدها وغرسته في صدرها. أنت نهضت بسرعة وبدأت تترنح من جانب إلى آخر وتندفع في كل الاتجاهات بعينين مغمضتين. هي سقطت عليك، ووقعتما معاً وتدحرجتما حتى وقعت يدك على مقبض المعول. تمسكت بها واستسلمت للنوم، وهي كانت تنعم بالهدوء أيضاً. في تلك اللحظة أدركت انني قتلتها. لم يعد بإمكاني فعل شيء. أطفأت النور ورجعت إلى البيت، عندما...

سكت رينو عندما دخل رجال الاسعاف ومعهم نقالة. كانت وجوههم متعبة لأن «بويزون فيل» ترهقهم من كثرة

العمل فيها. كنت سعيداً بما سمعت من رينو. صارت عندي الآن المعلومات التي كنت أطلبها، لكنني لم أجد متعة في الجلوس هناك والاستماع إليه ومراقبته وهو يواصل حديثه حتى النهاية.

إنفردت بميكي في إحدى الزوايا وقلت له في أذنه.

ـ ستتولى أنت المهمة من الآن فصاعداً، أنا سأتوارى عن الأنظار. من المفروض ان موقفي سليم، لكنني أعرف «بويزون فيل» جيداً ولا أريد ان أجازف. سوف آخذ سيارتك إلى المحطة ومن هناك أركب القطار إلى أوغدن. سأنزل هناك في فندق روزفلت، تحت اسم «ب .ف. كينغ». تابع العمل حتى النهاية ثم اتصل بي واخبرني ما إذا كنت أستطيع استعادة اسمي الحقيقي أم انه من الأفضل لي ان أرحل إلى الهندوراس.

أمضيت معظم الأسبوع في أوغدن أحاول ان أتأنّى في كتابة التقارير حتى لا يُقرأ فيها كم كسرت من تعليمات الوكالة ومن القوانين ومن العظام البشرية.

وصل ميكي في الليلة السادسة.

قال لي ان رينو مات، وانني لم أعد متهماً بنظر القانون، وان معظم الأموال التي سرقت من مصرف فيرست ناشيونال تمّ العثور عليها، وان ماك سوين اعترف بأنه قتل تيم نونان، وان بيرسون فيل تتحول في ظل الأحكام العرفية إلى حوض من الورود التي تخلو من الأشواك والتي تفوح منها الروائح العطرة.

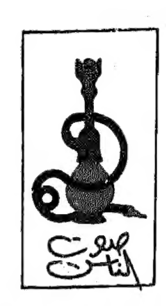
عدت برفقة ميكي إلى سان فرنسيسكو.

كان الأجدر بي ان أوفّر الجهد الذي بذلته من أجل ان تبدو

تقاريري غير مؤذية. لم ينخدع الرجل الكبير بالمحاولة التي قمت بها ووجّه إليّ تأنيباً عنيفاً.







كان الرجل العجوز ليهو ويلسون يمتلك ولاية بيرسون فيل بكل تفاصيلها. وفي العام ١٩٢١ كان مردود العمل سيئاً فقرر ليهو ايقاف العمل في الصانع والتخلص من سطوة العمال. فاضربوا لمدة ٨ اشهر مما دفع باليهو الى استخدام عصابة من المجرمين واللصوص للتخلص من الاضراب والقضاء على الانتفاضة العمالية بشراسة.

وعندما توقف القتال، لم يعد اليهو قادراً على التخلص من افراد العصابة فاعتبروا المدينة غنيمة لهم.

مساء يوم عُثر على دونالد، نجل اليهو ويلسون، مقتولاً باربع رصاصات، فاتجهت التحقيقات نحو اتهام العصابة، الا ان التحقيق يتخذ مساراً آخر عندما تتداخل عناصر جديدة ومفاجئة في الكشف عن هوية القاتل!



1855132176